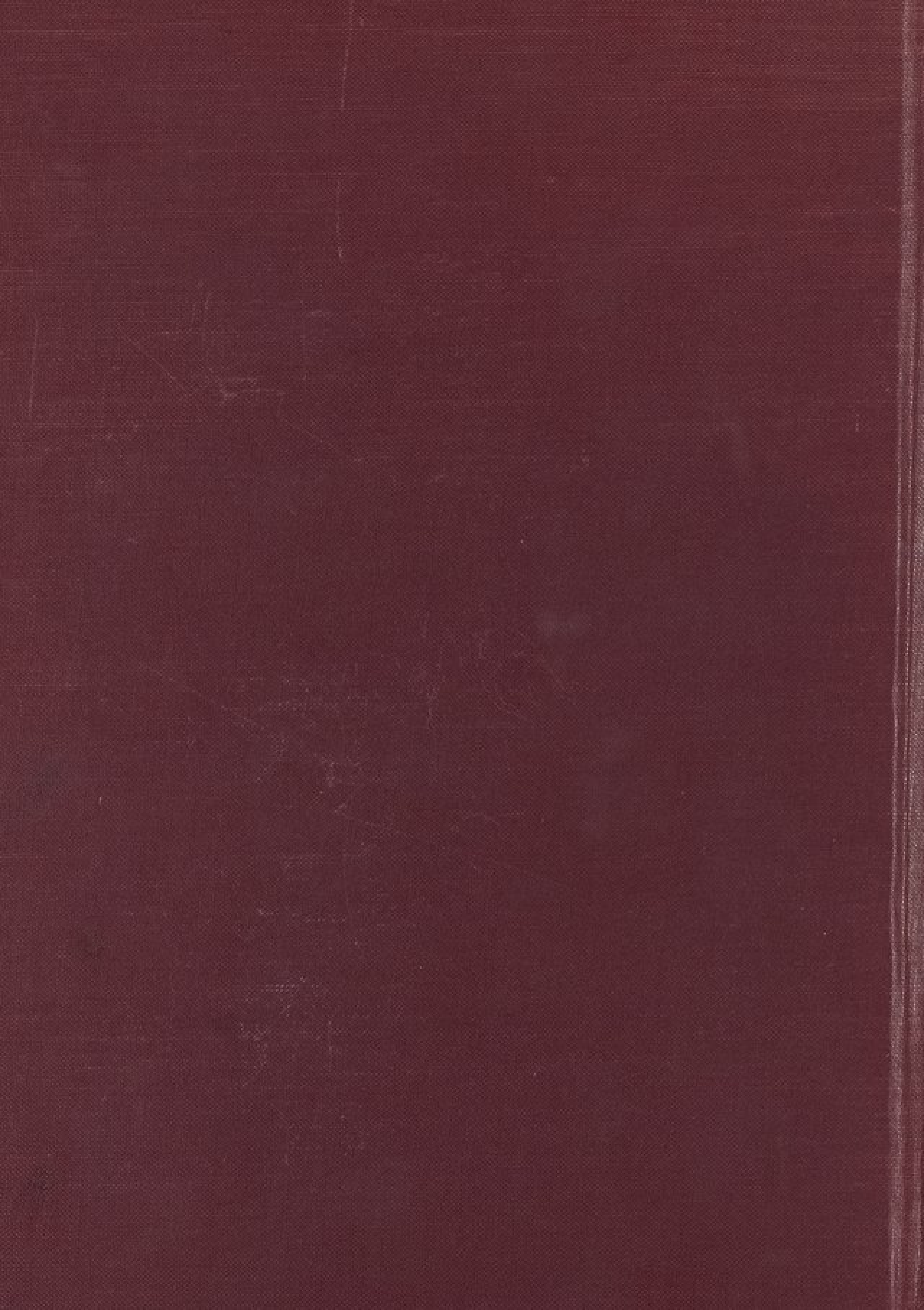
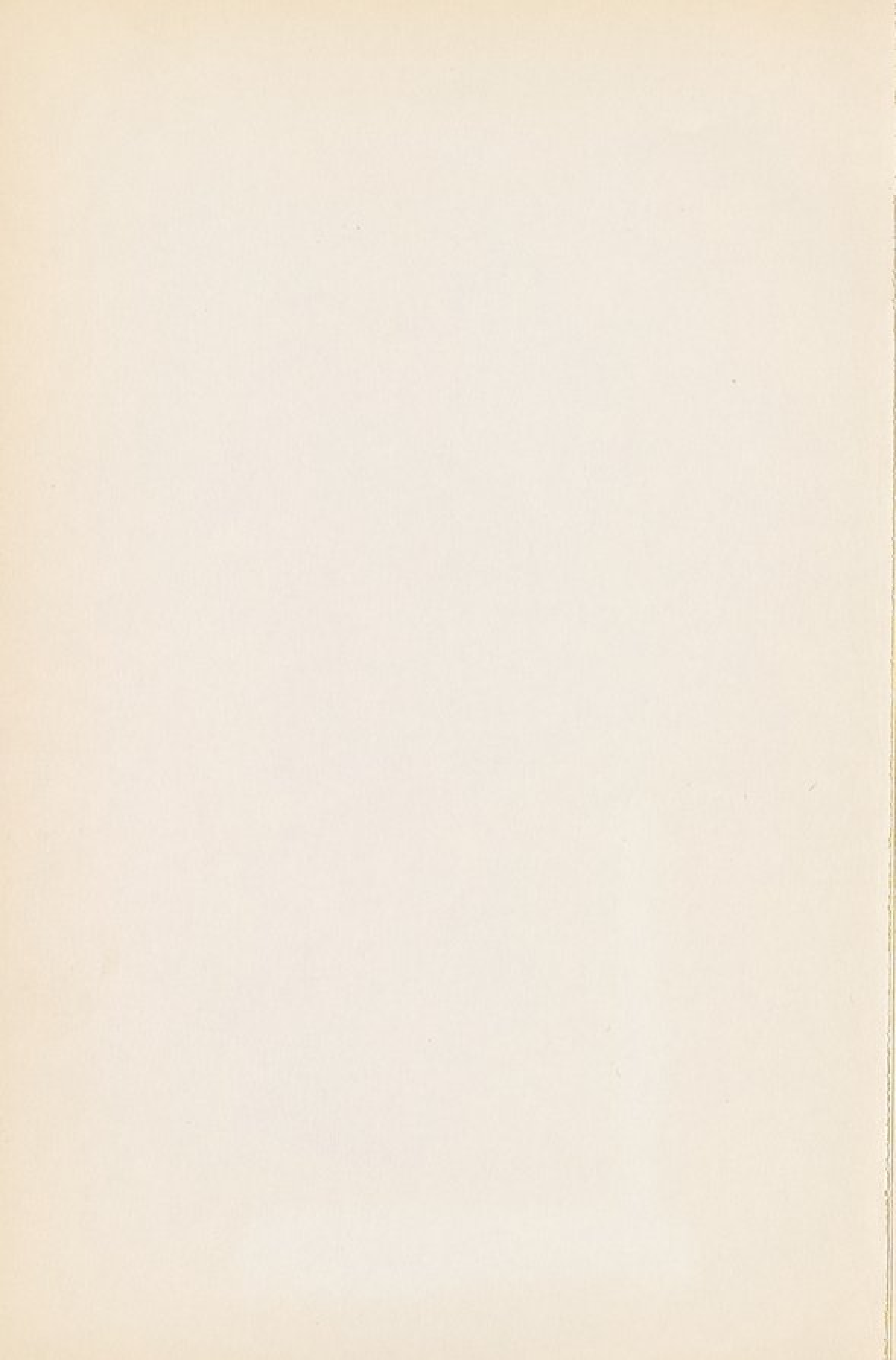
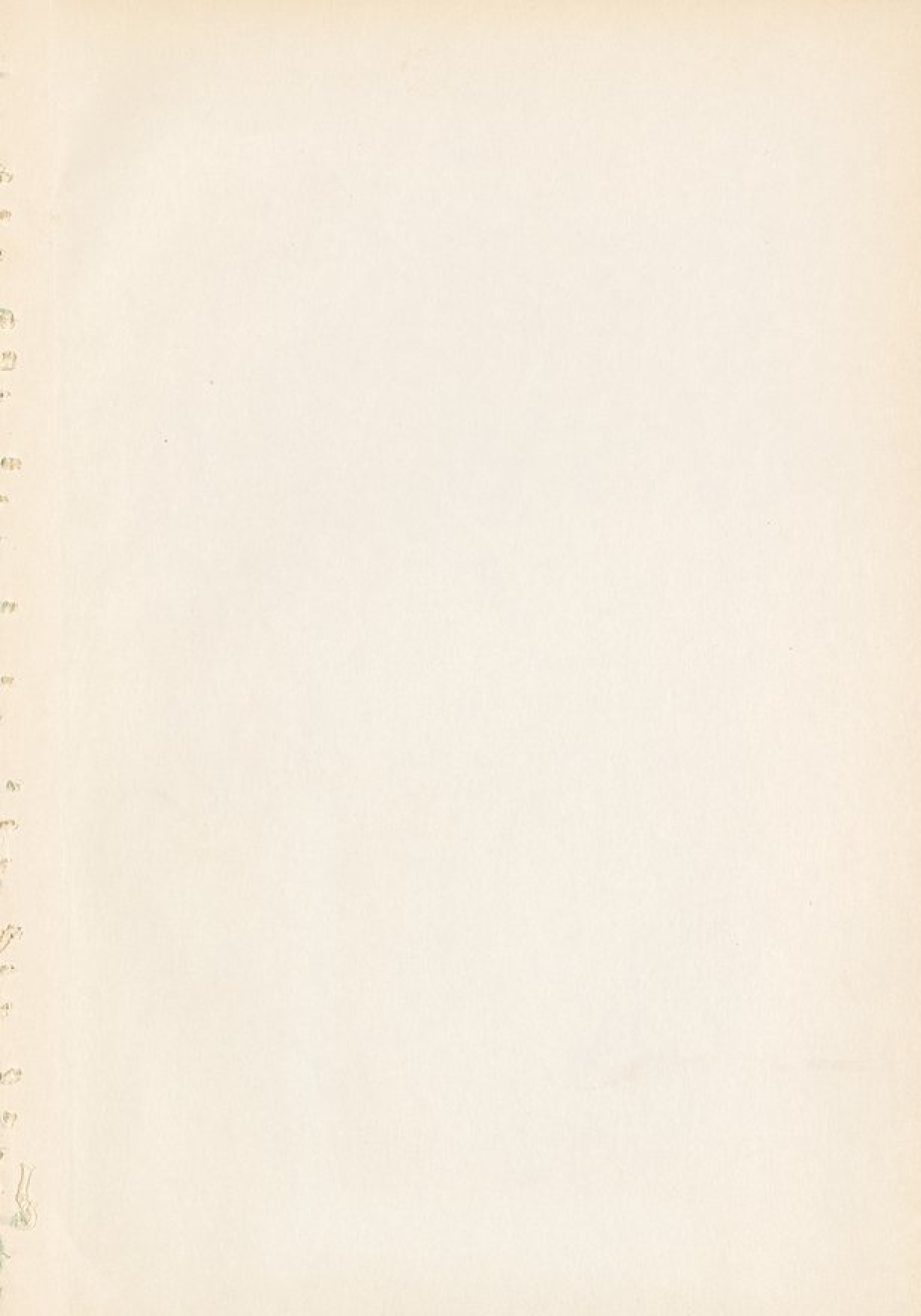










التعريف بالمؤرخين

١

في عهد المغول والتركمان

(٦٠١ هـ - ١٢٠٤ م : ٩٤١ هـ - ١٥٣٤ م)

يتضمن أشهر المؤرخين ، وتواريخهم المعروفة ،

وأثرها وقيمتها العلمية

مع فهارس عديدة

بقلم

المحامي عباس العزاوي

(ساعدت وزارة المعارف على نشر هذا الكتاب)

الثمن ٥٠٠ فلس

١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م

شركة التجارة والطباعة المحدودة



al-ʿAzzāwī, ʿAbbās

التعريف بالمؤرخين

al-Taʿrīf bi-al-muʾarrikhīn

١

في عهد المغول والتركمان

(٦٠١ هـ – ١٢٠٤ م : ٩٤١ هـ – ١٥٣٤ م)

يتضمن أشهر المؤرخين ، وتواريخهم المعروفة ،

وأثرها وقيمتها العلمية

مع فهارس عديدة

بقلم

المحامي عباس العزاوي

(ساعدت وزارة المعارف على نشر هذا الكتاب)

١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م

شركة التجارة والطباعة المحدودة

وما هـذه الأيام الا صحائف

نؤرخ فيهـا ثم تمحـى وتمحق

ولم أر في دهـري كدائرة المنـى

توسـعها الآمـال والعمر ضيـق

ـ العماد الكاتب الأصبهاني ـ

(ساعدت وزارة المعارف على نشر هذا الكتاب)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه ورسوله محمد وعلى الأنبياء والمرسلين وآل كل وصحب كل اجمعين ٠

نظرة عامة

فى تواريخ العراق

الأمة فى حاجة دائمة الى اثارة تاريخية تذكر بالماضي القريب والبعيد من حياتها فى السياسة والثقافة ٠ وان ادراك الحوادث التاريخية اذا كان صعباً ، فلا ريب ان توجيه الوقائع وتنظيمها أصعب ، ولذا كان من اللازم تعيين المراجع ، ودرجة الانتفاع منها ، والتوثق من صحتها ٠ خصوصا فى عصور أذهلت العراق فى نكباتها وكوارثها ، فعانى أشد المصائب وأعظم الارزاء ، وكادت تغيّر حوادثه معالم الاسلام لولا أن انتباه المسلمين ويقظتهم جعلا الفتح المغولي فى صالح الاسلام بسبب الجهود المبذولة لادخالهم فى حظيرة المسلمين فكان النضال والجهاد كبيرين ٠

ولا تكفي الاثارة ، ولا يفيد التوجيه ما لم نتعرّف الى الوثائق ونمحّصها ، فتكون نافعة لتدوين ما جرى دون أن تغيّر المجرى ، والا أضعنا الصواب وسرنا سيرا منكوسا ، ولم نجعل قاعدتنا «الحق أقوى من أن يقوى بباطل» ، و«الحق أحق بالاتباع» ٠٠ ذلك ما دعا أن نحقق عن التواريخ المهمة ، ونتبين ماهيتها ، ومشاهير رجالها ، ونعين المجرى الصحيح ، فتزول كل غشاوة ، وينقشع كل ابهام عن حالتنا هذه ولا نهمل النقد ، ولا نترك التمحيص ٠٠

ولا يهمنا من خالفنا ، ولا يضرنا من ناوأنا ، فليس المراد أن نماشي ، ولا أن نقنع أهل الزيغ والعناد فى القبول أو الرد ٠٠ وهنا نقتصر على العهد

من تاريخ ظهور المغول (سنة ٦١٦ - ١٢١٩ م) بل من أول القرن السابع الى (سنة ٩٤١ هـ - ١٥٣٤ م) تاريخ ظهور الدولة العثمانية فى العراق الا ان الزمن بين ظهور المغول واحتلال بغداد جعلناه توطئة للبحث فى أصل الموضوع .

قدمنا ما عندنا ، ولكل امرىء رأيه فى البحث ، ولا نستطيع أن نبدي أكثر مما عندنا ، وأملنا الوصول الى الغاية المتوخاة ، بقدر الامكان وما تسمح به الوثائق المدونة .. وهذه صفحة من صفحات تاريخنا تتعلق بالمراجع العربية والفارسية والتركية أفردتها بالبحث لما لها من الاهمية فى التعريف بالمؤرخين وتواريخهم سواء كانوا عراقيين أو كانت لهم علاقة بالعراق .

المباحث

تقلبت دولة المغول فى حالات مختلفة ، من حرب وفتح ، الى تأسيس حكم ثم قبول اسلام وهكذا ما أعقب من انقراض ، ثم تكونت دول أخرى مغولية جلايرية وجغتائية ، فبنت ادارتها على اطلال تلك ، وأعقبتها دول تركمانية تناوبت الحكم فى العراق من (قراقوينلو) و(آق قوينلو) وصفوية .. وكل هذه جعلناها أصلاً لمباحثنا فى وثائقها التاريخية فاعتبرت فواصل ، الا أننا ابتدأنا من أول القرن السابع ليكون التاريخ ماشياً باطراد ، فنتكلم على التواريخ فى مطالب :

١ - توطئة فى عهد المغول من سنة ٦٠١هـ - ١٢٠٤ م وتمتد الى فتح بغداد من قبل هولاكو سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م .

٢ - عهد المغول من سنة (٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م) ويبدأ بالعهد الايلخاني وينتهي بانقراضهم سنة (٧٣٨ هـ - ١٣٣٨م) ثم يأتي العهد الجلايرى . ويبدأ من التاريخ المذكور الى أن انقرضت سنة ٨١٤ هـ - ١٤١١ م ويتخلل ذلك (تاريخ الامير تيمور واخلافه) وهو عهد الجغتائية .

٣ - عهد التركمان (قراقوينلو وآق قوينلو والصفوية) ودام من سنة

(٨١٤هـ - ١٤١١م) الى أن دخلت الدولة العثمانية بغداد سنة ٩٤١هـ - ١٥٣٤م .

وهذه الدول راعينا تاريخ حكمهـا فى العراق لا وقت تكونها .. فكانت الوقائع المهمة هى الاصل فى ترتيب الاقسام لمعرفة تواريخنا والتواريخ الأخرى ونتناول من ظهر من المؤرخين .. فى هذه الحقبة .

التواريخ القديمة

من أوائل تدوين التاريخ سار العرب نحو مناهج تكاد تكون طبيعية مألوفة ناشئة من رغبتهم الفكرية وحريتهم فى الاختيار . فكل ابدع نهجاً فى كتابة تاريخه ، ومضى على اسلوب لم يجر به على مثال معين . ولم تكن أمامهم سابقة فيما يحتذونه ، وربما اتفقت الطرق التى مضوا عليها الا انهم لم يقفوا عند رسوم مقررة .. وربما أوحت بعض الآثار أو ألهمت أسـاليب جديدة ، وهكذا توالى الانتقاء ، وأزيلت بعض الاخطاء أو العقبات فذللوها وراعوا أصول الجرح والتعديل (النقد) . وهذه توسعت كثيراً .

لا يكاد يوازي القوم فى التاريخ غيرهـم فى تشعب ما ساروا عليه ، فظهرت مؤلفات عديدة منها ما جعل الحادث أصلاً للتدوين ، ومنها ما اتخذ الزمن أصلاً ، وهناك من راعى أيام الخلفاء ، وسيلة لتحديد المبـاحث ، وجعلت وقفات تاريخية .. وهكذا وسعوا أكثر بأن جعلوا للعلماء طبقات كما ذكروا للخلفـاء والملوك ، وللادباء كذلك ، ومثلهـم رجال الطب ، والفلسفة ، وسائر من رأوهم اهلاً للافراد بالتدوين كالمحدثين ، والفقهاء ، والمتكلمين ، والمفسرين ، والموسيقارين ، والخطاطين . وسـائر أهل العلم والصنـاعة والمعرفة وكذا أرباب الفرق أو أهل النحل والملل والتصوف جعلت مفردة ..

ولا غرابة أن نرى تنوعا فى الاساليب ، وتعددا فى الآثار ، واختلافا فى الطرق المسلوكة .. فهذه كلها أو الكثير منها صار قدوة لمؤرخي العصور التالية ، فكانت تجري عيناً أو بتعديل .. ومن ثم توفرت المادة ، وتجددت

المناهج .. فنرى المؤرخين لهـــذه العهود على ذلك النهج .. ولم يشذوا ، وليس هذا موضع التفصيل ، الا ان التاريخ فى العهود المتأخرة لم يخرج فى أسلوبه عما سبقه ولكن للانتباه قيمته ، وللتجدد العصري مكانته فى التحقيق عن المخلفات الأثرية من نقود وغيرها .

نعم ان المادة تنوعت وتغير الوقت ، فقد حدث (النقد التاريخى) وهو مصطلح عليه للجرح والتعديل فى السـلوك ، وتلافى القوم النقائص . ونماذج ذلك مشهودة فهنا التحول كبير ، وتطور الزمن لا ينكر ..

وتلخص هذه التدوينات قديما وحديثا فى أنها كتبت على الانحاء التالية:

١ – على السنين . وهذه أولى لضبط الوقائع ، لا لتقريبها ، والاخذ بها . فهى سجل يرجع اليه .

٢ – على حوادث الملوك ووزرائهم . أو جعل ذلك أصلا .

٣ – على حروف المعجم للاشخاص .

٤ – على حروف المعجم للبلدان ..

٥ – تواريخ المناقب للاشخاص .

٦ – الطبقـات .

٧ – الفـرق .

٨ – تاريخ بلد أو قطر .

الى آخر ما هنالك[١] .. والامر المهم أن المؤرخين التالين ساروا على طريقة السلف فيما اختاروا ، ولم يخرجوا الا قليلا عما نراه فى (جامع التواريخ) وأمثاله من المؤلفات الخالدة كمؤلفات ابن الفوطي ، وابن الساعي ، والكازروني .. وتصلح هذه للمقابلة بقدر الامكان بين النصوص ، وتعين قيمة المجهود ، وأن تنوه بفضل صاحب الفضل وما أدخل من تجدد بالنظر للتواريخ السابقة المماثلة .

---

(١) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي .

٧

توطئة

فى التواريخ الى دخول المغول بغداد

من سنة ٦٠١ هـ – ١٢٠٤ م الى سنة ٦٥٦ هـ – ١٢٥٨ م

وهذه التواريخ من أول القرن السابع الهجري أو من تاريخ ظهور المغول سنة ٦١٦ هـ – ١٢١٩ م الى تاريخ الاستيلاء على بغداد جعلناها توطئة للبحث فى تواريخ العراق وما يتصل بها . وهذه كان شأنها ما ذكرت ، وفى خلال هذا العهد لم نر حادثا جللا يجلب الانتباه كثيرا ، ويؤدي الى انقلاب ، وان الخليفة الناصر لدين‌الله خاب الظن فيه ، فلم يقم بمنهاج واسع ، بل جلب السخط عليه ، والنقمة الشديدة لمحاولته ان يقوم بعمل يجدد فيه التاريخ الامر الذى يدعو الى نهج جديد فى التدوين .. فالحالة معتادة تقريبا ، لم يكن فيها ما يدعو لتجدد فكري ، أو لتبدل مهم وتطور صحيح الا ما قام به المغول على يد جنكيزخان . وهناك تواريخ عديدة كتبت فى الفكرة المطردة المألوفة ، أو اكمالا لنقص شعروا به وهكذا .. وبظهور المغول حدث تحول كبير . ومن ثم خرج التاريخ الى طور جديد .

– نعم ان الاساليب التأريخية لم يحدث فيها تغير كبير يؤدي الى ابداع مناهج ، ومع هذا لا يقل مكانة فى مجاراة الزمن ، وتحول ثقافته من جراء التحول خلال عصور ، فالتواريخ جديدة فى مادتها ، وتعد ذات مكانة ظهر منها أجل الآثار لحد أن صار أصحابها قدوة لكافة العصور الاسلامية التالية كابن الاثير ، والموفق عبداللطيف البغدادي ، وابن دحية وهو لم يدرك عهد المغول ، أو لم يتجاوز فى تاريخه الزمن المطلوب .. ولكن بعد فتح بغداد تحول التاريخ ونال عناية أكبر وتنوع القوم فيه على ما يأتي .

ولا مجال للتوسع ، ولعل فى البحث عن أصل التواريخ التى عزمنا على الابانة عنها ، وتثبيت حالاتها مما دعا أن يذكر ، أو يسوق الى محاولة جديدة ، وليس من مهمتنا الاستقصاء . فالتواريخ كثيرة . وليس المحل

محل استيعاب • تعرضت للمقابلات وادراك الفروق •• فلا نهمل فصلا ، ولا نتجاوز نقدا •• فاذا كان انتهى ابن الاثير باصلاح الطبري وأمثاله ، فان ابا الفداء نقح في الموضوع تبعاً لرغبات الكثيرين وزاد • وجاء ابن الوردي فلخص الوقائع الماضية ، واجمل ، وأضاف حوادث جديدة ، فلم يجعل الكثرة داعية للاهمال • والانتفاع يحصل بالقليل ، كما يحصل باستعراض الوقائع وهكذا ••

وهذه أشهر التواريخ نوضح عن أصحابها ، ومكانتهم العلمية والتاريخية وأساليبهم في البحث وما التزموه من مادة •

١ـ الاسعد بن مماتي

هذا من مشاهير المؤرخين في قوانين الدواوين • والآثار في هذا الموضوع قليلة ، وهو بحث خاص ، وتكاد تكون المؤلفات في موضوعه مفقودة ، ولولا توالي ظهورها لما عرفنا عن ادارة الدول السابقة وتشكيلاتها ما يستحق الذكر •• والمترجم من أعظم مؤرخي العهد ، فقد لاحظ ما يجب ملاحظته في الدواوين ، فكتب (قوانين الدواوين) ، وكان الجاحظ كتب في «أخلاق الكتاب» مما يشير الى أوضاعهم ، وأوصافهم ، ولم يعين النهج المسلوك في الادارة ، فكان يعد هذا الاثر من خير الآثار ، وجاء موسعا ومثله التعريف بالمصطلح الشريف • وهكذا (صبح الاعشى) فقد بسط ما اجمل ، وفصل ما أوجز •

وفي (نهاية الارب للنويري) ، و(دستور الكاتب في تعيين المراتب) للشمس النخجواني ما يبصر أكثر ، ويشير الى نواحٍ جديدة أو واقعية • ومثله (مسالك الابصار) لابن فضل الله العمري • فكان لكتاب ابن مماتي السبق في تدوين التاريخ الاداري ، ولكن مثل هذا الاثر يعين لنا التشكيلات الادارية للدولة ، وماهية الادارة ، واقلام الحكومة في مصر ، وسبقه صاحب (رسوم دار الخلافة)، وكذا ابن الصيرفي •• والممالك الاسلامية لاتختلف في شكل ادارتها ، فهي متقاربة في وضعها وفي غالب مصطلحاتها ، ومن ثم تصلح

لتوضيح بعض الجهات الغامضة عندنا ..[1]

وفى صبح الاعشى ، ونقله عن الآخرين يترك تفصيلات زائدة فى قوانين الدواوين كما ان كتب الرسائل ، وتواريخ الوزراء مما يوضح أكثر ، فلا يبقى هناك ما يجعل الموضوع غامضا .. وكذا نرى فى كتاب المثل السائر مطالب ، وفى خطط المقريزى تفصيل أكثر .

ومن مجموع ما كتب يتلخص لنا تاريخ صفحات الادارة .. وهذا الكتاب (قوانين الدواوين) رأيته فى استنبول فى مجلد ضخم فى (ايا صوفيا) رقم ٣٣٦٠ و٤١٨٩ ، وعلى ما أظن ان المطبوع مختصر طبع فى ٤ رجب سنة ١٢٩٩ هـ ولم اتمكن من المقابلة وكانت حروفه خشنة ولكن لا يحتمل انه عينه .. وعلى كل حال ان النسخ المخطوطة المذكورة تصلح للمقابلة وطبع طبعة جديدة نفيسة جدا سنة ١٩٤٣ م فى مطبعة مصر بتحقيق الاستاذ عزيز سوريال عطية .

والمؤلف هو القاضي الأسعد الصاحب الوزير شرف‌الدين ابو المكارم ابن أبي سعيد بن مماتى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ - ١٢٠٩ م فى حلب ، وفى هذا ما يجلو صفحة عن الادارة ، ولكل قسط من ذلك . وهو أشبه بـ (كتاب النخجواني) المكتوب بالفارسية الا انه أصغر منه وباللغة العربية وفى الامور العامة ، وكتاب النخجواني فى الامور الخاصة فى ادارة المغول والمحررات والمكاتبات الرسمية ، وعناوين الخطاب ، ومثل هذه تفيد للكشف عما تنطوي عليه ادارة الدولة ، وأوضاع الحكومة ، وأعمالها المشهودة ، ودرجة تأثرها فى عصر سابق أو تأثيرها على ما بعدها ، وما كانت تأثرت به قبل ذلك .. وقوانين الدواوين يعين الادارة فى مصر أيام صلاح‌الدين الايوبي وأخلافه ، والمؤلف نال مكانة كبيرة وكان قد أسلم أثر دخول

---

(١) ابن خلكان ج١ ص٨٤ ، والخطط للمقريزي ، ومعجم الادباء واعلام النبلاء فى تاريخ حلب الشهباء للاستاذ محمد راغب الطباخ . ومعجم المطبوعات ص٢٥٤ نقلا عن مؤرخين كثيرين .

صلاح الدين مصر ، ونال مكانة عنده لحد انه ولي قيادة الجيش ، فكان تدقيقه للادارة المصرية عن مشاهدة ومعرفة تامة وكان المؤلف ابو المكارم هذا هو الذى تهكم فى بعض آثاره بالامير (قره‌قوش) ، وان فكرة (حكم قره‌قوشي) يعتقد أنها متولّدة من جراء ذلك وكان ابن مماتي قد ولّد خصومة الوزير صفي الدين عبدالله له ، فاضطر أن يفر من مصر ، ويذهب الى الملك الظاهر فى حلب فيلتجيء اليه[1] .

٣- ياقوت الحموي

لاتظهر قيمة الاثر الا بما ينطوي عليه من مادة ، وبها تعلم مكانته والمترجم خلف أعظم الآثار ، فهو أشهر من نار على علم ، انتشرت مؤلفاته فى الشرق والغرب ، وكتابه (معجم البلدان) دائرة معارف جغرافية مهمة ، و(ارشاد الاريب أو معجم الادباء) دائرة معارف اسلامية فى أعلام الادب العربي ، وكل من تأخر عنهما كان عالة عليهما .. صادف زمانه ظهور المغول ، فأزعجوا وضعه ، وكان فى أنحاء نيسابور يدوّن مؤلفاته ، ويستعين بخزائن الكتب هناك ، ونوه بذكرها ، وأثنى كثيرا .. وفى الوقت نفسه يدعونا الامر الى الاسف الشديد أن تذهب هذه المخلدات ضياعا ونهبا وحرقا .. !!

ويعد من أكابر المؤرخين فى عهد المغول ، ومن الشاهدين أوضاع ايران ، وما لحقها من تحوّل واضطراب ، وحكى ما رأى ، ووصف ما شهد .. واذا كان لم يكتب عن المغول الا ما أبداه فى رسالته المعروفة ، والمذكورة فى ابن خلكان ، وما أورده أثناء البحث فى المعجم ، فان مخلداته الاخرى تكفي للاشادة بفضله والانتفاع بآثاره ، ولا تزال الى اليوم لم تبل جدتها الدهور ، ولا كرّ العصور ..

كان من أعظم من أنجبته الثقافة الاسلامية ، وأبرع من خدم العلوم

---

(١) (اسلامده تاريخ ومؤرخلر) ص١٦٥ .

الجغرافية والتاريخية •• ويؤسفنا كثيرا ان لم يحتفظ بجميع المؤلفات التى كتبها ، ولم تنتشر الانتشار اللائق •• وفيها الفائدة كلها ، والعائدة التى لا تنكر ، ولا يصح ان تهمل خصوصا فى كتابيه المذكورين ••

وكل ما علمناه عن حياته الخاصة انه فى الاصل من ديار الروم ، وقع فى الاسر طفلا ، وجيء به الى بغداد فبيع الى تاجر اسمه (عسكر ابن ابي نصر ابراهيم الحموي) ، فتربى فى بغداد على يده ، ومن ثم لقب بـ (الحموي) ، وولادته نحو سنة (٥٦٤ هـ - ١١٦٨ م) • وكان سيده لا يعرف القراءة والكتابة لذا رأى أن يعلمه ليساعده فى مخابراته وتجارته ، ذلك ما دعا أن يتعلم ، فنال حظـاً من العرفان • وكان مفرطاً فى الاستعداد والذكاء فأتقن حسن الخط ، ومبادىء العلوم ، فرجح على أقرانه •• ومن ثم أودع التاجر له كافة معاملاته لما رآه فيه من ذكاء ومقدرة • وذهب الى عمان ، وكيش عدة مرات ، وهكذا الى المواطن الاخرى ••

وهذه السفرات فتحت ذهنه ، وزادت فى انتباهه وبهذه المناسبة اتصل بعلماء الاقطار التى مر بها ، فاكتسب ثقافة أكمل ، ونال حظاً أزيد •• مما دعا أن يعتقه سيده فى سنة ٥٩٦ هـ • فحاول أن يغتنم ياقوت الفرصـة ، وان يحصل على رزقه من طريق تعليم الخط ، وصار ينسخ الكتب ويبيعها ، الأمر الذى دعا أن يدقق مؤلفات مهمة وعديدة • ففتحت له باباً آخر من التدقيق ، والتعرف الى المؤلفات ومطالعة الكثير منهـا •• فانكشف له باب العلم بصورة أوسع لحد أن سيده ومعتقه صـار يستخدمه براتب عنده ، وأشركه فى تجارته للاستفادة من مواهبه • فصارت له ثروة • ولما أن مات سيده صار يعمل فى تجارة الكتب ••

وفى هذه الأثناء وصلت الى يده بعض كتب الخوارج المفيدة فى ترويج آرائهم ، فطالعها وتركت فى ذهنه أثراً مهماً • ولما ورد الشام احتدم النزاع بينه وبين بعض العلويين من أهل بغداد فأثارت زعزعاً وكادت تحدث غائلة فلم ينج منها الا بشق الأنفس ، فهرب خفية الى حلب ومنهـا الى الموصل

واربل فى طريقه الى خراسان .

وهذه الحادثة بعثت الى اشتهاره كما انها أدت نوعاً الى ما يسبب قتله.. وفى طريقه دقق نواحي عديدة ، وعزم أن يكتب آثاره المعلومة والمهمة مما خلدت اسمه بين المؤلفين العظام .. فأقام فى مرو ، وواظب على قراءة ما فى خزانة كتبها من آثار ، وكانت غنيـة بالمؤلفات المفيدة ، فاستمر فى تتبعه العلمي . فاستفاد كثيرا لتحرير كتابه معجم البلدان .. وبعد أن أتم رغبته فى هذه الديار مضى الى نسا ، وخوارزم ، وما وراء النهر والانحاء الاخرى مما جاورها ، فكتب مشاهداته ، وأضافها الى ما علمه أو قيده فى معجمه ..

وكان الحاكم فى تلك الانحـاء السـلطان محمد بن تكش خوارزم شاه ، وله من الشوكة والقدرة ما لا يوصف سواء فى ايران وفى ما وراء النهر وخراسان وتركستان وخوارزم .. وكان الناس فى نعيم وهناء من العيش .. ولم يدروا ما تضمره الليـالي حتى بدل صفو العيش بمره ، وانقلب الهدوء الى اضطراب ، والراحة الى عناء .. مما لم يرد فى حسبان أحد .. فقد ظهر فاتح عظيم ، هو جنكيز خان ، فقوض تلك الحكومة بعد نضال ، ودمر ما مر فى طريقه ، فكان بلاء ليس وراءه بلاء .. اكتسح بلاد الترك مما فى أنحاء أقاصي الترك والمغول ، وجاور خوارزم شاه .. وحدث الحادث بالوجه المعروف .

ولما كان ياقوت فى خوارزم صادف ذلك ظهور جنكيز وصولته على المملكة الاسلامية .. وسارت جيوشه الجرارة نحو ما وراء النهر .. فلم يستطع السلطان محمد صد هؤلاء ، ولا توقيف سيلهم الجارف والسريع . فمضوا بسرعة البرق ، وفى مدة قصيرة وصلوا الى حدود خراسـان مما لم يكن مألوفا فى أمثال ذلك من الوقائع . وان السـلطان لـم يستطع الوقوف فى وجههم بل ان ملكه الوسيع قد ضاق عليـه بما رحب ، والتجأ الى جزيرة صغيرة فى بحر الخزر فاراً اليها .. فكان الهجوم سريعا ، والفتح آنيا ، لم يمهل الخوارزميين أن يلتفتوا الى ما وراءهم ..

وهذا ما قاله ابن خلكان :

« •• وصادفه وهو بخوارزم خروج التتار وذلك فى سنة ٦١٦ هـ ، فانهزم بنفسه كبعثه يوم الحشر من رمسه ، وقاسى فى طريقه من المضايقة والتعب ما كان يكل عن شرحه اذا ذكره ، ووصل الى الموصل ، وقد تقطعت به الاسباب ، وأعوزه دنيّ المأكل ، وخشن الثياب ، وأقام بالموصل مدة مديدة ثم انتقل الى سنجار ، وارتحل منها الى حلب ، وأقام فى ظاهرها فى الخان الى أن مات •• » اهـ[١]

وأما كتابه (ارشاد الالبا الى معجم الادبا) فقد جاء فى مقدمته :

« وجمعت فى كتابي هذا ما وقع اليّ من أخبار النحويين ، واللغويين ، والنسابين والقراء المشهورين ، والمؤرخين ، والوراقين المعروفين ، والكتاب المشهورين ، وأصحاب الرسائل المدونة ، وأرباب الخطوط المنسوبة والمعينة ، وكل من صنف فى الادب تصنيفا أو جمع فيه تأليفا مع ايثار الاختصار والاعجاز فى نهاية الايجاز ، ولم آل جهدا فى اثبات الوفيات ، وتبيين المواليد والاوقات ، وذكر تصانيفهم ، ومستحسن أخبارهم والاخبار بأنسابهم وشيء من أشعارهم فى ترددادي الى البلاد ، ومخالطتي للعباد ، وحذفت الاسانيد الا ما قل رجاله ، ومواطن أخذي من كتب العلماء المعول فى هذا الشأن عليهم ، والرجوع فى صحة النقل اليهم •• » اهـ

ويؤسف لما ناله من ضياع ثروته ، وضيق معيشته •• حتى مات فى شظف من العيش فى ٢١ شهر رمضان سنة ٦٢٦ هـ — ١٢٢٩ م[٢] ، وكان فى حياته وقف كتبه على المسجد الزيدي فى بغداد ، وسلمها الى ابن الاثير صاحب الكامل فى التاريخ ليوصلها الى المسجد المذكور ، وبعد موته أوصلت

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان وانباء الزمان ، طبعة مصر • ج٢ ص٢١ وفى ص٢١٠ بيان لمؤلفاته واما المطبوع منها ففى معجم المطبوعات تفصيل عنها •

(٢) وفى مجلة الرسالة عدد ٤٩٤ ج١٠ ذكر الاختلاف فى زمن وفاته •

الى محلها •• وذكر ابن خلكان انه رأى الناس يثنون على فضله ، ويأسف على عدم مشاهدته ، وكان عمره حين وفاته ٦١ سنة ••

ومن مؤلفـاته :

١ ـ المبدأ والمآل •

٢ ـ الـدول •

٣ ـ المشترك وضعـاً والمفترق صقعـاً • طبع بتحقيق المستشرق (وستنفلد) سنة ١٨٤٦ م فى (غوتنجن) •

٤ ـ معجم الشعراء •

هذه كلها فى التاريخ ••• ذكرها فى الوافي بالوفيـات • وذكر له تحفة الالبا فى أخبار الادبا • ولعله ارشاد الاديب •••

هذا • ولا مجال للاطالة فى وصف مؤلفاته ومنها معجم البلدان ومعجم الادباء ، منتشـران بين ظهرانينـا • الا اني أقول ان معجـم البلدان يكمله فى كثير من المواطن ويزيد معلوماته (معجم) ، عندي منه مخطوطـة ناقصة • وهو كتاب جليل جدا يحوي فوائد كثيرة •

وكان الامل أن يتعقب الطابعون أثر معجم البلدان ، ويعلقوا على ما فاته من البلدان والمواقع التاريخية ، والبلاد المستجدة الا أننا نرى المنجم الذى عندنا لم يف بالحاجة ، وكان الأولى أن يضاف بصورة تعليق على ما فات ، ويستدرك ما أهمل ، فيكون دائرة معارف فى الجغرافية نافعة من كل وجه ، لـمـا ذكره من المواد • ويحتفـظ بالاصـل كخـاطرة تاريخيـة فلم يفعل أحد ذلك •• ولخصه صاحب مراصد الاطلاع وزاد عليه بعض الشيء • وطبع طبعة حجرية فى ايران ، وأخرى فى اوربا • وطبع فى مصر طبعة جيدة ولكنها لم تخرج على المطبوع قبلها مع أن نسخة المؤلف الاصلية موجودة فى خزانة (ولي أفندي) فى استنبول كتبت بخط نفيس جدا سنة ٦٩٩ هـ قبل وفاة المؤلف بنحو أربعين سنة •

وهكذا يقال عن معجم الادباء ، فلا يهمل شأنه ، والغالب انه ينقصه

الشيء الكثير مما فات فيجب أن تتعقب أجزاءه وتقابل بين نصوصهـا ، أو مادتها لتعرف الفرق أو النقص فتضيفه ..

٣ الموفق عبد اللطيف البغدادي

ان أواخر القرن السادس الهجري وأوائل السابع كسائر العصور السابقة قد طفح بالعلماء ، وفاض بالعلوم الاسلامية في بغداد ، وفي العراق وتوسع في الاقطار الاخرى العربية والاسلامية مثل الشام ومصر وايران ، بل لا تخلو بلدة صغيرة أو كبيرة من علماء وكأن الممالك الاسلامية انقلبت الى دور معرفة ، فاهتمت الاهتمام كله في الثقافة ، وبذلت ما في الوسع لتمكينها .. بحيث صارت تشد اليها الرحال ومترجمنا كان ، ممن استكمل المعرفة في بغداد ، فلم يقنع بما في محيطه وقطره بل تجاوز حدود ذلك ، ووسع نطاق معرفته ، وبعد أن علم ما عند البغداديين مال الى الموصل ، ومنها الى الشام وهكذا طوّف في البلاد ، واستقر في مصر . فكان موضع التجلة والاحترام في علمه وأدبه ، وطبّه ، وفلسفته ، وتاريخه . الى آخر ما هنالك ، فلا نجد ضربا من ضروب المعرفة الا وتحلى به . وهناك صلة له بما أراد ، ومعرفة بما زاول ..

وبرع في التاريخ وكأنه لم يشتغل بغيره ، وكتب الشيء الكثير فيه فيصح أن يقال انه (مؤرخ عراقي) عاش في مصر ، وهكذا يقال في سائر علومه ، فكان ممن أوتي علما جما ، وفياضا . والعالم الاسلامي آنئذ انتشرت ثقافته في الانحاء الاخرى غير بغداد ، فتعددت مراكز المعرفة ، وصارت في مختلف الاقطار ، والرغبة كانت متبدلة في العلوم وصارت لكل علم مكانة في قطر أو أكثر ، ونال العلم رعاية بمن حلّها من فحول العلماء فيما زاولوا ولكن بغداد حافظت على أنها عاصمة العلم ، وان كانت الاقطار الاخرى لا يستهان بها ، والصلة تظهر واضحة أحيانا من بعض الوجوه . وفي الغالب تشد الرحال الى بغداد في الدرجة الاولى ، وعلماؤها نالوا صفة أساتذة العالم الاسلامي .

ولا ينكر ما توسع فيها من العلم ، وتمكنت الثقافات فى الاقطار الاسلامية ، وظهر مشاهير كانت لهم مواقعهم المعروفة فى العلم والادب ، بل تجاوز ذلك الى القرى والبلدان الصغيرة ، فلا تخلو من ثقافة ولا تعدم من مشاهير كان لهم الشأن . كما ان الرحالين نقلوا عنهم ، أو ان قراهم اشتهرت بما اكتسب العلماء المنتسبون اليها من شهرة ، لا لأنهم عاشوا فيها وماتوا ، بل لأنهم حصلوا على العلوم وضروب الثقافة .

وعبداللطيف البغدادي ترجمته صفحة كاشفة عن علماء عصره ، ورجال مدينته بغداد ، ورجال الشام ومصر ، فقد أخذ عنهم ، أو اتصل بهم اتصالا قلّ أو كثر ، حتى انه لم يهمل الواردين عليه ، ولا ترك الآخرين ممن اطلع على آثارهم ، فكان تاريخ حياته جديرا بالرعاية ، وأحق بالدراسة ، وهؤلاء هم أساتذة العالم الاسلامي المشاهير ، وكان هو أحدهم ، ومن المعروفين الممتازين ، وركنا ركينا ، يرجع اليه فى الاخذ ، فى العلوم الشرعية كما يصار اليه فى الطب ، ويعول على أقواله فى اللغة ، وفى علوم عديدة من أهمها الفلسفة ، وكان العارفون بها قليلين ، والمدركون لمناهجها وتياراتها أقل ، ومترجمنا كانت عنايته فيها كبيرة جدا وله فيها آراء مستقيمة .

يعد هذا الرجل بطل رواية العلماء ، فاما أن يكون طالبا ، فيعد أساتذته ، أو معاصرا فيتكلم فيهم . ويبدي آراءهم ، ويدون حقائق مهمة عنهم ، وتارة يعلّق ، وهكذا .. أو يكون ناقدا مزاحما فينشر أوصافهم ، بل ان التاريخ السياسي من جملة ما تعرض له ولو اشارة وأماط عن الوضع اجمالا بل وتفصيلا ، وتارة لخص عنه تلميحا .. وأكثر ما تكون حياته حافلة فى بيان تاريخ العلوم ، وفى الآداب ، وفى التاريخ نفسه تعرّض لتاريخ الشرق والعراق من كل النواحى السياسية والحربية فى (تاريخ مصر الكبير) ، ونقل عنه مثل الذهبي علوما جمة عيناً بايضاحها واطنابها ، وتعقب حالات العصر كلها وبحذافيرها ، فهو مؤرخ زمانه من كل وجوهه ولم ينس بغداد حتى فى تاريخ مصر ، وما شاهد من الغرائب ، أو ما لم

يره فى بغداد من مأكول ومطعوم ، وحياة مادية ، وأدبية •• ونطق بذلك من طريق المقابلة والمقارنة فى كتابه (الافادة والاعتبار) •

ويهمنا أن نتعقب حياته من أوائلها الى أواخرها ، ودرجة تأثره بالعلماء والساسة ، وبالادباء والفلاسفة والاطباء • وفى هذه دراسة العصر بكامله الا أن التاريخ الاداري والسياسي لا يهمنا التعرض له هنا ، وانما له موطن آخر ، ومكان لا يسعه هذا المقام الا بالمامة صغيرة ، ونظرة سريعة ومباحثنا تتناول مطالب المؤرخين وتواريخهم نراعيها بالترتيب ونزاولها حتى تتبين حالة العلم ، ومن ثم نتعرض لمترجمنا ونتبسط فى تاريخ حياته فى موطن غير هذا •

وكل ما عرف عنه من وصف المؤرخين له ، انه الشيخ الامام الفاضل موفق‌الدين أبو محمد عبداللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعد ، ويعرف بـ (ابن اللباد) • موصلي الاصل ، بغدادي المولد ولد سنة ٥٥٧ هـ كان مشهورا بالعلوم ، مستجمع الفضائل ، مليح العبارة ، كثير التصنيف ، متميزا فى النحو واللغة العربية ، وعلم الكلام ، والطب •• ففاق ، ويتعين هذا من تاريخ حياته ، فقد وصفه المؤرخون بهذه الاوصاف •

١ ـ أسرته العلمية :

اعتاد المؤرخون أن يتعرفوا لحياة الرجل العظيم من مراجعة أسرته ، وحالة طفولته ، أو بيان اجداده ، وما كان لأسرته من علاقة فى تربيته أو ما هناك من ثقافة عصرية دعت الى نبوغه وظهوره وهذه الامور نجدها واضحة فى حياته فقد عرفنا ماضيه منذ الصغر ، وتحققنا رجال أسرته والعلماء منهم ، وتوسع المؤلف المترجم نفسه ببيان ترجمته • ونقل مؤرخون عنه دون تعليق عليه ، أو تعرض لنقدها ، فنعلم أنها حقيقة ثابتة لا تستدعي الاشتباه ، أو التشكك فى أمر من أمور ترجمته •• وكفاه أن يكون له ماض حافل ، وباعث مشوق للقيام بالاعمال الجسيمة ، والثقافة الراقية والملاحظات الفائقة فى كل ما عهده •

(١) والـده :

كان مشتغلا بعلم الحديث ، بارعا فى علوم القرآن والقراآت ، مجيدا فى المذهب والخلاف والاصولين •• وكان يبتعد عن العلوم العقلية •• ومن ثم ربى ابنه على ما أراد ، ودربه لما شاء ، فكان عند رغبته ، وتحقق أمله فيه ، فبرز فى علوم الحديث وسائر العلوم الدينية حتى الكلامية منها •• الا انه لم يقف عند هذه ، وانما ساقته المعرفة ، وأدّى به التطلع الى علوم أخرى من أهمها الفلسفة والطب وسائر العلوم الدخيلة •• ولا أظن أن فوق هذه زيادة لمستزيد فى علوم ذلك العصر ، وكان أمله منصرفا الى تحقيق آية (ربي زدني علما) ••

(٢) عمه سليمان :

كان فقيها مجيدا • وهذا ما يدعو أن ينال المترجم حظاً من علوم الدين كلها ، وبينها الفقه ، وكان شافعي المذهب ، ذلك دافع آخر لأن يكون كأبيه وعمّه •• ولا ينكر فى هذه الحالة الاتصال العلمي ، وتبادل الآراء ، والتأثير من الواحد للآخر •• الامر الذى جعل العلماء فى احتكاك فكري ، ومطالعات لاتخلو من تعارض ، وميل الى ناحية توسع فى الآراء ، وتثبت من صحتها • ولكل أثر قيمته فى هذا التأثير موافقا أو مخالفا ، معدلا ، أو معاكسا •• مما لا ينكر توليده ولا يهمل تأثيره ••

٢ ـ أساتذته :

لا شك فى أنهم علماء عصره ، والذين أخذ عنهم •• وكل منهم لا يجارى فى مجال • وهناك الجدل ، وتضارب صور الحل ، وتفاوت الفكرة وهكذا •• والكل يستفيد من الغلطة أو يراعي المنهج ، ويعلق ما شاء •• الى غير ذلك من تكامل العلوم ، والتدرب لها •• وهكذا ما لا يحصى عداً ، ولا يقل أثرا وتأثيرا •• ويتعين هذا من دراسة الاساتذة الذين عول عليهم ولا شك ان

كل واحد منهم خلف فيه نزعة علمية ، وأسلوبا ثقافيا ترك فى نفسه ما ترك وهكذا ..

١ ـ ابو الفتح محمد بن عبدالباقي بن البطي .

٢ ـ ابو زرعة طاهر بن محمد المقدسي .

٣ ـ الشيخ ابو النجيب وهو الذى تربى فى حجره اولاً كما حكى ذلك ..

٤ ـ ابو القاسم يحيى بن ثابت الوكيل .

٥ ـ كمال‌الدين عبدالرحمن الانباري ، شيخ بغداد فى زمانه .

٦ ـ الوجيه الواسطي وكان أعمى ، وشيخ شيخه كمال‌الدين الآنف الذكر .

٧ ـ ابن فضلان . وهو مدرس بدار الذهب ، وهى مدرسة معلقة بناها فخرالدولة بن المطلب .

٨ ـ ابن عبيدة الكرخي .

٩ ـ ابن الخشاب .

١٠ ـ الشهاب السهروردي المتفلسف . لم يره أو لم يدرس عليه ، وانما اطلع على آثاره .

١١ ـ الكمال بن يونس . وكان فى الموصل ، فذهب اليه المترجم ، فوجده متوغلا فى الرياضيات والتصوف نافرا من باقي اجزاء الحكمة ، الا انه كان متفرغا للكيمياء ، منهمكا فيها انهماكا جافا حتى صار يستخف بما عداها .

وممن ذكرهم من العلماء فى ترجمته :

١ ـ ابن تاتلي (الشيخ عبدالله بن تاتلي) . ورد بغداد واتصل به علماء كثيرون .

٢ ـ الرضي القزويني ٠
٣ ـ ابن سكينة ٠

هؤلاء ذكرهم فى كتابه الافادة والاعتبار ٠ أما علماء العصر الآخرون فقد رآهم ابن دحية الكلبي وجرت له مناقشات معهم ، وهؤلاء كثيرون فى الشام ومصر والعراق وايران وبينهم أخوه وابنه ٠٠ ويعدون من أساتذة العلم ، وممن تعرض لهم علماء الرجال كابن الدبيثي وابن النجار ، وابن الاثير المؤرخ واخوته ٠ ومنهم :

١ ـ أصحاب بن حصين فى بغداد ٠
٢ ـ ابو الفتح محمد بن احمد بن الميداني بواسط ٠
٣ ـ الناصر ، گوگبري ، الكامل ٠
٤ ـ ابن مماتي الشاعر والمؤرخ ٠
٥ ـ ابن المنذر ٠
٦ ـ ابن عنين ٠
٧ ـ ابن شكر الوزير ٠
٨ ـ تاج الدين شيخ سبط ابن الجوزي ٠
٩ ـ ابن دحية (ابو الخطاب) ٠
١٠ ـ أبو عمرو عثمان بن دحية ٠
١١ ـ الشيخ السخاوي ٠

وكانت دراسته فى بغداد ، فلم يجد فيها ما يبرد غلته ، فمال الى الموصل لعله يجد من العلوم الاخرى ما يتطلبه ودخل المدرسة المسماة بـ (مدرسة ابن مهاجر) سنة رأى فى خلالها جملة من كتب الشهاب السهروردي المتفلسف (المقتول) ٠ فلم ير ما اعتقده الناس ، فقرأ التلويحات واللمحة والمعارج ، فصادف فيها ما يدل على جهل ٠٠ وهكذا مضى الى دمشق فرأى :

١ ـ جمال الدين عبداللطيف ابن الشيخ أبي النجيب ٠
٢ ـ جماعة من بيت رئيس الرؤساء ٠

٣ ـ ابن طلحة الكاتب .

٤ ـ بيت ابن جهير .

٥ ـ ابن العطار الوزير المقتول .

٦ ـ الكندي البغدادي النحوي .

٧ ـ الشيخ عبدالله تاتلي .

٨ ـ الخطيب الدولعي .

٩ ـ عمادالدين الكاتب .

١٠ ـ القاضي الفاضل .

١١ ـ ابن سناء الملك .

وهؤلاء بينهم عراقيون جمعهم صلاح‌الدين الايوبي ببره واحسانه ، فكان تحوّل العلم تقريبا الى أنحاء الشام فجمع ثلة ، وكان المترجم لم يشبع من العلم ، وأراد ان يعلم العلوم الاسلامية والشرقية ، ويستكمل العدة منها ، ويبلغ غايتها .. فلم يقف فى الشام ، وعزم على الذهاب الى مصر ..

وفيها من سمع بخبرهم قبل وصوله وهم :

١ ـ ياسين السيميائي .

٢ ـ الرئيس موسى بن ميمون اليهودي .

٣ ـ ابو القاسم الشارعي .

وهناك عين مكانته وما عمله من طلب ، وتعليم ، وادارة ثقافة ، فكان بين مصر والشام الى سنة ٦٢٥ ، ثم توجه الى أرزن الروم ، وما والى تلك الجهات ، فكان فى كلها موضع احترام ، ورأى تقديرا لعلمه وأدبه ، ولطبه وحكمته ..

والمهم من ترجمته اننا وقفنا على حالة العصر وأدركنا درجة الاهتمام بالعلوم ، كما أننا اطلعنا على حالة الفلسفة ، وتياراتها ، وهي بين صناعية كالكيمياء ، وبين نظرية ، وهكذا فلسفة المتصوفة ، والرياضيات ، وعلوم

عديدة ، وكلها تجب العناية بها ، وتستدعي الالتفات وهي من مهمات الثقافة ، أو بالتعبير الاولى نشاهد أساتذة العلم الذين يشار اليهم بالبنان ، ويعرفون بالكمال ، ولهم شأن معروف .. ومن هذا ندرك (التاريخ العلمي) ، وكذا التيار السياسي ، والادبي والاجتماعي فى مختلف نواحيه ..

هذا . والمترجم أحد هؤلاء ، أو هو جماع ثقافتهم ، والمتميز فى عصره ، والرجل الخالد فى علمه ويؤسفنا كثيرا أن لا نطلع على جميع آثاره ، وكافة مؤلفاته لتنجلي صفحة العصر كاملة ، وتعرف مكانة العلم واضحة بصفحاتها ، ومطالبها ، ولو اطلعنا على كتابه فى الذات والصفات الذاتية الجارية على ألسنة المتكلمين لعلمنا المطالب الموضوعة البحث بينه وبين الكندي ووجهة رده عليه .. وكان يقارع فحول العلم ، ويستظهر عليهم فى الكثير مما عندهم ، ويتعقب الفكرة ببحوثه ، ويراعي تيارها ، ويقطع بدون مهاجمة .

وتهمني الاشارة هنا الى الناحية التاريخية ، وهي الهدف فى موضوع بحثنا فان كتاب الافادة والاعتبار لا يكفي ، وهناك ما يعرف بقدرة الرجل فى التاريخ ، فقد نقل عنه الذهبي مباحث طويلة تتعلق بالمغول ، وتتناول ظهورهم وحياتهم ووقائعهم التى جرت فى عصره ، فتبسط فيها ، ولم يبق زيادة لمستزيد . وان الذهبي جعل مادته مستقاة منه ، فهو المرجع المهم بين سائر المراجع التاريخية ، وقد بز المعاصرين له .. ولم يعين الذهبي نقله ، ولا بالى بذكر مرجعه ، والظاهر انه يعول على (تاريخ مصر الكبير) له ، جمع فيه ما يتعلق بحوادث المغول والعالم الاسلامي فى أيامه .. فهو خير مرجع لذلك العصر . وان فقدانه خسارة كبيرة .

وعلى كل حال يظهر من آثاره المختلفة انه جمع ثقافات مختلفة ، فكان صفحة كاملة ، وواضحة لا يعتريها نقص ، ولبغداد أن تفخر به فى سعة علمه ، وحكمته ، وطبه ، ولغته ، ونحوه .. وفى كلها بز الأقران ، وفاق أهل الزمان ، فكان لا يضارعه نظير ، ولا يشاكله مثيل . والقدرة البشرية

لا حد لها كما يفهم من تراجم أمثاله من فحول الادب والثقافة ، فخلدوا مظاهر القدرة المودعة فيهم ، وزاولوا أمورا جساما يعجز عنها جماعات ، ويخذل فى طلبها أمم .. فهو من نتاج عصرنا ، وأفاضل جيلنا المذكور ، ويحق له أن ينعت بانه (وحيد دهره) ، و(فريد عصره) باستحقاق و كفاءة .. ولو أوضحنا كل ناحية من نواحي حياته لاستوعبت سفراً ، والذى خان فى المعرفة أو قصّر فيها قلة الآثار الباقية له لا سيما فى التاريخ من بين مخلفاته ، ومع كل هذا لو تعقبناها لوجدناها فى أسفار المتأخرين منتشرة ومنقولة .

واذا كانت مؤلفاته ضاعت ، أو هلكت ، أو كانت لا تزال فى زوايا النسيان فلا شك ان المنقول عنه عيناً يجعلنا نقطع فى انه من أكابر المؤرخين ، وانه خلّد (تاريخ العراق والمغول) فى صفحات كانت غامضة . فاذا كان ابن الأثير اتجه اتجاها مرضيا ، فان الاتجاه الذى سلكه كاشف لما هنالك فأضاف ما لم يخطر ببال .. وفى تاريخ الذهبي الموجود فى مكتبة ايا صوفية تفصيلات لمن أحب التزود ، والا فلا مجال هنا لايراد كل ما قال . وترجمته فى عيون الانباء ج٢ ص٢٠١ وفى فوات الوفيات ج٢ ص٧ وفى حسن المحاضرة ج١ ص٢٥٩ ، والخطط الجديدة ١٥-٧٩ ، وبغية الوعاة ص٣١١ .

ومن مؤلفاته :

١ ـ الافادة والاعتبار فى الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر . طبع مرارا .

٢ ـ ذيل الفصيح . طبع مع كتاب التلويح فى شرح فصيح ثعلب ، وفى مجموعة الطرف الادبية[١] .

٣ ـ أخبار مصر الكبير[٢] .

---

(١) معجم المطبوعات ص ١٢٩٢ و١٢٩٣ .

(٢) الوافى بالوفيات ص ٧١ . ولا يعرف محل وجوده .

٤ ـ ابن الاثير

التاريخ لم ينل مكانته المطلوبة فى النفوس ، ولا خرج عن انه مجموعة قصص وفكاهات الا بظهور الاسلام الذى أعلن للملأ آية «فى قصصهم عبرة» وآية «ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر ، حكمة بالغة فما تغني النذر» وآية « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأٍ فتبيّنوا » وآية «والذى جاء بالصدق وصدق به» مما لا يحصى من الآيات ، والاخبار ، والنتائج المترتبة عليها •• وندّد بمن يقول « ان هذا الا أساطير الأولين اكتتبها » ، مما نبّه الى أن الاخبار يستفاد منها للمجتمع ، وللسلوك الشخصي والآداب العامة ، وغيرها ما لا يحصى •• ولم يقلل من شأن التاريخ ظهور بعض القصص الخرافية من أناس لا يعرف لهم شأن ، وانما مثلت نفسياتهم السخيفة • ومن ثم قام المسلمون فى التوثق من صحة الاخبار ، ووضعوا قوانين للجرح والتعديل ، وحققوا فى أصول الفقه موارد الالفاظ وطريق الاستفادة منها للفقه ، وكذا ترجيح الادلة له ولغيره من العلوم التاريخية ، والاجتماعية والادبية •• فكانت خدماتهم للتاريخ كسائر العلوم الاجتماعية متلازمة ، وهؤلاء المؤرخون قاموا بجهود عظيمة نالت منزلة كبيرة انتهت بابن الاثير •• وكان النصيب الأوفر لأولئك الفقهاء والمحدثين الذين جعلوا مهمتهم التوثق من صحة الخبر •• فكانوا قدوة الامم فى التاريخ ، ولهم المكانة الممتازة بين مؤرخي العالم لا يكاد يوازيهم فى نهجهم أحد ، ورأينا الامم الشرقية جمعاء سارت على طريقتهم فى تواريخهم ، ومدونات أخبارهم •

والمؤرخون من العرب رأوا أن قد تجاوز بعضهم حدود التاريخ وهو الصابىء ، فأقل ما نقلوا عنه انه كان ينمّق الأكاذيب ، ويزوّق الأباطيل • سواء قالها هو أو قيلت على لسانه لتبيين حالته ، وبيان درجة الوثوق به •• استخدم التاريخ (للسياسة) ، فنالته الضربة الموجعة التى يهون دونها تتنه ، ويسهل صابه ، فصار مضغة العصور ، وتنديد الدهور •• وكان لا يزال يشار الى ان الوقائع يجب أن تعرف بوجهها الصحيح ، كما وقعت لئلا

يشوش الاستنتاج ، وتشوه الحقائق .

رأينا الوقائع التاريخية صارت مادة لموضوع روائي ، وقولا ملفقا مبناه الحوادث التاريخية ، وهو لا يعرفها الا في الاسماء ، ولا يراعيها الا في مواطن وقوعها .. وتخالف التاريخ من كل وجه ، وتباينه تماما .. فاتخذ الكثيرون التاريخ مدارا لتوسع الاحلام ، ونشاط الخيالات وان تسرح في فضاء بعيد المدى . وأنكى من هذا أن يقصد (بالتاريخ المختلق) التهذيب ، ويراعي فيه الاصلاح ، بعقلية سخيفة مبناها التهويل ، وأساسها الاستهواء .. مع اننا نعلم ان الحق أعز وأولى من أن يقوى بباطل ، أو ينصر ببهتان ، أو يؤيد بتهويل واستهواء في حين أن الحوادث المقطوع بصحتهـا كثيرة ، وصالحة للاخذ والاستنتاج الا أن ضيق العقلية ، وفقدان الاطلاع مما يسد الابواب في وجوه الذين يستخدمون الشعوذة الدنيئة باسم الاصلاح .

ومؤرخنا من الذين تسلحوا بعلوم القرآن من حديث ، وأصول ، وهو من المولعين بالتاريخ ، وله رغبـة أكيـدة ، ومادة مكينـة واشتغال مستمر وكان موثوق الكلمة ، صادق اللهجة ، قوي الحجـة لا يتكلم بلا مستند ، وبلا اعتماد الى نقل صحيح .

والعراق يفخر بأمثال هذا المؤرخ الجليل ، فهو غرة في جبين العصور ، لا يستهان به ، ولا يوجه عليه ما يوجه على سائر المؤرخين ، قال المتنبي :

تصفو الحيـاة لجـاهل أو غافل

عمـا مضى منهـا ومـا يتوقـع

ولمن يغـالط في الحقـائق نفسـه

ويسـومها طلب المحـال فتطمـع

ومن لا يتأثر من حوادث التاريخ ولا يستطلع المستقبل استدلالا بالحوادث الماضية وما يتوقع من الحوادث عما مضى ، وما يتوقع منها فقد رضي

لنفسه الجهل والحمق كما هو شأن من يغالط نفسه .. وقوله :

ليت الحوادث باعتني الذى اخذت

مني بحلمي الذى اعطت وتجريبي

يشير الى انه عرف التاريخ ، وذاق حلوه ومره ، الا انه انتبه بعد اللتيا والتي . والامة التى تملك أمثال هؤلاء لا يخشى أن تموت ، فانها تنتبه قطعاً ، وتذكر هذه الآثار الخالدة ، ولا تنام عنها ، وان كان اعداء العرب كثيرين ، ما زالوا ولا يزالون يندّدون بتواريخنا ، وانها مبناها الروايات ، بل أخذوا هذا النقد من مؤرخينا وصاروا يلوكونه . ويتخذونه وسيلة للقضاء على تواريخنا . ساء ما توهموا خصوصا اننا لا نرى فى غير العرب والمسلمين تاريخا بمعنى الكلمة . والنقد دعا أن ينال التاريخ مكانته .

وهذا المؤرخ العظيم لاحظ التواريخ قبله ، فانتفع منها وبالاخص (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي فانه قلب وفيات اشخاصه الى السنين ، وزاد عليه الى أيامه ، كما ان السمعاني استفاد من الانساب فقلب مادة الخطيب وأضاف اليها فظهرت فى كتابه المعروف بـ (كتاب الانساب) ، فان هذا أثار نشاطا فى كتب الطبقات ، وفى وفيات العلماء فاقتبس منه ابن الأثير وفياته ، ومؤلفون لا يحصون زادوا عليه استدراكات ، وذيّلوا فى عصور متوالية .

١ ـ أسرته :

عربية من آل شيبان ، كانت تقيم فى جزيرة ابن عمر[١] ، ولد فيها

---

(١) قال ابن خلكان فى ج١ ص ٤٩٤ : اكثر الناس يقولون جزيرة ابن عمر ، ولا أدرى من ابن عمر ؟ وقيل انها منسوبة الى يوسف بن عمر الثقفى أمير العراقين ، ثم انى ظفرت بالصواب فى ذلك وهو أن رجلا من أهل (برقعيد) من أعمال الموصل بناها وهو عبدالعزيز بن عمر فأضيفت اليه ، ورأيت فى بعض التواريخ انها جزيرة ابنى عمر أوس وكامل ولا أدرى ايضا من هما ؟ ثم رأيت فى تاريخ ابن المستوفى فى ترجمة ابى السعادات المبارك أخى المترجم انه من جزيرة أوس وكامل ابنى عمر بن أوس الثعلبى . الظاهر (التغلبى) (الوفيات ج١ ص ٤٩٤) .

المترجم فى ٤ جمادى الاولى سنة ٥٥٥ هـ - ١١٦٠ م ونشأ بها ، ثم سار الى الموصل مع والده واخويه فسكنوها ، وفيها ظهر نبوغهم وخدمتهم للثقافة ونفعوا بما علموا • قال ابن خلكان :

« ابو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب عزالدين •• » وكان آل بكر فى تلك الانحاء وشيبان منها • وفى أوائل الفتح الاسلامي كانت شيبان تسكن العراق وحاربت العجم ورئيسها المثنى بن حارثة الشيباني المشهور ، ولا تزال ربيعة وتغلب فى العراق منثرة ومنتشرة • وكانت عشائر بني شيبان فى أنحاء شهرزور فقضى عليهم عضد الدولة البويهي فى رجب سنة ٣٦٩ هـ فتبعثروا[١] •

وفى تاريخ (اتابكة الموصل) نقل عن والده الشيء الكثير ، وهو ممن عاصر جماعة من هؤلاء الاتابكة ، وسمع عنهم فأورد ما بقي فى حافظته مما سمعه منه ، وزاد على ذلك • وفيه علم جمّ ، وانتقاء بديع يشير الى ما وراءه •• وبالتعبير الأصح ان المؤلف تغذى بالتاريخ من والده ، فكان أكبر حافز لتدوينه • واخوته :

١ - أبو السعادات مجدالدين المبارك[٢] •

٢ - أبو الفتح ضياءالدين نصرالله[٣] •

٢ - تحصيله :

سمع المترجم فى الموصل من شيوخ عديدين :

١ - من أبي الفضل عبدالله بن احمد الخطيب الطوسي ومن فى طبقته • ثم قدم بغداد مرارا حاجا ورسولا من صاحب الموصل • وفى هذا ما كمل ثقافته باحتكاكه بعلماء كثيرين •• فسمع :

---

(١) الكامل لابن الاثير ج٨ ص ٢٣٣ •

(٢) ابن خلكان ج١ ص ٦٢٨ ومثله فى العينى •

(٣) فوات الوفيات ج٢ ص ٢٣٣ •

١ ـ من الشيخ ابي القاسم يعيش بن صدقة الفقيه الشافعي •

٢ ـ من الشيخ أبي أحمد عبدالوهاب بن علي الصوفي •

وبغداد آنئذ مركز ثقافة عالية • اتصل بهؤلاء وبعلماء كثيرين ، كما أنه عرف مجاري السياسة ، وما عهد اليه القيام به من أسرارها ، وكفاه فخرا أن اعتمدته حكومته لهذه المهمة مهمة الرسالة فقام بها •• وفي الآية الكريمة « ان خير من استأجرت القويّ الأمين » •

والرجل لم يقف عند هذا الحد من حدود المعرفة ، ولا ما اتصل به من محيط ، بل ذهب الى الحج واتصل بمن صادفهم من علماء ، ورحل الى الشام والقدس ، وهل بعد هذا زيادة لمستزيد ؟•• وكفاه ان اتصل ببلاد المعرفة والثقافة ••!! ومن ثم انصرف للافادة •

عاد الى الموصل وقد ملّ الأسفار ولزم بيته متنصبا للتوفر على العلم والتصنيف ، فكان ذلك غايته الاخيرة ، ومهمته التي قام بها • ومن ثم ظهرت مصنفاته بعد ان تكاملت معرفته فنضجت آثاره • وصار بيته مجمع الفضل لأهل الموصل والواردين عليها فكان بحق (جامعة) أو (دار ثقافة) ، و(منهل علم) و(نادي معرفة) ••••

روى عنه الديثي ، والشهاب القوصي ، والمحدث ابن أبي جرادة (هو ابن العديم) ووالده أبو القاسم في تاريخه وحدث عنه الشريف ابن عساكر ، وسنقر ، وابن خلكان قاله الذهبي في تاريخه الكبير وكذا أبو الفضل ابن البلدجي كما في (تلخيص مجمع الآداب) •

٣ ـ علمه :

وهذا محل الاستفادة • ظهر علمه في ناحيتين في مصنفاته ، وفي الاخذ عنه من طريق الاتصال به • قال ابن خلكان :

« كان اماما في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به ، وحافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة ، وخبيرا بأنساب العرب وأيامهم ووقائعهم وأخبارهم •• » اهـ

ـ نعم ان المرء لا يشبع من الاستزادة ، وجاء في الخبر « منهومان لا يشبعان ، طالب علم وطالب مال » ، وفي الآية الكريمة « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » وفي أخرى « رب زدني علماً » .

ومن الجهل أن يقال فلان أتمَّ تحصيله ، وانما المرء طالب علم . وخير هؤلاء الطلاب من علمَ وعلَّم ، واستفاد وأفاد .. والملحوظ أن الاستفادة منه رأسا ذهبت في حينها وهذه لا حد لها ولا تحصى قيمتها ، ظهرت في تلامذته والآخذين عنه ، ولكن الاستفادة الاخرى منه انما كانت في مؤلفاته وآثاره الباقية . انتبه القوم اليه مؤخرا ، فوجدوا ضالتهم وموطن رغبتهم ، فصاروا كأنهم يقتبسون منه في حياته ، ويرتوون من منهله العذب الصافي بعد وفاته .. أو بالتعبير الأصح كانت آثاره خالدة ، ونفعها عميما .

٤ ـ ما قيل فيه :

هذا ولا يكفينا أن نتوغل في الثناء ، ونسترسل في المدح من طريق الاستفادة منه أو من مؤلفاته وانما ننظر الى ما قيل فيه من أكابر الرجال .

(١) من النقل عن ابن خلكان . وتفصيل ترجمته في (وفيات الاعيان)[١] .

(٢) وفي تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب[٢] . قال :

ذكره شيخنا مجدالدين ابو الفضل ابن بلدجي[٣] في مشيخته وقال : كان عالما في السير وفنون الآداب والتواريخ ، صحبته كثيرا سفرا وحضرا وأجاز لي مرارا ، وله مصنفات كثيرة .. قال : وقرأت عليه الاجزاء

---

(١) ابن خلكان ج١ ص ٤٩٤ طبعة بولاق .

(٢) المجلد الرابع المخطوط في الخزانة الظاهرية في دمشق ونسخته المصورة في خزانة المتحف العراقي في بغداد .

(٣) وابو الفضل مجدالدين بن بلدجي هذا هو عبدالله المتوفى سنة ٦٨٣ هـ وترجمته في تاريخ العراق بين احتلالين ج١ ص ٢٣٣ ومنتخب المختار ص٧٥ والفوائد البهية ص ١٠٦ .

السراجيات بروايته عن الخطيب ابي الفضل الطوسي .. »[١] وفيه ذكر مؤلفاته وولادته ووفاته .. وهنا علمنا ان البلدجي وهو من أكابر الفقهاء أخذ عنه .

(٣) وقال ابن كثير : « مصنف (أسد الغابة في أسماء الصحابة) ، وكتاب (الكامل في التاريخ) وهو أحسنها حوادث .. وكان يتردد الى بغداد وكان خصيصا عند ملوك الموصل ، ووزر لهم .. وأقام بها في آخر عمره موقراً معظماً الى ان توفي . » اه .

(٤) وفي تاريخ الذهبي الكبير : « المؤرخ الحافظ .. كان اماما نسّابة ، مؤرخا اخباريا أديبا ، نبيلا ، محتشما ، وكان بيته مأوى الطلبة ، وأقبل في آخر عمره على الحديث ، وسمع العالي والنازل . وصنف .. اه . وذكر من روى عنه من المشاهير ممن سبق بيانهم ..

٦ ـ وفي (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) للسخاوي بيان عنه ووصف مؤلفاته ، ونقد مستفيض .. وكل هذه الآثار كبيرة ، ورجال التاريخ يثنون عليه ويلهجون به ويعدونه اماماً في الحديث والتاريخ .. ولا يهمنا نقل الاقوال الكثيرة فيه .

٥ ـ مصنفاته ونهجه التاريخي :

للمؤلف طرق مختلفة في تدوينه التاريخ ، وفي مصنفاته كلها أبرز مهارة وقدرة ، فلا يرجح بعضها على بعض . ويتعين ذلك من تحليل مؤلفاته وبيان مكانتها العلمية ، فهي أصل التحقيق ، وطريقة البحث . أعد المادة وقدمها لقرائه ، فلم يستغن عنها مؤرخ ، أو مثقف .

(١) الكامل في التاريخ :

وهذا من أجلّ آثاره ، وأعظمها عائدة ، ومن أهم ما فيه أنه راعى (ترتيب السنين) ، وهنا نرى بعض النقد موجها عليه

---

(١) تلخيص مجمع الآداب ص ٣٠-٣١ .

من جراء أنه لم يراع تسلسل الحوادث المتماثلة واطرادها فيقطع الحادث في سنة عما كان قبله من السنين الاخرى المتعلقة بها ، وما حدث بعدها .. فلا يقرب بين المتماثلات .. وجاء ذكره في تاريخ دولة الأتابكة باسم (المستقصى في التاريخ) .

ويوضح ذلك انه اذا تكلم ــ مثلا ــ على قبيلة فلا يستمر في تدوين حوادثها حتى يتمها ، واذا تعرض لنحلة فلا يوالي تطوراتها ، واذا أورد ملكاً فلا يزاول وقائعه الى آخر أيامه . وهكذا نرى فصلا بين أمثال هذه ، وتباعداً بين الحادث والآخر مثيله ..

وهذا مغتفر في تاريخ عام كهذا يدوّن كافة الحوادث ، ويتعرض لجميع الوقائع والحكومات مراعيا سلسلة ترتيبها ، وتاريخ وقوعها .. فكأنه سجل أو بحر وقائع نغرف منه ما نشاء فلا وجه للنقد الموجّه عليه من هذه الجهة .. لأن الوقائع غير محدودة ، وتصنيفها مختلف ، تتباين فيه الأذواق ، وتتضارب الفهوم .. لا يوافق رغبة الا عارض غيرها وعندنا أمثال ذلك ما هو مشهود فالجرائد اليومية ما هي الا وقائع مطردة تدوّن في ساعتها .. وكذا المجلات .. فانه لا يختلف عنها الا انه لا يذكر الا المهم ، وتثبيت الحوادث أصل ، والامور الاخرى متفرعة عنه ، وطريق التسهيل يتيسر باستخدام الفهارس .

وفي هذه الحالة ايضا أشار المؤلف الى انه استوعب الوقائع المفردة ، والحوادث التي لا ارتباط لها مستمرا ، ولا اتصالا دائميا . فرجح أن يوحدها وان يسرد متعلقاتها جميعها . ولكن هذه بصورة خاصة ، وفي أوضاع معلومة كما أشار الى ذلك مع تصريحه أن حوادث السنة الواحدة لا يفرق بينها ، وانما تذكر دفعة واحدة . وان المؤلف تعرض لنواح عديدة .

وفي تاريخ العراق بين احتلالين راعيت تسجيل الحوادث على هذا الاساس الا أنني توسعت في المطالب فكتبت في مواضيع خاصة في (العشائر)

وفي (اليزيدية) ، وفي (الكاكائية) ، وفي (الشبك) ، وفي (الخط) ، وفي (المساجد) ، وفي (العقائد) العديدة وفي (التاريخ العلمي) ، وفي (التاريخ الادبي) الى آخر ما هنالك لأقرب للقارىء الأخذ .

قال : « اني لم أزل محباً لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها موثرا الاطلاع على الجلي من حوادثها وخافيها . فلما تأملتها رأيتها متباينة في تحصيل الغرض ، يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل الى العرض ، فمن بين (مطول) قد استقصى الطرق والروايات ، و(مختصر) أخل بكثير مما هو آت ، ومع ذلك فقد ترك كلهم العظيم من الحادثات ، والمشهور من الكائنات ، وسود كثير منهم الاوراق بصغائر الامور التى الاعراض عنها أولى ، فترك تسطيرها أحرى .. وقد أرخ كل الى زمانه ، وجاء بعده من ذيل عليه ، وأضاف المتجددات بعد تاريخه اليه ، والشرقي منهم قد أخل بذكر أخبار المغرب ، والغربي قد أهمل أحوال المشرق .

فكان الطالب اذا أراد أن يطالع تاريخا احتاج الى مجلدات كثيرة وكتب متعددة مع ما فيها من الاخلال والاملال . فلما رأيت الامر كذلك شرعت في تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما ليكون تذكرة لي ... » اه

ومن ثم نرى انه وجه النقد على الكتب التاريخية فجعلها سببا لتحرير كتابه لما رأى فيها من نقص أو اخلال في مادة أو ترتيب ، أو لاحظ فيها من بيان ناحية والاكتفاء بها ، وان بعضها أخل ، والآخر أطنب فأمل . وهكذا لم ير واحدا منها صالحا لأن يقف عنده فالمتقدم فاتته الحوادث المتأخرة .. فمضى على ذلك ، فأراد أن يدون صفوة ما رأى فكان بحق كاسمه كاملا فأزال نقص تلك ، والخلل فيها .

جعل تاريخه تذكرة له يراجعه ، فأتى فيه بالحوادث من أول الزمان

متابعة يتلو بعضها البعض الى زمانه ، ولم يدع الاستقصاء ، بل جمع ما وصل اليه في كتاب واحد ، ومن ثم لاق أن يقول فيه السخاوي « هو كاسمه الكامل » ، وبحق قال فيه ابن حجر انه أحسن التواريخ بالنسبة الى ايراده الوقائع موضحة مبينة حتى كأن السامع في الغالب حاضرها ، مع حسن التصرف وجودة الايراد .. » اهـ(١) .

وطريقته انه اعتمد تاريخ الطبري بأخذ أتم الروايات أو جمعها ووحد طرقها ، وأضاف اليها ما نقله من التواريخ الاخرى الا ما يتعلق بما جرى بين أصحاب رسول الله (ص) فانه لم يضف الى ما نقله أبو جعفر الطبري شيئا الا ما فيه زيادة بيان أو اسم انسان أو ما لا يطعن على أحد منهم في نقله ، قال : وانما اعتمدت عليه من بين المؤرخين اذ هو الامام المتقن حقا ، الجامع علما وصحة اعتقاد وصدقا على اني لم انقل الا من التواريخ المذكورة والكتب المشهودة ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه ، وصحة ما دونوه .. (الى ان قال) ولم أكن كالخابط في ظلماء الليالي ، ولا كمن يجمع الحصباء واللآلي . ورأيتهم — بعض المؤرخين — ايضا يذكرون الحادثة الواحدة في سنين ، ويذكرون منها في كل شهر أشياء فتأتي الحادثة مقطعة ، لا يحصل منها على غرض ، ولا تفهم الا بعد امعان النظر ، فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد ، وذكرت كل شيء منها في أى شهر أو سنة كانت فأتت متناسقة متتابعة قد أخذ بعضها برقاب بعض ، وذكرت في كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها ، فاما الحوادث الصغار .. فانني افردت لجميعها ترجمة واحدة في آخر كل سنة فأقول : (ذكر عدة حوادث) ، واذا ذكرت بعض من تبع وملك في قطر من البلاد ولم تطل أيامه ، فاني أذكر جميع حاله من أوله الى آخره عند ابتداء أمره لأنه اذا تفرق خبره لم يعرف للجهل به ، وذكرت في كل سنة من توفي فيها من مشهوري العلماء والاعيان والفضلاء ، وضبطت الاسماء المشتبهة المؤتلفة في الخط المختلفة في اللفظ

(١) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص١٤٦ .

الواردة فيه بالحروف ضبطا يزيل الاشكال ويغني عن الانقاط والاشكال .. » اهـ

هذا ما بينه المؤلف فى طريقته وما عين فى التواريخ الاخرى من نقص فتلافاه .. ولا يتوجه عليه لوم بعد هذا البيان ، وانما قرر حقائق واقعة ، وأدلة ناصعة . مما ألهمته مطالعة التواريخ السابقة فقد توقى مما وقع فيه المؤرخون قبله ، فاستفاد من أوضاعهم ، ومن تدويناتهم ، فعدل فى تاريخه وعين الاسباب الموجبة لتأليفه .. فوحد التواريخ وجمع جمعا معقولا ، وسار سيرة مقبولة وحذا حذو المؤرخين الصادقين .

وكان المؤلف قد كتبه ، ولم يراجعه الا احيانا ، ويعاوده الا خلسة ـ كما قال ـ وقد ألح عليه كثيرون ، وكان الملك الرحيم بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل قد طلب اليه أن يبرزه ، فامتثل أمره .. الا انه بيّن ان من ألف فقد استهدف ، وأنه يكون عرضة للنقد ، وينصب نفسه غرضا للسهام ويجعلها مظنة لأقوال اللوام .. وصار لا يبالي بعد أن اعتقد صحة ما كتب .. ان يكون قد اخطأ ، أو جهل أكثر مما علم .. وسأل من الله تعالى أن يرزقه قلبا عقولا ولسانا صادقا ، ويوفقه للسداد فى القول والعمل ...

وهذا ما قصه المؤلف فى معاصريه قال :

« ولقد رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية ويظن بنفسه التبحر فى العلم والرواية يحتقر التواريخ ويزدريها ، ويعرض عنها ويلغيها ظناً منه أن غاية فائدتها انما هو القصص والاخبار ، ونهاية معرفتها الاحاديث والاسمار . وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللب نظره ، وأصبح مخشلباً جوهره ، ومن رزقه الله طبعا سليما ، وهداه صراطا مستقيما علم أن فوائدها كثيرة ومنافعها الدنيوية والأخروية جمة غزيرة ... » اهـ

ثم سرد المؤلف الفوائد وأوضحها والكتاب كله أمثلة ووقائع ..

التحامل عليه :

ولا يزال يحمل بعض هذه الآراء الكثير من معاصرينا والعبرة لرجال التاريخ الاكابر وأقوالهم وأعظم من هؤلاء ان الامم جمعاء لم تهمل التواريخ

بل نراها زادت عنايتها لمعرفة حياة كل مجتمع وأطواره . ويهمنا تاريخ ابن الاثير فهذا المنشىء النسوي قال فيه :

« ورأيت الكامل من تأليف .. ابن الاثير ، يتضمن من أحاديث الامم عموما ، وغرائب أخبار العجم خصوصا ما شذ عن غيره ، وانصف لعمري في تسميته (كاملا) ما ألف ، ولم استبعد ظفره بشيء من تواريخهم المؤلفة بلغتهم ، والا فما الامر يؤخذ بالقياس ، والذى أودعه تأليفه منها أكثر من أن يتلقف من أفواه الناس .. » اه

وأرى انه فى صفحة المغول صح أن يوصف بهذا فكيف بنا لو نظرنا الى النواحي الاخرى وما يستحق فيها من فضل .. فى حين أن الاستاذ المنشىء ذكر التواريخ الاخرى بقوله :

« انني لما وقفت على ما ألف من تواريخ الامم الماضية ، وسير القرون الخالية ، واتساق أخبارها من لدن انتشار ولد آدم أبي البشر (ع) الى زماننا هذا سوى ما صادف فترة ، رأيت قصارى كل مؤرخ تكرير ما ذكره المتقدم عليه بيسير من الزيادة والنقصان ، الى أن يسوق الحديث الى زمانه ، وحوادث أوانه ، فيوردها شافية كافية ، ومن وراء الاشباع والاقناع آتية ، وشتان ما بين الخبر والخبر ، وأين العيان من اقتفاء الاثر . » اه

وهنا تظهر مزايا تاريخ ابن الاثير فى انه حذف المكررات ، وجمع بين المشتركات وقال كلمته فأبرز ما عنده ، وكان أثره خالدا ، وباقيا .. ما دام التاريخ يقرأ ..

ونحن هنا نريد أن نذكر ما فاه به المؤرخون المشاهير ، ورأوه من الكمال فيه ومن هؤلاء ابن الاكفاني قال : « اضبط التواريخ فى زماننا الذى جمعه ابن الاثير » اه[1]

---

(١) ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد ص١٩ . عندي منه عدة نسخ خطية وطبع فى بيروت باعتناء الشيخ طاهر الجزائرى سنة ١٩٠٤ م ، ومؤلفه ابن الاكفاني السنجاري تكلمت عليه فى مقدمتي لكتاب الجماهر فى الجواهر الذى نشره الاستاذ الاب أنستاس الكرملي المتوفى فى ٧ كانون الثانى سنة ١٩٤٧ م .

والنقص كما قاله المؤلف لا يخلو منه سائر المؤرخين • ونريد أن نعلم ما قيل فيه من تحامل أو قول والا فان جهال التاريخ كثيرون ، وأصحاب الاغراض لا يخلو منهم عصر ، ولا نمضي دون أن نبين قيمة ما قالوا فاذا كان المؤلف نعت بعض المتحاملين على التاريخ ، فلا شك اننا نرغب أن نسمع ما قيل في نفس التاريخ ••

نقدوا ترتيبه • وهـذا يتوجـه عليـه من جهة ان بعضهم لا يراه جامعا لوحدة ونظام ، فلا يروق لهم وضعه بل يوجهون سهام اللوم على كل مؤلف هذا شأنه •• فهم يريدون مباحث خاصة في موضوعات معينة ، تجمع فيها الحوادث مطردة ، لا تتجاوز حدودها •• أو بالتعبير الأولى يريدون أن يفرق الى ألوف من الكتب والرسائل •

فهذا النويري نقد تاريخ السنين وقال ربما قطع على المطالع لذة واقعة استحلاها •• فانتقل المؤرخ بدخول السنة التي تليها ••• فلا يرجع الى ما كان قد أهمه الا بعد مشقة ، وقد يعدل اذا طالت المسافة[١] •

ثم بين وجه اختياره للدول ، وما يعرض له من الحوادث المتداخلة والتوجيه فيها والمخرج منها وهكذا مضى •••

ومثله الكتب التاريخية الاخرى ، ووضعها يعين نهجها ، ومن كلها نعرف اختلاف الترتيب ، وتعارض الاذواق والآراء فيه الى غير ذلك ما تفيد ملاحظته ، ومراعاته وتمحيصه •

هذا • ولم يفرق بين السجل والموضوع الخاص ولم يدر هؤلاء ان هذا النوع من التاريخ عام ، وسجل شامل لوقائع الممالك مراعيا فيها سنيها ، وهو في هذه الحالة لا يترك شاردة ولا واردة ، فاذا خصه بالملوك لا يتمكن من البيان عن الاهلين ، واذا تكلم عن العلماء اغفل الادباء •• وهكذا اذا تعرض للبلدان ضاع عليه ما يخص غيرها كالعشائر والقبائل والنحل •• فلا

---

(١) نهاية الارب ج١٣ ص٢ •

يقتصر على فئة ، ولا صنف من الناس •• ومثل هذا يحتاج الى مؤلفات عديدة •

وابن الاثير قرر ترتيبه وأبدى الاسباب الموجبة لتأليفه مما عوّل عليه من المطالب التى زاولها ، وتجنب نهج بعض التواريخ التى توجه عليها النقد فالتمس الخلاص مما صوب اليها • ومع هذا درس نفسيات الناس ، وعرف منطوياتها وآمالها المختلفة فبين أنه سوف لا يسلم من تنديد أو نقد ، فوطن نفسه لمجابهة ذلك فى تفاصيله ، ولم يبال بما هنالك•

وفى هذه الحالة يصح ايراد حكاية (الملا نصرالدين) فى ارضاء الناس لما ان كان ابنه معه ولهم دابة واحدة ، فكانت الاقتراحات فى ركوبها متباينة ، والمطالب مختلفة ، والآراء منشقة •• فأخذته الحيرة وانما جعل لنفسه (مخرجا) ، ولم يبال بالنقد ولا باللوم ، ولا بالمطالب المقترحة فى الآراء المنعوتة بـ (الدبرى) ، فمضى فى سبيله وذهب فى نهجه معتقدا صحة ما ذهب اليه ، وصدق ما زاوله فى مؤلفاته الاخرى ، برهن على أنه لم يكن عاجزا ان يطرق خططا جديدة فى التاريخ وأوضاعا أخرى ، وأساليب خاصة ، فلم يعسر عليه نهج ، ولم يعصه أمر •• والمادة موجودة ، والبناء قدير ، والمهندس شهير ••

تاريخه هذا مادة الكاتب ، والمرجع العظيم من تاريخ الاسلام والعرب لا يستغني عنه أحد وكفاه فخراً أن نعته العلماء بأكبر النعوت ، وأفضل الاوصاف ، أطروه بما يليق به ، ومدحوه بما يستحقه •• مما يدل على ترجيح هذا التاريخ على غيره ، وانه نال المكانة من النفوس ، وقد قيل : (وبضدها تتميز الاشياء) •• بل لم يزاحمه غيره ، ولا نافسه منافس فى وضعه وأسلوبه ، والامر لا يقف عند التلذذ والتذوق ، فلم يبرز ما فاقه أو صح أن يزاحمه •• بل رزق التوفيق ، وعاش تاريخه خالدا وماتت آثار أخرى عديدة لا تستحق الحياة ••

نقد آخر موجه عليه :

قالوا انه ممن عاش فى كنف الأتابكة ، وانه يلتزم جانبهم ، ويتحامل على العباسيين ومنهم الخليفة الناصر لدين الله ، وانه سكت عن معايب الأتابكة ، ونشر مثالب غيرهم ، أو أنه كتب للسياسة لا للحقيقة التاريخية ..

هذا وأمثاله سمع ممن لا يقصد الا الطعن المجرد والتحامل الجرىء بلا حق والامر لا يقف عند الاقوال ، ولا يصد بالاوهام ، وانما يحتاج الى دليل ، وشهد بتوثيقه جماعات لا تحصى .

١ ـ ان التزام جانب الاتابكة ومدحهم بما يستحقون لا يعني أنه كذب وبين السبب فى أن الاتابكة أصحاب فضل على والده وعليه .. وبين ان سير الجبابرة ، والطغاة الظالمين تكفي لردع النفوس .. فلم يتعرض للمعايب ، وانما تركها لغيره ، ولعل فى المتأخرين من يقوم بأمرها .. ! ولا جريرة على من لم يذكر المثالب ، ويتعقب العيوب .. ولعله لم ير ما يصح أن يوجه الى هذه الدولة من نقد .. وكل ما يقال انه لم يختلق لهم محامد من عنده .

٢ ـ انه اتهم الخليفة الناصر . وعن هذا اقول ان المؤرخ قد لا يلتزم طريق المدح لأسباب لا يتحاشى ذكرها ، فاذا لم يسكت عما يجب ذكره ، فلا لوم عليه ، وكان فى الموصل ، فكان الأولى بغداد أن تميط اللثام عما كان يخشى توضيحه من مثالب الاتابكة .

أما القول باتهام الخليفة الناصر فقد شاركه مؤرخون عديدون ، فلم يكن اتهاما مجردا ، وانما هو بيان واقع ، وتحقيق ثابت ، أو تدوين صحيح برهن بوقائع معلومة لا تقبل ارتياباً ، والتزم مؤرخون عديدون ذمه لا من النقطة التى ذكرها ابن الاثير ، وانما فسروا ذلك بوقائع أوردوها .. وتعرضت لبعضها فى تاريخ العراق بين احتلالين ، والنصوص الكثيرة من مؤرخين عديدين تبصر بأن الآراء كانت متفقة فى الخليفة الناصر ، كثر ذاموه وقل مادحوه .. وليس الامر محل اختلاف ، وانما هو بيان أعماله ،

ولم يكن الذم مقصودا لذاته وانما هناك أعمال تستدعي الذم •• ولم يلتزم المؤرخون الذم المجرد ، وانما اكدوه بما عرف عنه من وقائع سردوها ، وفيها ما يشير الى صحة الكثير مما نسب اليه • فلم تجد من استدرك عليه ، أو تحامل ، بل المؤرخون أكدوا وأيدوا أعمال الخليفة الناصر لدين الله •• وما معنى تجريده عن النقائص ونسبة العصمة له ؟

ومؤرخنا ابن الاثير لم يكتب للسياسة ، وانما دوّن للحقيقة التاريخية ، وأبدى من الشجاعة الادبية ما يخلّد له أطيب الذكريات ، والخوف منه كان كبيرا ، والحذر عظيما •• فلم يستطع ان يكتب أحد فى حياة الخليفة ، وكانت تتداول الألسن الخبر ••

وهذا الخليفة مدحه فريق ، وذمه آخر •• وكان جل همه اسكان الفتن ليتوجه الى الخارج ، فلم يفلح ، واضاع الامرين ، وخذل فى الناحيتين •• وهذا ما قاله ابن الاثير فيه :

« كانت خلافته ٤٦ سنة و١٠ أشهر و٢٨ يوما ، وكان عمره نحو ٧٠ سنة تقريبا فلم ينل أحد الخلافة أطول مدة منه•• وبقي الناصر لدين الله ثلاث سنين عاطلا عن الحركة بالكلية ، وقد ذهبت احدى عينيه ، والاخرى يبصر بها ابصارا ضعيفا •• ولم يطلق فى طول مرضه شيئا كان أحدثه من الرسوم الجائرة وكان قبيح السيرة في رعيته ، ظالما ، فخرب فى أيامه العراق ، وتفرق أهله فى البلاد ، وأخذ أملاكهم وأموالهم ، وكان يفعل الشيء وضده •• واطلق بعض المكوس التى جددها ببغداد خاصة ، ثم أعادها ، وجعل جلّ همّه فى رمي البندق والطيور المناسيب وسراويلات الفتوة •• فكان غرام الخليفة بهذه الاشياء من أعجب الامور ، واذا كان سبب ما ينسبه العجم اليه صحيحا من انه هو الذى اطمع التتر فى البلاد وراسلهم فى ذلك فهو الطامة الكبرى التى يصغر عندها كل حادث • » اهـ[1]

---

(١) الكامل ج١٢ ص١٨١ •

والى الوقعة الاخيرة التى ينسبها العجم أشار الى أنها بسبب تعدي خوارزمشاه على التتر بقتلهم وأخذ أموالهم مما هو مفصل فى كتابه حتى قال :

« وقيل فى سبب خروجهم ، أي (التتر) ، الى بلاد الاسلام غير ذلك مما لا يذكر فى بطون الدفاتر :

فكان ما كان مما لست أذكره

فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر »اه[١]

وفي هذه عبّر بـ (قيل) ، ولكنه لم يردد فى نسبة الظلم اليه ، ووصوته بالاهلين لانه قطع فيها ولم يقطع فى هذه .. ولذا جاءت بلفظ (قيل) وهكذا كان يعدّ من مناقب الخليفة بعده أن أبطل الكثير من أعمال هذا الخليفة وجوره ، ولنسمع ما قاله ابن الاثير فى الخليفة الظاهر :

« ولي الخلافة .. وأعاد من الاموال المغصوبة فى أيام أبيه وقبله شيئا كثيرا ، واطلق المكوس فى البلاد جميعها ، وأمر باعادة الخراج القديم فى جميع العراق ، وان يسقط جميع ما جدّده أبوه ، وكان كثيرا لا يحصى .. ومن أفعاله الجميلة انه أمر بأخذ الخراج الاول من باقي البلاد جميعها .. وان لا يؤخذ الخراج الا من كل شجرة سليمة .. وهذا عظيم جدا ، ومن ذلك ايضا ان المخزن كان له صنجة الذهب تزيد على صنجة البلد نصف قيراط يقبضون بها المال ، ويعطون بالصنجة التى للبلد يتعامل بها الناس ، فسمع بذلك فخرج خطّه الى الوزير .. بأن تعاد صنجة المخزن الى الصنجة التى يتعامل بها المسلمون واليهود والنصارى .. اه[٢] وكذا أبطل المطالعات (التقارير السرية) ، وأمر بقطعها فكان الناس من هذا فى حجر عظيم وأمر أن لا يكتب اليه الا ما يتعلق بمصالح الدولة ، وأخرج كل من كان مسجونا وأمر باعادة ما أخذ منهم ، وأرسل الى القاضي

---

(١) الكامل ج١٢ ص١٤٩ .

(٢) الكامل ج١٢ ص١٨٢ .

عشرة آلاف دينار ليعطيها عن كل من هو محبوس فى حبس الشرع وليس له مال .. الى آخر ما هنالك وكل هذه ذكرها ابن الاثير لبيان فضل هذا الخليفة وترجيحه على سابقه .

ولو نظرنا الى ما قاله المؤرخون فى الخليفة الناصر وابنه ، لنطلع فى أمر ابن الاثير ، ونعلم صحة ما قاله ، أو درجة مخالفته مما يصلح للتدقيق والبحث ، ويؤدي الى الغرض المطلوب فى الرجل لطال بنا ذكره . فقد ذكره الذهبي والعيني وابن واصل وابو الغازي بهادر خان ، والموفق عبداللطيف البغدادي وآخرون كثيرون . أبدوا أكثر مما أبداه .

وهذا التاريخ عام ، أجمل أمر المغول اجمالا يكاد يغني المطالع عن بيان حالتهم الاولى ، كتب وقائعهم متسلسلة ، واضحة وأبدى شعوره وتألمه للمصاب من جراء هجومهم على الممالك الاسلامية ، ولكنه لم يحد عن تدوين الواقع ، والكره غير الكذب . وعوّل عليه المؤرخون بعده لما جرى فى أيامه . وكلهم يلهجون بالثناء عليه ، ويذكرونه بالجميل وينوهون بقيمة تاريخه وانه من أجل التواريخ ..

ومن أجل ما تجب ملاحظته فيه ان ابن خلدون تأثر به ، فوسع موضوعه ، واعتمد نقده ، وأوضح نهجه مع ملاحظة التواريخ الاخرى ، فمشى على ما اختاره ، وعدّل ووسع نواحيه .. فاستقى منه ومن غيره ما هو مشهود فى المؤلفات التاريخية .

هذا . ولا ننازع أحدا فيما يكتب عن ابن الاثير وتاريخه ، ولكل رأيه ، وان يفكر ويختار ما شاء الا ان المطلوب هو ان لا تسرع فى الحكم دون دراسة المناهج التاريخية ، لنعرف قيمة الاثر ومكانته .. واختلاف الرأي مشهود من قديم الزمان ، والمهم ان يستند فى الخلاف الى سبب مقبول .. والا فبوسع كل أحد أن يعارض ، ولكن التهجم دون التماس

محمل غير صحيح ، وتوجيه اللوم على ابن الاثير يجب أن يكون حقاً ، لا أن يحاسب حسابا أثيما ، ولا يخطأ بلا رحمة ويجابه في الانكار بقسوة وشدة كمن يطلب وترا ، أو يرغب في الانتقام بحنق وعنف ..!!

والاعتدال والتخفيف من شدة الوطأة أمر ضروري والغلواء وحب الخصام في القضايا العلمية مقبوح ، وانما التدقيق يجب أن يكون ببرودة دم . قال ابن الاثير :

« اني مقر بالتقصير ، فلا أقول ان الغلط جرى به القلم ، بل اعترف بأن ما اجهل اكثر مما أعلم .. » اه

واذا قابلنا بين ما قاله ، وبين ما ذكره ابن الطقطقي في الحكومات الاسلامية المتعاقبة علمنا ان ابن الطقطقي أساء السمعة للتأريخ ، وانتهك حرمة حسن استعمال التاريخ بل لم يكتف بذلك حتى رجح الكافر على المسلم ، وطعن بالمسلمين عامة في حين ان غير المسلم لا يؤمن عدله ، والمسلم الجائر يعارض ، ويخلع عند الحاجة ، ويندد به حتى يرجع للصواب أو يهيج عليه الرأي العام اذا قسا .. على ان الاجنبي لا يقبل حكمه مهما كان وضعه ، فالنفوس لا تميل اليه بوجه .. ومن ثم ينجلي الفرق من المقابلات التاريخية لا في هذا وحده بل في كثيرين ، ويرجع على نفسيات عديدة ، فاذا مدح ابن الاثير نورالدين في أمر من الامور ، فلا يعني ذلك الطعن في غيره . وانما رجح نفسيا ما بدا له من أدلة .. ومن دقق النفسيات في الافراد والجماعات تأكد له ان الرجل أدرك ما لم يدركه غيره ، فهو عدل في حكمه ، وافر الاطلاع ، نافذ النظر ، قويّ الفكرة ، مقبول الرأي .

علاقة الكامل بالمؤرخين :

جاء في الاعلان بالتوبيخ : قال شيخنا : خطر لي أن أذيل عليه ــ التاريخ الكامل ــ من سنة وقف وهي سنة ٦٢٨ هـ يعني قبل موته بسنتين .. ولكن لم يتيسر لشيخنا ذلك . ثم عدد من ذيل عليه :

١) ابو طالب علي بن انجب البغدادي الخازن المعروف بابن الساعي المتوفى سنة ٦٧٤ هـ **في خمسة مجلدات .**

٢) الوطواط (الجمال محمد بن ابراهيم بن يحيى الكتبي المصري) حواش مفيدة . وتوفي سنة ٧١٨ هـ - ١٣١٨ م .

وكان ولد سنة ٦٣٢ هـ . كتب بخطه تاريخ ابن الاثير الكامل وملكه الصلاح قال في الوافي بالوفيات ناقش المصنف في حواشيه وغلطه وواخذه[١] .

ولم يذكر صاحب الوافي نوع المؤاخذة أو التغليط ....

٣) ترجمه الى الفارسية المولى نجم‌الدين الطارمي من اعيان دولة ميرزا شاه (صوابه ميران شاه) ابن تيمور باشارته وكانت ترجمته بليغة ، وكان ماهرا في الانشاء . كذا في حبيب السير[٢] .

(٢) تاريخ الاتابكة في الموصل :

هو من التواريخ المهمة التي نالت موقعا كبيرا في نفوس القراء ، ومن أهم الوثائق في تاريخ الموصل ، وموضوعه يتعلق بحكومة كان لها الشأن في تاريخ الموصل وأطرافها أعني (دولة اتابكة الموصل) ، والكتاب طبع بعنوان (تاريخ الدولة الاتابكية) في الموصل في باريس سنة ١٨٧٦ م . ويسمى بـ (الباهر) ايضا .

وفي هذا التاريخ يبدي مآثر هذه الدولة ومحاسنها ، ويلهج بالثناء عليها ، ويبين مكانة رجالها في تاريخ الموصل ، ويعين أنها أكثر احسانا اليه والى أسرته في أيام نورالدين ارسلان شاه ، ويعدد انعاماته ، وما اولاه هؤلاء من جليل وجميل . ويذكر اخلاصه وولاءه لهذا البيت ذي المنن عليه .. فقام بخدمة لهم تجاه هذا المعروف فقال :

---

(١) الوافي بالوفيات ج٢ ص١٧ .
(٢) الاعلان بالتوبيخ ص١٤٦ وكشف الظنون في مادة (كامل) .

« كنت عازما على أن أدون اخبارهم ، وأجمع آثارهم ، واخلد محاسن أعمالهم .. جزاء لاحسانهم المستمر .. » اه ، كتبه أيام ابي الفتح مسعود ابن ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن اقسنقر . وبعد وفاة ارسلان شاه تجدد عزمه فأبرزه بأمل ان يكون هؤلاء الامراء قدوة لأمثالهم .. وفي هذا حث للامير مسعود على صالح الاعمال ، وتوجيه له الى خير السير ، فاذا أغفل المعايب ففي سير الطغاة العتاة ما يغني ، وفي مثالب الفراعنة ما يكفي للارتداع . وفي الاقتداء بالآباء ، ودراسة سيرهم أحسن حافز الى الصلاح . وقيام بالاصلاح .

قال : انه نقل اكثره عن والده ، وانه كان يعلم لهم محاسن وآثارا جليلة ، ولم يبق في فكره مما جاد به خاطره الا ما دوّنه في كتابه هذا . وهو من أجلّ الآثار ولكننا لا نكفل لمؤلف استقصاء لا لابن الاثير ، ولا لغيره .. وهذا المؤلف لا يخلو من مباحث كثيرة تصلح ان تستدرك عليه ، وان تضاف الى حوادثه كما هو المنقول عن زبدة التواريخ ، وتاريخ ابن ابي عذيبة ، وعن العماد الاصفهاني وكتب أخرى عديدة لا تحصى .. الا أننا في معرض بيان قيمة الاثر ، فهو من أجلّ الآثار ، وفيه ايضاح عن مكانة المؤلف . فقد صرّح بأنه فاته الكثير مما قصّه له والده .. وانه كتب ما تذكره . فلا مانع ان نستطلع الآخرين ونقول لهم عن هذه الدولة الاتابكية .. خصوصا اننا نراه لم يستكمل أيامهم الى آخرها ، ولم تطل حياته الى آخر الدولة البدرية التي عاشت الى أجل ..

كتب تاريخه الى أيام الملك القاهر مسعود بن نورالدين ، واتخذ وزيرا ونائبا له بدرالدين أمير الامراء لما رآه فيه من كفاية وختم الكتاب . ورجع فيه الى العماد الكاتب الاصبهاني ، والى تاريخه المستقصى (الكامل) ، والى تاريخ حلب لابن العديم ...

أبان فيه عن قدرة علمية غزيرة ، ونفوذ نظر في التاريخ ، وتمكن من البيان ، وحسن ترتيب ، واستطراد مقبول يدل على مهارة في التاريخ

ومعرفة كاملة واحاطة شاملة ، واعتدال فى تقرير الاغراض ٠٠ ولا يطلب من معاصر أكثر من هذا ، فقد بذل جهدا ، وسعى سـعيا مقبولا لاظهاره بأكمل شكل ٠

ولا يصح أن يفوه بما يدعو للاشارة الى النقص ، أو النقـائص فى هذه الدولة فيكون بمثابة صديق يشتم صديقه ، ويأمل الاحتفاظ بوده ، أو ينسب له سوء الاعمال ، وهو مراع احلاصه له ٠٠ ترك ابن الاثير النقد ، والتعرض لهذه الامور الى غيره ، وصرح انه لا يمسّها بقول ، وانما يذكر المحاسن ٠ فقد قام بمهمته فهل قام غيره بواجبه ، فى ذكر المثالب ٠ أو ما يدعو للطعن فى الادارة ٠ ؟

ان الحكومات على اختلافهـا نسمع عنهـا تنديدات من الآخرين ، ونقدات لاذعة وتهجمات قوية فهل يصح أن نلصق بها كل ما نسمع وبعضه حق وبعضه باطل ٠٠ ؟

يهم كثيرا أن ننظر باعتدال لمثل هذه الامور ونكتب عنها سواء نشرها حالا أو فى المستقبل ممـا يعتقد المرء احقيتـه ، فيجهر بالواقع ٠ على ان التفاضل ، واعتبار المثل الاعلى أساسا لا يكون صحيحا ، وبالوجه الحقيقي الا اذا قدر المرء مكانة الحكومة المنتقدة بين الحكومات ، ودرجة قابليتهـا على العمل ، والظروف المواتية والمحيطة بها ٠ ومن ثم يكون الحكم حقا أو باطلا ٠ فلا يتأثر بحزبية ، ولا تسوقه نقمة الى ما يكتبه ، أو يغضب لحادث ، وعلى كل حال يجب أن نقول الحق ، ونجهر بالصدق ٠٠ وقد غلطنا كثيرا لما ان نظرنا الى الصدر الاول واتخذناه أصلا ومثلا أعلى ، ووجهنـا اللوم على التالين ٠٠

والمؤلف لم يستدرك أحد عليه ، ولم يتعقب بما يمس مادة الاثر من حيث العموم ، فلم يكن الرجل مداحا ، ولا مرتزقا ، وانما كتب ما اعتقد صحته ٠٠ وترتيبه جيد ، ويشير الى قدرة المؤلف فى تبديل الاساليب فلم

يكن عاجزا ، ولا ضعيفا في بيانه ولا متلكئا في اداته •• فقد برهن على وثاقة ، وخبرة ، وادراك لماهية الحوادث •• فكان أعظم جواب لمن يهرف بما لا يعرف من (الأسلوب القديم) ، أو انه لم يمش عليه مؤرخو العصر الحاضر • فالمؤلف مشى على السنين وترتيبها في الكامل وفي هذا تكلم في موضوع خاص وهو الاتابكة • وهكذا ••

ويهمنا أن نشير هنا الى ان هذا المؤرخ لم يبالغ في الوصف ، ولا غالى في المديح وانما نسب كل حادث الى أمر منقول ، وراعى الواقع فيما كتب فلا تجد مبالغة ، ولا اغراقا •• فلا يشبه بعض كتاب أيامنا الذين لم يتوقوا في بذل المديح ، أو التجاوز في الامور عن حدودها المعقولة باعطاء بعض الرجال صفات الالوهية •• أو بالتعبير الأصح لم يتخذ قلمه السيال وسيلة للاطناب في النواحي التي يقصد بها استهواء السامع ، وبيان أجمل ما هنالك من مثل عليا •• أو من خلق أسباب من شأنها أن تصور الحادث كرواية لا علاقة لها بالتاريخ ، وقصة لا نعرف من حقيقتها غير أسماء ذلك العصر •• وهكذا مما هو معلوم من كتاباتهم ، ومنشأ ذلك تخيلاتهم لا وقائع مدونة ، أو حوادث مكتوبة •• فلا ننس انه تاريخ ، ولم يكن كتاب أدب ••

والتاريخ لا يزال مستندا الى صدق الرواية والوقائع الصحيحة ، والامور الثابتة ، فالحوادث يجب أن تدون كما وقعت ، وان تمحص ويجري عليها النقد والتجريح أو التعديل • ولا يهمنا من التاريخ الا أن نعلم منه صحة الواقعة ليكون استنتاجنا صحيحا • وأن يعد مادة المصلح ، وواسطة السياسي •• ولكل منهما أن يملي اختياره ، ويعين أغراضه •

الحق أقوى من ان يؤيد بباطل ، فلا وجه للركون الى الوسائل الباطلة ، فاذا كان عصرنا هذا انتبه ، وجب أن تعين ماهية العصور بصفحاتها المؤلمة والمشرقة ونعطي كلاً حقه من البحث • فندقق العصور كأننا أجانب عنها ، ونراعي وجهتنا فيها ، ولا نغفل أمرها •• بل يجب أن نستفيد من أيام النشاط ، كما ننتفع من أيام الخنوع والخضوع بادراك أسباب

الناحيتين ، وتهيئة الخطط المطلوبة لننال الغرض الأسمى .. بل لا نكتفي بكل ذلك ، وانما نلتفت الى حالتنا الحاضرة ومكانتها بين الماضي والحاضر .. فنعلم الاغراض المطلوبة وسلاحنا فى المعرفة ، فلا نضيع فرصة لتوجيه المناهج والاستفادة من العثرات ، ومن أوقات النشاط ..

ونغلط كثيرا أن نفسر الماضي بالحاضر ، وانما الحق يدعونا أن ندرك الماضي بأوضاعه وأسبابه الحقيقية لنكون على علم من أمرنا فى ترتيب التواريخ ومناهجها ، ونقيس الحاضر بذلك المقياس ، فندققه مجردا عن الاغراض كما لو كان عصرا من العصور الاخرى البائدة ... !!

ومن هذا كله نقطع بأن المؤلف كشف عن صفحة مهمة فى عصره ، ولا نزال نشعر بنقص فيه من غوائل ، ومطالب ، وأوضاع .. فالرجل قام بمهمته ، ولم يكن كاتبا للارضاء ، كما يكتب أرباب الاقلام المأجورة . لذلك طوى خبر معاصره وانما عرف بسيرة الماضين .. ليكونوا واسطة الاقتفاء .. ومن أهم ما ذكرهم به دفاعهم المستميت فى سبيل الاحتفاظ بالاوطان أن تمسها يد عدوان من الروم والافرنج .. واما النيات فى القضاء على الادارة العربية فهذا قد أشار اليه بأنه لم يتم ، فأبدع فى الاشارة ، وأجاد فى التعبير ، ولم يغفل أمر ذلك ، وبيّن ان القدرة يحسب لها حسابها .

هذا وما يضرنا أن ذكر جمودنا وخمولنا فى عصور الانحطاط كما بين قدرتنا ومكانتنا أيام النهضة ، وبذلك نعرف الداء والدواء ، بل نعرف كيف نجحنا ، وكيف خذلنا .. ؟ بل أرى معرفة تاريخنا من حيث الانحطاط أولى بالدراسة وأحق بالبحث فلا يهمل ، لان دراسة الخمول مما يعين سببه ، ويجعلنا فى يقظة منه دائما ، ولا نتركه قطعاً ، وأن ندرك أسباب اليقظة وبواعثها ، والنشاط ومولداته فلا نغفل أمر الاثنين ..

ونرى النقد الموجه على مؤرخي العرب غير وجيه . فانهم لا يزالون

على حق فى تدويناتهم لانهم لا يريدون أن يستهووا القارىء ، ويسوقوه للافتكار بما يفكرون به أو استنتاج ما يستنتجونه ويجب أن يكون التاريخ غير شخصي ، ولا دخل لاستهواء القارىء فيه ، والامر على خلاف ما يظنون من ان العرب قصّروا فى المحاكمات فابن خلدون قرّر قواعد ، ولكنه لم يخرج من المنقول ونقده ‥ ولعله كان يرى ان التعليل الذى ذكره غير وارد من كل وجه ، ويقبل الاخذ والرّد ‥

وهكذا فعل مؤرخنا فى تاريخه هذا ، وهو على صغره ومحدودية مباحثه جرى فيه على نهج المؤرخين الذين سطروا ما علموا ، ودوّنوا ما كانوا يعتقدون صحته ، ولا يشتبهون فيه ‥!! وطريقة أسلافنا خير طريقة ، بل لو ذكرنا ما فعلوا وسردناه كما جاء لعرفنا مكانتهم دون تعليل ‥ وطريقة التعليل ، والنقد قد قاموا بما يجب لها من قواعد ، وما يجب أن يتحرى ‥ ولكنهم لم يبدوا مطالعات على الحادث والمؤرخ مسلح بما لديه مما تهمّ معرفته ‥ من قوانين (الجرح والتعديل) .

وخير ما فى الكتاب انه عيّن نشاط السلجوقيين فى أوائلهم ، وخمول الدولة العباسية قبل ذلك بعصور ، ثم أماط صفحة عن تاريخ نزاعهم على الملك وما أدّى اليه أمرهم ، كما انه أبدى نهضة الخليفة المسترشد ، ثم تضييعه الحزم أو انخذاله تجاه القوة‥ وهكذا كشف عن صفحات أوضحت الحالة فى ذلك العصر بما فيه من قوة ونشاط ، أو غوائل وفتن ، ونتائج ذلك ‥ وكله لا يظهر على لسان المؤلف وتعليله ، وانما يفهم من دراسة تاريخه ‥ وموضوع التاريخ فى هذه الحالة يجب أن يخرج عن طريق الفلسفة ومناحيها وهكذا مما لا يحتمل البيان ، ولا يؤدي الى نتائج مرضية ، وانما للعصور أن تستنتج ، ولها أن تفكر ، والعقليات اذا تتابعت على الافكار فى حادث خير من عقلية واحدة غير مأمونة الخطأ تسوق الناس الى القبول ‥ وقد قيل (ربّ حامل علم الى من هو أفقه منه) . فلا نريد الا أن يدوّن التاريخ ، وأن تتبصر فيه بعد ذلك ، ولنا رأينا ، وربما ينال مكانته بعد

تدوينه واحضار مادته ..

فما استفدنا من (دولة الاتابكة) أكثر مما قصده المؤلف ، وكتب لأجله كتابه لما انطوى عليه من مطالب ، وما قرّره من حقائق .. ولا سبب لذلك الا انه سرد ما رأى أو سمع ، فكتب تاريخا نافعا ، وبقي الاستنتاج غير محصور في واحد ، والافهام تأخذ منه ما انتصبت لأخذه .

هذا ولم يضيّع علينا أمرنا الا شيوع الكذب ، واستقرار الاختلاق بحيث لا نرى من يتورع الا قليلا .. ولا يرتدع عن الباطل الا أفراد . نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ..

وهنا لا نترك القول بان هذا الاثر يحتاج الى طبعة متقنة ، تراعى فيها الآثار الاخرى ويعلق عليها بما يصحّ استدراكه ، أو التنبيه عليه ، وان تضاف نصوص أخرى كملحق في اكمال حوادثه ، وانهاء دولة الاتابكة مزودا بفهارس وتحقيقات لما شاع من الفاظ طرأ عليها المسخ ..

(٣) اللباب في الانساب :

هذّب به أنساب السمعاني ، وزاد عليه . ولكنه لا يغني بوجه عن الاصل لان الاشخاص الذين ترجمهم السمعاني لا يسعنا أن نغفلهم أو ننقص من مباحثهم . والملحوظ أن ابن الاثير كما يفهم من سياق عبارته ادخل الرجال المهمين منهم في تاريخه . وكان الأولى أن يراعى طبع كتاب السمعاني بتمامه مع مراعاة ما ذكره ابن الاثير بصورة التعليق ، أو بالتنبيه الى ما نبّه عليه ، فيظهر كاملا ..

ومن المؤسف أن الاصل طبع ممسوخا على نسخة لا تصلح للمطالعة ، اغلاطها كثيرة لا يخلو سطر منها من تحريف . مع وجود نسخ قديمة ، ومتعددة في مختلف خزائن الكتب حررت في تواريخ مختلفة ، وكلها تصلح للمقابلة ، وتثبيت المتن المتقن . وعندي مجلد منه قديم الخط واضح جدا .

والآن ظهرت نسخ عديدة من اللباب فى الانساب وان المطبوع منه حديثا روجعت منه نسخة واحدة وهى النسخة الوحيدة لمكتبة الاستاذ العلامة أحمد تيمور باشا فى حين توجد منه غيرها ففى (سراى طوبقبو) نسخة قديمة جدا فى مجلدين ينقصها مجلد واحد وفى المكتبات الاخرى اجزاء تصلح للمقابلة وكان الواجب أن تراعى النسخ العديدة فى التصحيح بأمل الاتقان ، والتوثق من النسخة الاصلية ..

ويهمنا أكثر من هذا ان تطبع النسخة الاصلية ويعلق عليها :

١ ـ ما أضافه ابن الاثير ، فى آخر كل بحث بعنوان : هامش لتكون النسخة جامعة للاصل ، ولما أضافه السيوطي ، فتكون الفائدة مضاعفة .

٢ ـ ان تزاد مطالب عديدة فى مادة الانساب مع مراعاة الترتيب والتنسيق وهذه يجب أن يشار اليها لتكون المنفعة أكمل .

٣ ـ الضبط والتحقيق ، مما أورده ابن الاثير ، وساعد على الايضاح . مما تجب ملاحظته مما يؤثر على تكمل الثقافة . مع العلم أن ابن الاثير اعتمد على أصل المصنف .

ولا يهمنا اعادة ذكر ما أورده ابن الاثير من الاسباب الموجبة للتلخيص والتصحيح وبينها فى مقدمة كتابه فلا أرى مجالا فى البسط عن هذه الناحية .

ولنرجع الى أصل اللباب :

فى هذا أبان المؤلف عن قدرة فى وصف الاصل ، والثناء عليه ، ومراعاة قدرة صاحبه ، وانه بذل الجهد اللائق ، فابرز كتابه ، ولكنه كما أشار عمل بشري ، لا يخلو من نقص ، ولا يخلّ بقيمة الكتاب .. ولا شك ان تراكم الآراء والتناصر لتقدمها ، هو سبب تكامل الثقافة وترقيها . والمؤلف أتم ما رأى من نقص يدل على قدرة واقتدار ، ومواهبه التاريخية لا تنكر . فالتفت الى كافة نواحيه ، فكان موفقا . وهنا أشير الى ناحية ان

المؤلف بيّن ان الكتب يداخلهـا النقص وليس فى عمل أحد ما يدل على الاتقان الا الكتاب الكريم المنزل .

سبب تفوقه وشهرته فى مهمته :

اذا كان قد تناول نقائص المؤرخين قبله ، وتوقّى منها فى تاريخه ، ومضى فى طريق معقول ومباحث علمية نافعة فلا شك انه ابان مهارة وتفوقاً حتى نال المكانة المقبولة .. وكفانا أن نقول عن النقد الموجه الى المؤرخين قبله اتخذه الغربيون سلاحا ، وصاروا يتحاملون على مؤرخينا به ، فلم يستثنوا أحدا مما جعلنا نقطع فى أنهم لم يعدلوا فى هذا المؤرخ وأمثاله من العلماء بأصول ترجيح الادلة وما ينبغي اعتباره .. من قوة البراهين ومكانتها فى الاخذ والرد ..

والملحوظ أن العلوم الاسلامية الاجتماعية والدينية متكاتفة فى مراعاة الصدق والحق للوصول الى ما يجب تدوينه من الوقائع التاريخية ، والتوثق من صحتهـا .

والحق أن مؤرخنا بلغ الغـاية فى اتقان التاريخ ، فأبرز تواريخـه الجليلة ، فكانت غرة فى جبين التواريخ ، فله الفضل الكبير على العالم العربي والاسلامي بما خلفه .. ولنا أن نفخر به .. رفع رأس العراق عاليا ، فهو يملك أعز المراجع التاريخية ، فلا يستطيع مؤرخ أن يدوّن تاريخا جديدا دون أن يعوّل عليه ، أو يتخذه من مراجعه المهمة ..

ومن العجب أن يقول الغربيون تاريخ المسلمين مبناه الروايات ، ولم يبالوا بما ينظرونه من البواعث لتحرير التاريخ ، وما اختطه كل منهم معينا وجهة سلوكه فى تاريخه مما يصلح أن يكون اساسا للكل .

(٤) أسد الغابة فى معرفة الصحابة :

وهذا الكتاب مهم جدا فى تاريخ الصحابة . جاء بزبدة كتب كثيرة تقدمته ، فجمع ما بينها . وتظهر أهميته فى موضوعه وما رجع اليه من

مؤلفات، فكان صفوتها ، واستدرك على الكثير منها ثم جاء ابن حجر العسقلاني فجمع فى كتابه (الاصابة فى تمييز الصحابة) بينه وبين كتاب ابن عبد البر • وطبع أسد الغابة فى القاهرة سنة ١٢٨٦هـ •

٦ ـ وفاة ابن الاثير :

من نصوص عديدة نعلم انه توفي في الموصل سنة ٦٣٠ هـ ـ ١٢٣٢ م • وقبره لا يزال معروفا • رأيته سنة ١٩٣٩ م متهدما ثم عمره الوجيه مصطفى چلبي الصابوني ، وأنشأ على قبره بناية ضخمة سنة ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩ م •

٥ ـ ابن دحية الكلبى

الشعوب أفرادا وجماعات قديما وحديثا شغلتها الوقائع اليوميـة ، فلا نستطيع أن نكون عنها بنجوة ، وانما تسوق هذه الحوادث أحيانا الى تفسيرات متنوعة • واتجاهات ونزعات مما هو مشهود دائما •

لا يكتفي المرء بما توحيه اليه نفسه آنيا ، فيحكم بما شاء حسب اهوائه وميوله ، بل يسترشد غالبا بمـا يؤهله لصحة الحل ، فيمضي نحو الاقرب للواقع فى ظنه ، ومن ثم يزاول طرقا عديدة ، من أهمها الرجوع الى الوقائع السابقة والاهتداء بنورها ، وما تلهمه •

وأمثلة ذلك كثيرة كأن يقال : كذا فعل (نابليون) أو (جنگيز) •• فى الامور الحربية أو الحوادث السياسية ، وهكذا نهج الامام الغزالي فى خطته العلمية أو الفلسفية •• فنعلم ان المرء فى سيرته يراعى من سبقه ، ويتعقب ما جرى من أعمـال ، أو صناعات ، أو علوم وآداب •• وبذا يستفيد من تجارب الغير للنجاح والاعتماد •

واذا كانت (الحياة الفردية) تراعي ما جرى ، فلا شك أن (الحيـاة الاجتماعية) أولى أن تستند الى الحالات القديمة العهد ، أو المشهودة الآن فى الامم من شرائع ، وصنائع ، ونظـام فى مختلف النواحي فتجعل (نفسيات

الاقوام) وأعمالها في هذه الحياة نموذجا ، وقدوة لتقوية الغرائز الضعيفة والاعمال الخالدة فتنشط ، وتنبعث فيها الهمة فتثور من خمولها بل قد تنتفع من الشعوب المنحطة ، والحيوانات العجم بتقليد بعض أوصافها ، أو التمرن على ما ترغب فيه من غرائزها ، ورأينا الكثيرين عدّوا الصلاح في بعض الاقوام ناجما من بعض السجايا والغرائز ، وما زاولوه من الفضائل النفسية .

ومن هذا نعلم ان الامم في حاجة الى ما ينبهها من غفلتها ، أو يوقظها من غفوتها والقدرة البشرية لا تكاد تحد ، لما فيها من مواهب ، ولا فرق بين ان تكون المنبهات فيما نراه من الحوادث اليومية ، أو الوقائع العظمى وتطورات الزمان ، أو تجلّيات العقليات وانكشافها .. سواء كانت من حوادثنا التي هي الصق بنا وأقرب الى تفهمنا ، أو أتتنا من الخارج كوقائع الاقوام والامم في زماننا أو في أمد انقضى .. والانتفاع ليس له وقت محدود ، أو أحداث خاصة .

هذا معوّل الامم ، والافراد ، وعليه ترتكز الحضارة ، ويترتب نظام الاقوام والشعوب ، فينظم الفرد أو الامة ما جرى ، وينسق ما علم ، ويتألف من هذا كله (التاريخ) بضروبه وفروعه ، والامة الصالحة هي التي تكون لديها (مجموعات) منه صادقة وصحيحة ، ترجع اليها ، وتعرض بتنوعاتها ، فيسهل الاخذ ، لتكون خير مرشد في نهج الحياة والا فلا يعقل ان يغالط المرء نفسه .. « أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى ، أم من يمشي سوياً على صراط مستقيم » .

هذا والتاريخ مجموع الحوادث الصحيحة المرتبة ، ذات العلاقة بالانسان ، أو بأرضه ، أو بمواطن قد لا تكون لها صلة به ، فتشمل الثقافات وتطوراتها ، والصناعات وتكاملها ، والسياسات وضروبها والحروب وفظائعها . وقد تناول الكرة الارضية والهيئة السماوية ، فتكون الاستفادة أعمّ ..

كتب ابن دحية الكلبي تاريخا أوضح فيه غالب التلقيات التاريخية مثل

هذه وهو فى الدولة العباسية دعاه (النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس) لزمان سابق لظهور المغول فى بلاد الاسلام الا اني أقول كلمتي فيه :

١ ـ ابن دحية الكلبى :

هذا المؤرخ اندلسي الاصل ، عاش فى مصر كثيرا ، وصار من مشاهير علمائها ، وهو مجدالدين أبو الخطاب عمر ابن الشيخ الامام ابي علي حسن بن علي ، سبط الامام ابي البسام الفاطمي المعروف بذي النسبين ، دحية والحسين ..(١)

بعثته الى تحرير تاريخه (النبراس فى تاريخ خلفاء بني العباس) ، وتواريخ أخرى أسفاره الى بغداد ، والى الاقطار الاسلامية ، وكانت الشعوب العربية والاقطار الاسلامية لا تزال فى اتصال دوما فى ثقافتها مرتبطة ارتباطا وثيقا بتاريخها ، والعلاقات بينها كبيرة جدا ، من أهمها الاشتراك فى المبدأ الاسلامي الجليل ، فالعراق قام بمهمة عظيمة فى توكيد هذه الصلة وتعهدها وتقويتها بين هذه الاقطار ، فى مختلف صنوف المعرفة .. وكان الاثر والتأثير مشهودين فى كافة نواحي العلم والصناعة والآداب ، وموضوع البحث العلاقات التاريخية ومن نتاجها هذا التاريخ ، فلا نتجاوز حدوده ، كتب تاريخ العباسيين .. واشتهر فى ثقافات متعددة ، عرف بالتاريخ ، كما ذاع صيته فى الحديث ، وهو من النوابغ فى الآداب والعلوم ، وأثره التاريخي أبقته الايام فخراً لمصر والعراق ، كشف عن صفحة فى تاريخ قطرنا ، ودل على العلاقة المتينة المكينة وهكذا فعل عراقي فى مصر فكتب تاريخها أعني به (الموفق عبداللطيف البغدادي) المعروف بـ (ابن اللباد) ..

والمعاصرون نقلوا فى نصوص عديدة عنه ، وآخرون تكلموا عليه ، ونقدوه ، وأبدوا الكثير من أحواله ، الا أنهم لم يتعرضوا

---

(١) ذكر ابن خلكان ما وجده بخطه ، وأبدى الذهبى فى التذكرة تحليل النسبة الى (كلبي) الواردة فى عمود نسبه ..

لتاريخه (النبراس) ، والظاهر أنه لم يقع لهم هذا الاثر ، أو وقع ولم نعثر لهم على نقل عنـه ، أو ايراد نص من نصوصـه ، فبقي مطمورا فى زوايا الاهمال مدة .

٢ ـ أقوال المؤرخين فيه :

لا أرى حاجة للتوغل فى تاريخ ابن دحية من جميع الصفحات ، ومنه علمنا تلقياته للتاريخ ، ينبىء عن قدرته العلمية ، وفيه تعرض لبيان اسماء مؤلفاته الاخرى خلال المباحث ، والتحليل النفسي يسوقنا قطعاً الى أنه من فحول العلـم والادب لا ينطق الا عن وثائق ونصوص معزوة الى تواريخ معروفة . وكفى ان نعين ما قاله بعض المؤرخين فيـه لنتبين ما أحـدثه من نفسيات متعاكسة وانتقادات مرة قاسية الا انه كان عظيما ، أعظم من ناقديه ، أو لا يقل عنهم مكانة .

قال ابن خلكان :

« كان من أعيان العلماء ، ومشـاهير الفضلاء ، متقنـاً لعلم الحديث النبوي وما يتعلق به ، عارفاً بالنحو واللغة ، وأيام العرب وأشعارها ، واشتغل بطلب الحديث فى أكثر بلاد الاندلس الاسلامية ، ولقي بهـا علمـاءها ومشـايخها ، ثم رحل منهـا الى بر العدوة ، ودخل مراكش ، واجتمع بفضلائها ، ثم ارتحل الى افريقية ومنها الى الديار المصرية ، ثم الى الشام والمشرق ، والعراق ، وسمع ببغداد من بعض أصحاب ابن الحصين ، وسمع بواسط من ابي الفتح محمد بن أحمد ابن الميداني ، ودخل الى عراق العجم وخراسان وما والاها ، ومازندران . كل ذلك فى طلب الحديث ، والاجتماع بأئمته والاخذ عنهم ، وهو فى تلك الحال يؤخذ عنه ، ويستفاد منه .

قدم مدينة اربل فى سنة ٦٠٤ هـ ، وهو متوجه الى خراسان ، فرأى صاحبها الملك المعظم مظفرالدين كوكبري ابن زين‌الدين رحمه الله مولعا بعمل مولد النبي (ص) ، عظيم الاحتفال به .. فعمل كتابا سماه (التنوير فى

مولد السراج المنير) ، وقرأه عليه بنفسه .. وختم الكتاب بقصيدة طويلة مدح بها الامير گوگبري[١] .

ثم قال ابن خلكان : ان القصيدة تنسب الى الاسعد بن مماتي ، ورآها فى ديوانه ، وكان قد توفي سنة ٦٠٦ هـ ، وأنشدها ابن دحية فى السنة المذكورة .. ثم قال :

« ولما عمل هذا الكتاب وقع له الملك المعظم المذكور الف دينار .. وكانت ولادته فى مستهل ذي القعدة سنة ٥٤٤ هـ ، وتوفي يوم الثلاثاء ١٤ ربيع الاول سنة (٦٣٣ هـ - ١٢٣٥ م) بالقاهرة ، ودفن بسفح المقطم رحمه الله » اهـ .[٢]

وفى ابن كثير :

« الحافظ ، شيخ الديار المصرية فى الحديث ، وهو أول من باشر مشيخة دار الحديث الكاملية بمصر ، وتكلم الناس فيه بأنواع الكلام ، ونسبه بعضهم الى وضع الحديث فى قصر صلاة المغرب ، وكنت أود أن أقف على اسناده لنعلم كيف رجاله ، وقد اجمع العلماء - كما ذكره ابن المنذر وغيره - على ان المغرب لا يقصر ، والله سبحانه وتعالى يتجاوز عنا وعنه بمنه وكرمه . » اهـ[٣] .

وفى كتاب أبي شامة أبيات حسنة فى المترجم للشيخ السخاوي ، وأطنب الذهبي فى ترجمته ونقل عن معاصرين كثيرين انه كثير الوقيعة فى الائمة ، وكان على كثرة علمه وفضائله معروفاً بالمجازفة ، والدعاوى العريضة ، أو أنه يدعي أشياء لا حقيقة لها .. ومن هؤلاء من اختبر حفظه ، أو

---

(١) ذكرت امارته فى اربل فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ج٢١ ص ٤٠٤ و٥١٥ وج٢٢ ص ٥٥ و١٣٨ و٢٢٣ .

(٢) وفيات الاعيان ج١ ص٩٥ و٥٤٤ .

(٣) البداية والنهاية ج١٣ ص١٤٤ .

امتحن فهمه .. ولم يكتف الذهبي بما أورده من النقد المرّ حتى عـده مدلسـاً ..[١]

وقال سبط ابن الجوزي :

« وفيها ـ سنة ٦٣٣ هـ ـ توفي ابن دحية المغربي المحدث ، وكنيته أبو الخطاب ، كان فى المحدثين مثل ابن عنين[٢] فى الشعراء ، يثلب علماء المسلمين ، ويقع فى ائمة الدين ، ويزيد فى كلامه ، فترك الناس الرواية عنه ، وكذبوه ، وكان الملك الكامل مقبلا عليـه فلما انكشف حاله أعرض عنه ، وأخذ منه دار الحديث ، وأهانه ، فتوفي فى ربيع الاول بالقاهرة ، ودفن بقرافة مصر ، وكان قدم دمشق ، وسأل الوزير ابن شكر[٣] أن يجمع بينه وبين شيخنا تاج‌الدين ، فاجتمعا وتناظرا ، وجرى بينهما البحث فى قول العرب لقيته من وراء وراء ، فقال ابن دحية لا يقال وراء وراء بالرفع بل بالنصب فقال تاج‌الدين : اخطـأت بل الصحيح وراء بالرفـع ، فسفّه على شيخنا تاج‌الدين ، فقال له يا مدعي انت تكتب (وكتب ابن دحية) وابن دحية باجماع المحدثين ما أعقب فقد كذبت فى نسبك .

قلت (القول للعيني) : والصحيح مع تاج‌الدين ، وقد ذكره الجوهري فقال : وراء بمعنى خلف ، وقد يكون بمعنى قدّام ،وهو من الاضـداد ، وأنشـد :

اذا انا لـم أومن عليك ولـم يكن

لقـاؤك الا من وراء وراء » اه

---

(١) تذكرة الحفاظ ج٤ ص ٢٠٥ .

(٢) ترجمته فى ابن كثير ج١٣ ص ١٣٧ قال : كان هجـاء وقلّ من سلم من الدماشقة من شعره ، وله (مقراض الاعراض) .وطبع ديوانه فى المجمع العلمي العربي بدمشق وعني بنشره وتحقيقه الاستاذ الجليـل معالى خليل مردم بك سنة ١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٦ م .

(٣) مرآة الزمان ج٨ ص ٤٦٢ سـبط ابن الجوزى . وتوفى ابن شكر سنة ٦٣٠ هـ وفى موطن آخر سـنة ٦٢٢ هـ (ابن كثير ج١٣ ص١٣ و١٣٦) وفى الشذرات فى ج٥ ص١٠٠ و١٠٥ .

وزاد فى عقد الجمان :

« قال الاخفش : يقال لقيته من وراء فترفعه على الغاية اذا كان غير مضاف بجعله اسماً ، وهو غير متمكن كقولك من قبل ومن بعد » اه .

والملحوظ أن هذه الزيادة من كلام العيني ، ولكنه لم يفصل بينها ، وبين قول السبط ، وفى هـذا وأمثاله يؤاخذ العيني فى انه ينقل ولا يبالي بتوجيه النص ، ومجرى العبارة ..

وهنا أدّت المناقشة العلمية الى مهاترة فتجاوزت حدّها . وان الخلاف قد لا يقف أحيانا عند المباحثة العلمية ، وقد يلجأ المرء الى ما يؤدي الى النفرة ، فيعدّ المناظر ان ذلك يؤدي الى ضياع مكانته ..

كتب ابن دحية كتاب (الصارم الهندي فى الرد على الكندي) . ألفه لما حضر هو والتاج الكندي عند الوزير بالوجه المذكور ولما بلغ ذلك الكندي عمل مصنفاً سماه (نتف اللحية من ابن دحية)[١] .

والموضوع لغوي ، ولم يكن الواجب أن يتجاوز حدود ما ورد فى اللغة ، والاستدلال بالنصوص . ولكن النفسيات فى تهيجها وحرصها تشذ عن الغرض ، فكان يتحتم على كل واحد أن يبين ما عنده . وحينئذ أمكن القول بأحقية واحد من المتناظرين ، أو عيّنا وجهة نظر كل منهما .

٣ ـ قيمة النقد الموجه اليه :

لا نريد أن نزكي ، أو ندافع ، وانما نشاهد غالب النقد الموجه عليه شخصيا، ومجردا . والسند فىالحديث اليوم، بل فىعصر المترجمزالت قيمته بما دوّن من كتب الحديث المتداولة والمشتهرة ، والرجوع اليها سهل ، وفى متناول كل أحد ، كما أن نقد الرجال ثابت فى آثار عديدة يتيسر الحصول عليها ، وأن الحافظة يطرأ عليهـا بعض الضعف من تراكم المعلومات ، ومن الاضطراب فى التذكر . وهـذا عيب محدود ، لا يؤاخذ عليه بهذه

---

(١) كشف الظنون ج٢ ص ٧٣ .

القسـوة ، والنقد له ميزان (الجرح والتعديل) ، والامر ـ كما يظهر ـ ناشيء من منافسة دنيوية ، أو من اختلاف في الاتجاه ، والتحزب كان يراعيه بعض انداده من المعاصرين بكل قسوة وشدة ..

والمؤرخون مجمعون على انه رجل عظيم ، يعد بين أكابر رجال العلم ، واعاظم المؤلفين ، ومشاهير الادباء والمحدثين .. ومضى الزمن الذى يقبل فيه القول من كل قائل بل يجب أن ينبه على جهات الغلط والنقص .. ومن راجع تاريخه وهو موضوع بحثنا ، وجد أنه لم يعدل في تاريخه عن بيان النص ، وايراد مرجعه في مواطن تضطرب فيها الاوهـام ، أو تلتبس الظنون .. والامور النقلية لا يطلب منها أكثر من تصحيح النقل على حد « ان كنت ناقلا فالصحة » .

ولا نهمل أمرا جديرا بالالتفات أعني ما يشاهد في الكتاب من لسـان أدبي وسجع في الغالب ، وهذا لا يزال يراعيه كثير من الكتّاب لحد الآن ، الا أن قدرة بيانه ، وقوة افادته ، وتلاعبه في ضروب البلاغة وسيطرته على اللغة مما حبب الاسلوب ، وان كان عصرنا ينبو سمعه منه .. فصار يؤخذ ، ولا ينفر منه ، فلم يتعثر به المؤلف ، ولا أخفى المعاني تحت ستار السجع ، فكأنها جاءته عفواً ، وأتتـه طوعـاً ، بلا تعب ولا عنـاء ، ولا زيادة كلفـة أو تكلف .

٤ ـ تاريخه ومصنفاته :

١ ـ النبراس في خلفاء بني العباس . طبعته في بغداد لجنة الترجمة والتأليف والنشر في وزارة المعارف سـنة ١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٦ م بتصحيحي وتعليقي . وهو معدّ للطبع ثانية بتصحيحات وتعليقات أكمل . وكان مؤلفه قدمه سنة ٦١٣ هـ الى ولي العهد في الدولة الايوبية في مصـر وهو محمد (الملك الكامل) ابن الملك العادل وهو مشـهود فلا نرى مجالا للاطناب فيه سوى انا نشير الى أن صاحب (نفح الطيب)[1] اثنى عليه كثيرا . والنسخة

---

(١) نفح الطيب ج٣ ص ٦٢ طبعة سنة ١٢٧٩ هـ في مصر .

التى طبع عليها هى الاصلية المقروءة على مؤلفها سنة ٦١٤ هـ من أكابر العلماء والمؤرخين •

٢ ـ التنوير فى مولد السراج المنير •

٣ ـ كتاب العلم فى مجلدات •

٤ ـ الصارم الهندي فى الرد على الكندي •

٥ ـ المستوفى فى أسماء المصطفى •

٦ ـ المعراج •

٧ ـ المطرب فى أشعار المغرب • ومنه نسخة فى المتحفة البريطانية • وقد طبع •

٨ ـ سلسلة الذهب فى نسب سيد العجم والعرب •

٩ ـ الآيات البينات •

١٠ ـ شرح اسماء النبي (ص) •

١١ ـ الاعلام المبين فى المفاضلة بين أهل صفين •

١٢ ـ مرج البحرين •

١٣ ـ المسائل الموصلية •

١٤ ـ تنبيه البصائر فى اسماء ام الكبائر •

١٥ ـ وهج الجمر فى تحريم الخمر •

وفى تاريخه أشار الى أنه كتب فى التاريخ مؤلفات كثيرة • وممن ترجم المؤلف الاستاذ السيد مصطفى غازي فى مجلة (المعهد المصري للدراسات الاسلامية) ج ١ ص ١٦١ وذكرت تفصيل حياته فيمقدمتي لكتاب النبراس•

٦ ـ ابن المستوفى الاربلى

من أكابر المؤرخين ، وله آثار شاهدتها باستنبول ، وترجمته فى ابن خلكان ج ١ ص ٦٣١ وما بعدها ، وتردد ذكره فى كتاب عقد الجمان فى شعراء الزمان ونقل منه كثيرا من تراجم شعراء اربل •• فلا يتعرض

لشاعر فى اربل أو كان من الواردين اليها الا نقل منه • وشاع قبل سنوات العثور على مجلد من « تاريخ اربل » لابن المستوفي أعلن عنه بعض الكتبيين فى لندن فغاب من البين فلم يعرف أين صار • وتوفي ابن المستوفي فى ٥ المحرم سنة ٦٣٧ هـ ــ ١٢٣٩م •

٧ ـ ابن ابي الدم الحموي

من أكابر المؤرخين المعروفين ، ونال شهرة طيبة وكتابه خير مرجع ، فهو مؤرخ عصره ، وكانت له المكانة المقبولة ، ولكن مرور الايام ، وانعدام الكثير من نسخ تاريخه قللا من ذكره ، ومع هذا لم ينس بوجه •

رأيت فى فهرس خزانة أيا صوفيا فى استنبول : «التاريخ المظفري» ولما طلبته تبين أنه غيره ، وذكر صاحب كشف الظنون وفاته سنة ٦٥٢ هـ ، وصوابه سنة ٦٤٢ هـ •

وهو القاضي الفقيه الشهاب ابو اسحق ابراهيم بن عبدالله بن عبدالمنعم ابن ابي الدم قال فى الاعلان[١] وله كتاب مفيد ، بل له آخر على الحروف ابتدأه بالسيرة النبوية ثم بالخلفاء ، ثم بالفقهاء ، ثم بالمتكلمين ثم بالمحدثين ثم بالزهاد ثم بالنحاة واللغويين والمفسرين والوزراء والمقدمين ثم الشعراء كل هؤلاء من المحمدين ثم سرد الكاتب على الحروف مبتدئا بالصحابة ثم بالخلفاء على الترتيب المذكور ثم ختم بالنساء فى كل حرف وسماه التاريخ المقفى وقفت منه على مجلد وكان عند الجمال بن سابق ثلاث مجلدات •

ترجمه كثيرون بسعة فى دائرة المعارف للبستاني ، وفى شذرات الذهب[٢] وفى طبقات السبكي[٣] ولا محل للاطالة بايراد نصوص ترجمته •

٨ ـ المنشىء النسوي

من العلماء والكتاب المشاهير ، وعرف بالمنشىء النسوي ، والرجل

---

(١) الاعلال بالتوبيخ ص ١٤٢ •
(٢) الشذرات ج ٥ص ٢١٣ •
(٣) طبقات السبكي ج٥ ص ٤٧ •

تألم لمصاب الخوارزميين وبين انهم كانوا سدا منيعا للمسلمين من جهة الشرق ومن حين تركوا السلاح توغل الاعداء ، وانتهكوا الحرمات ، وأذلوا الاهلين. ولم نكن نعلم عن الخوارزميين الا ما كان يذاع عنهم من دعاية سيئة ، ونشرات مضرة بسبب مناصبة الخليفة الناصر العداء لهم ، والتنديد بهم ، وجل أمله أن يقضى على حكومتهم ، وانهم بالمقابلة يندون به ، ويودون لو يقضى عليه ، أو يحكموا على بغداد ، ويكون تحت سلطتهم كما كان الخلفاء أيام السلجوقيين ، فقويت المشادة ، وأدت الى نزاع فعلى لم يوفق فيه الخليفة ... وجاء توضيح ذلك فى تواريخ عديدة . فكانت الحاجة ماسة لمعرفة تاريخهم ، ومبلغ قوتهم فكان غالب ذلك مجهولا جدا الا ما نقله أبو الفداء فى تاريخه عن المترجم من كتاب (سيرة جلال‌الدين منكبرتي) وكنا نتطلع الى أثره بتلهف فعلمنا انه طبع فى باريس سنة ١٨٩١ م باعتناء الاستاذ هوداس مع ترجمة فرنسية فجلبناه ، وذكره ياسين العمرى فى كتابه الدر المكنون ، قال :

« وفيها ـ فى سنة ٦٤٧ هـ ـ ١٢٤٩ م ـ توفي بمدينة حلب شهاب‌الدين محمد بن عبدالواحد (وفى الاصل ابن على بن محمد) المنشىء النسوي صاحب تاريخ جلال‌الدين خوارزمشاه وكاتب انشائه . اتصل بعد قتل مخدومه بالملك المظفر غازي ابن العادل الايوبي ، صاحب ميافارقين ثم اتصل بخدمة بركة خان مقدم الخوارزمية ، ولما قتل بركة خان تقدم المترجم عند الناصر يوسف ابن العزيز الايوبي صاحب حلب ، وبعثه رسولا الى التتر ، وعاد ، فمات فى حلب . » اهـ[١]

ولم نقف على أصل هذا النص ، والكتاب من الوثائق المعاصرة اعتمده أبو الفداء ، فجاء مصححا لنصوص تاريخه، وبعد أن طبع الاصل تم الغرض. وجاء فى صبح الاعشى انه محمد بن أحمد بن على المنشىء[٢] .ومن هنا يتعين

---

(١) مخطوطة باريس رقم ٤٩٤٩ ومصورها لدى المرحوم الاستاذ ناظم العمرى .

(٢) صبح الاعشى ج٤ ص٣٠٧ .

ان المنشىء النسوي لم يقطع باسمه واسم أبيه وهـذا ما يقوي الظن بأنه هو الزيدري فعرف في بلاد العرب بالنسوى الا ان الغوامض لا تزال حائمـة حول لقبه ونسبه فهو نورالدين محمد الزيدرى الخراسانى ، وهنا الاختلاف ظاهر ، وعندنا ان اسـمه مذكور في نفس الكتاب (سـيرة جلالالدين منكبرتي[١] فلا محل للالتفات الى غيرها ، وجاء في مقدمته :

« اننى لما وقفت على ما ألف من تواريخ الامم الماضية ، وسير القرون الخالية ... الى زماننا هذا سوى ما صادف فترة ، رأيت قصارى كل مؤرخ تكرير ما ذكره المتقدم عليه ، الى أن يسوق الحديث الى زمانه ، وحوادث أوانه ، فيوردها شافية كافية ، ومن وراء الاشباع والاقناع آتيـة ، وشتان ما بين الخبر والخبر ، واين العيان من اقتفاء الاثر ، ورأيت (الكامل) يتضمن من أحاديث الامم عموما ، وغرائب أخبار العجم خصوصا ما شذ عن غيره . ولم أستبعد ظفره بشيء من تواريخهم المؤلفة بلغتهم ، والا فما الامر ممـا يؤخذ بالقياس ، والذى أودعه تأليفه منهـا أكثر من أن يتلقن من أفواه الناس .. » اهـ .

وهكذا مضى الى أن أتمه سـنة ٦٣٩ هـ عن الفترة التى صادفهـا ، وعوّلنا عليه ، طبع باعتناء المستشرق (هوداس) بأصله العربي على النسخة التى كتب سنة ٦٦٧ هـ . ثم طبع في القاهرة ويعد من أوائل من تكلم على (تاريخ ظهور التتر) .

٩ - الزيدري

لو كنا احتفظنا بتواريخنا ، وسرنا على نهجها ، ومضينا الى نواحى اكمال ما وقفت عنده وأدركنا نقائصها وتلافينا ما هنالك لما رأينـا وجها لتكرار

---

(١) ان المرحوم الاستاذ العلامة محمد عبدالوهاب القزويني المتوفى في طهران سنة ١٩٤٩ م تعقب هذه اللفظة على انهـا (منكبرني) - بالنون - مستدلا بتاريخ (جهان آرا) للقاضي أحمد الغفاري وهذا غير صحيح لما جاء في (شجرة الترك) من انه يعني (عطاء الخالق) أو (عطاء المنعم) وبهـذا وجب أن يكون (منكوبرتي) أو (منكبرتى) .

المباحث ، والعودة اليها بين حين وآخر ، فلا نلوك ما لاكوه مرارا . بل كان المتأخر يبنى على ما قام به المتقدم فلم يبق خفاء ، وتكون الزيادة مشهودة ، ومعلومة قطعا ، ولا يبقى محل لاعادة المطالب ، ونقلها بصورة متوالية .

والتاريخ فى هذه الحالة لم ينصرف الى تدوين أمور جديدة دائما بل نرى بعض المؤرخين يكررون ما مضى ، والذين يذكرون ما وقع فى أيامهم قليلون .. واذا كنا نرى التواريخ قاصرة عن الغرض ، أو كانت فى أوضاعها المشهودة غير محتفظ بها ، فلا شك ان التحرى عنها جميعها ضرورى وقطعى لمعرفة الوقائع واطرادها ، والوقوف على ما جروا عليه فى مختلف نفسياتهم لندرك الصحة بقدر الامكان ، فترشدنا الى ماهية الاوضاع التاريخية ..

ومن هذه التواريخ (تاريخ الزيدرى) المعروف بـ (نفثة المصدور فى فتور زمان الصدور وزمان صدور الفتور) وهو تأليف الخواجة نورالدين محمد الزيدري الخراساني ، منشي جلال‌الدين خوارزم شاه كتبه سنة ٦٢٢ هـ فى انقراض دولة الخوارزميين وفتنة المغول وهذا الاثر من أقدم الآثار فى دولة المغول ويعد من الوثائق المعاصرة المهمة ، ولعله لم يسبقه غيره من المؤلفين فى ظهور هذه الدولة وما أحدثته من أثر ..

ومن تسميته يتبين بوضوح أنه متألم جدا لما وقع على الخوارزميين ، وأدى الى انقراضهم على يد دولة المغول بانقطاع تلك العظمة ، وظهور الانقراض فى أكبر دولة معاصرة لم تستطع أن تزاحمها دولة ما ، ولعله أول شاهد عيان ، كتب تاريخه بلسان أدبي ، فهو المنشيء النسوي الا أن الفرق بينهما ان هذا الأثر كتب بالفارسية ، وذاك باللغة العربية .

وهذا الأثر لم يتعرض له صاحب كشف الظنون ، فهو مما يستدرك عليه ، وكانت النسخة التى طبع عليها الكتاب للأديب الفاضل ، والمؤرخ الكامل أمير الشعراء رضا قلي خان المتخلص (الملقب) بهدايت الطبري المعروف بـ (لاله باشى) ، وكتبت فى سنة ١٢٨١ هـ ، فنقلت من خطه وقدم الموما اليه (مقدمة) نفيسة استعرض بها الوقائع ، وما ألهمته ،

فنظرته صائبة • والأصل والمقدمة أثران جليلان ، يعدان من نفائس الآثار فى التعريف بالمغول ووقائعهم الاولى وما أحدثت من أثر فى النفوس ، ومثل المؤلف خبير وشاهد عيان ••

واذا كنا لا نستغنى عن أثر جديد فى أمر المغول فان هذا الاثر مما تشد اليه الرحال ويأمل كل أحد أن يقف على منطوياته لقدمه وهو وثيقة معتبرة قديمة ومهمة لا تنكر مكانتها التاريخية فى التعريف بوقائع المغول الاولى (أيام جنگيز) مؤسس هذه الدولة وفاتحها الأشهر ، وما أحدثه من ضجة ، بل مصيبة كبيرة على العالم الاسلامى ، بحيث عركه عركة أذلته ، وكسرت من عزة نفوس أهله وأصابتهم نكبة لم يسبق أن رأوا مثلها من أول ظهورهم الى هذا التاريخ ••

ان التتبع المستمر يكشف أكثر عما جرى للتزود من المعرفة ، والغرض الاشارة لا نقل النصوص والمقابلات فى الحوادث ، وانما يهمنا التنويه بأقدم أثر عن هذه الدولة وظهورها • وما تلاه • والامل أن لا يبقى غموض ، وبالاخص ما كان من الحوادث صادرا عن مشاهدة ومدونا عن علم صحيح • والا كان ذلك تهويلا وتهويشا ، أو فخرا ومباهاة ، مما هو ليس من شأن المؤرخ • وعنوان الكتاب يجعلنا نعتقد ان المؤلف تأثر من الحادث ، ودون ما هو متصل به ومتألم من وقوعه ، وقد قيل (ليست الثكلى كالمستأجرة) • فعرّف بالمصاب ، وأبدى ماهية الفادحة • فاذا كان الجاحظ وابن حسول كتبا فى أوضاع الترك ونفسياتهم وأوضاعهم الحربية فلا ريب ان حاجتنا الى المعرفة أكثر فى أحوال المغول وأسباب انتصارهم من الوجهة النفسية ومن النظام الحربى والقدرة العسكرية •

ومن كلامه عن هذه الحقبة نعلم ان قد تلاطمت أمواج الفتن ، واضطربت أمور العالم ، وبلغ السيل الزبى ، بل تجاوزه الى طوفان لا يدرك غوره ، فتحقق الهلاك ، وتعين الموت ، فلا مفر منه ، ولا يؤمل فى سلامة • جرفت الحروب النفوس ، وما مرت بشىء الا جعلته هشيما • تبدلت الحالات ، وتنوعت المصائب ، حتى قيل لا عاصم اليوم من أمر الله ••

وقد صارهذا الناس الا أقلهم ذئاباً على أجسادهن ثياب
بمن يثق الانسان فيما ينوبه ومن أين للحر الكريم صحاب ؟

زاد الألم ، وعمت المصائب ، وتضاعفت البلوى ، وهكذا مضى فى وصف الحالة لحد انه سخط على الحياة وصوّر أنينه وهجره لما فقد من النعيم والنعمة . فولول وتأوه ولسان حاله ينشد :

اسمع حديثي فانه عجب يضحك من شرحه وينتحب

أوضح اخبار التتار ، وما حدث من مصابهم الجلل ، فلم يفد معهم تدبير ، ولم يغن حذر ، جاؤا كالسيل الجارف ، وصالوا صولة جبار ، وأبدى جلال الدين خوارزم شاه كل مقدرة وشجاعة ، الا انه ضاع التدبير ، وما شاء الله كان . فلم يتردد فى الدفاع والنضال ، وقد قيل النار ولا العار والتهالك فى سبيل الاحتفاظ مهما كلف الامر ، وكانت المحاولات عبثا ، وتوغل العدو فى البلاد فوقف الخوارزميون وقفة الاسود ، وناضلوا نضال مستميت .. فقص الرجل ما جرى ، وأورد ما عرا حتى ذكر مواقف لهم مشرفة لا تعد ، وناضلوا نضالا لا يحد . فحكى ما وقع ، فصور ذلك بقلم بليغ ،وعقل سديد ، ومدح خوارزم شاه بما شاء أن يمدحه حيا وميتا فى نضاله عن الاسلام ودفاعه العظيم .. وكأن البشرية لا تريد أن تخلو من زعازع مرعبة وأحوال قاسية ، ولله ارادات لا يدركها المرء ..

وذكر الملوك الأيوبيين ومدحهم وخص بالذكر السلطان الرحيم الملك المظفر ، واثنى عليه ، ومن هنا نعلم ان التيار الجارف من المغول دفعهم الى الموصل وحلب وغيرهما ، وبينهم العالم والاديب ، والقائد ، فاستفاد ابن الأثير منهم ومن المترجم واستقى من اجلهم مكانة ووثوقا ، وهو يترقب عمن يأخذ ، فلا يكتب كل ما سمع ، ولا يقبل بكل قول . يؤيد ذلك ما أكده فى صحته ، وصدقه المنشىء النسوي واخلافه من المؤرخين فاثنى الكل على ما كتب ، وعلى صدق ما دوّن ..

هذا ولا نعلم عن المؤلف أكثر مما نعت به في كتابه ولم نقف على تاريخ حياته ، وكفى الأثر واسطة للتعريف ، فهو مرآة مؤلفه ينبىء عنه ، وليس فيه تكرار لما سبقه من حوادث ، فهو جديد • وقد علمنا تاريخ التأليف فلا ريب ان وفاته حدثت بعد هذا التاريخ ، ومهما يكن فانه خلّد تحفة ، أماطت عن وضع رهيب ، صدرت من معاصر متأثر ، ولا يهمنا من حياته الا ما قام به من تحرير هذا الأثر ، ويعد أقدم ما كتب •• فله الفضل ، وقدم له المقدمة المهمة ملك الشعراء ، طبع على الحجر في المطبعة العلمية لمرتضى الحسيني البرغاني سنة ١٣٤١ هـ في طهران •

وهنا لا نمضي دون أن نشير الى أن المؤرخ المعروف العلامة القزويني أكد أن الزيدري هو نفس المنشىء النسوي وعلمت انه كتب رسالة في ذلك لم أقف عليها • ولا يبعد أن يكون احدهما عين الآخر ولذا ترجمنا احدهما تلو الآخر • ومع ذلك فلكل أثره والامل أن يكشف التحقيق عن هذا الغموض والابهام •

١٠ - ابن ابى السرور السروجي

ان التواريخ لا يشترط أن تستكمل بسط الحوادث ، أو تعليل ما جرى ، كما ان هذه عديدة لا تكاد تحصى ، وكل واحد منها يمثل رغبة ، ومن خيرها أن يكون سهل الأخذ وافيا باداء الرغبة ، ملما بأطراف الموضوع ، مختصرا ، جامعا لزبدة الأخبار وصفوتها ، فيذكر العارف بالوقائع والكتب التاريخية مثلت جميع الرغبات في بسطها واختصارها ، وضروب نواحيها •• وتتفاوت منازل المؤرخين في قيمها ••

ومؤرخنا لم يعرف أثره في أوساطنا ، ولا يعرفه الا القليل من المؤرخين ، فيكاد يقارب الاخلال في الاجمال وأعني به ابن أبي السرور السروجي ، وهو الفقيه أبو الحسن علي بن عبدالله بن أبي عبدالله محمد ابن أبي السرور السروجي[١] المتوفى بعد سنة ٦٤٨هـ - ١٢٥٠ م ، ولم نعثر

---

(١) ورد في كتابه أنه الروحي • وفي كشف الظنون الدوحي •

على ترجمة وافية له ، ولعل له وجودا فى طبقات الفقهاء • فقد أغفله غالب مؤرخى العصور ممن كتب عن أيامه ، ولم يتعرض له الا صاحب (الاعلان بالتوبيخ) فى الصفحة ٩٥ وليس لدينا ما نعول عليه سوى أثره وهو (بلغة الظرفاء فى ذكر تواريخ الخلفاء) • ولم يذكر شيئا عن مؤلفه ولا تاريخ تأليفـــــــه •

وهذا التاريخ يعد من الوثائق المعاصرة لما قبل تاريخ هولاكو ، ولكنه لم يتعرض للمغول ولا لظهورهم بكلمة ، وهو على اختصاره يبصر بمجمل التاريخ بنظرة سريعة ، ويعين فكره ويفيد من لا يحتاج الى أكثر من ذلك • وهذا غير ما جاء فى كشف الظنون فى مادة (تحفــــة الظرفاء بذكر الملوك والخلفاء) للشيخ محمد بن أبي السرور البكرى المصرى وهو مؤلف الكتاب المتوسط بين عيون الاخبار ، والمنح الرحمانية ولم يعين تاريخ وفاته ، وانما قال وهو من أشخاص عصرنا بمصر • وذكر (بلغة الظرفاء) فى مادتها •

طبع بمطبعة النجاح بمصر سنة ١٣٢٧ هـ — ١٩٠٩ م ذكر فيـــــــه الرسول (ص) ونسبه ، والخلفاء الراشدين ، والأمويين ، والعباسيين حتى آخرهم الخليفة المستعصم وقال فيه : « وهو باق الى عصرنا هذا » ، ثم ذكر خلفاء الفاطميين وأنهى حوادثه فى سنة ٦٤٨ هـ فى مستهل المحرم • وفيه فوائد مهمة منها : (عن الملك الكامل) :

« ثم ولي بعده الملك الكامل ناصرالدين أبو المعالى محمد ، فعمر البلاد، وعدل فى الرعية وأحسن الى الناس ، وكان محبا للعلوم والادب وأهله ، وكان له يوم الجمعة يجتمع فيه الادباء ، ويتناظرون بين يديه ، وجمع من الكتب ما لم يجمعه مثله قبله ولا بعـــده ، توفي يوم الاربعـاء ٢١ رجب سنة ٦٣٥ » اهـ •

وكان قد ملك سنة ٦١٥ هـ بعد وفاة الملك العادل سيف‌الدين أبي بكر ابن أيوب الذى ولي الحكم سنة ٥٩٦ هـ ، وفى هذا البيان رجعة بذكر المتأخر ثم من تقدمه وهكذا مضى الى صلاح‌الدين الملك الناصر •

وكتاب (بلغة الظرفاء) هذا أكثر ما يتكلم على الفاطميين بمصر ، ويظهر من المؤلف انه مصرى ، وعرّف بما جرى أيام الفاطميين ، وأيام الدولة الأيوبية . فأوضح عمن ولي بعد الفاطميين من الملوك من حين انقرضوا الى سنة ٦٤٨ هـ ، فهو مجمل تاريخ الفاطميين والأيوبيين .

١١ - سبط ابن الجوزي

من مشاهير المؤرخين اعتمد آثارا كثيرة ، وعول على مراجع لا تحصى، ومن أهمها تاريخ جده أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزى المعروف بـ (المنتظم) ، راعى الحوادث التاريخية والوفيات بصورة متوالية ، فكان سجلا مقبولا ، وأثرا خالدا ، يعين الطالب ويرجع اليه للتعرف بالحادث ، أو برجال التاريخ المشاهير من علماء وغيرهم .

ان المترجم جمع بين كتب الطبقات والحوادث ، وسار على نهج جده فى ترتيبه فلخص جميع ما رأى من كتب تاريخية ، وتراجم أشخاص ، فاستوعب تواريخ العراق وغيره ، وأجمل حوادث التاريخ مما وصل اليه . وجلا صفحة تكاد تغنى عن غيرها . فكان مشروعا عظيما لا يستطيع القيام به فرد بل جماعة . كان مبدأ علمه وتحصيله فى العراق ، وأتم أيامه الاخيرة فى الشام بعد أن تحول من الديار المصرية ، ومعروف فى تواريخ عديدة الكثير منها ثناء عليه ، واطراء لأثره ، ولا نمضى دون أن نعين بعض ما قيل فيه لنكون على بينة من آراء العلماء ، وموقعه من نفوسهم ، وهذه تكشف عن شعورهم فيه . وأوسع ترجمة له رأيناها فى منتخب المختار ، قال ابن رافع السلامى :

« يوسف قز أوغلى ابن عبدالله التركى العونى[١] البغدادى الحنفى أبو

---

(١) العوني نسبة الى عون الدين الوزير ابن هبيرة .

المظفر الواعظ الملقب شمس الدين الفقيه سبط الحافظ أبي الفرج ابن الجوزى .

سمع ببغداد من :

١ ـ جده لأمه المذكور مشيخته ، ومجلس أبي سعد البغدادى، والذكر والتسبيح ليوسف بن يعقوب القاضي .

٢ ـ أبى الفرج عبدالمنعم بن كليب .

٣ ـ عبدالله بن أحمد بن أبى المجد الحربى .

٤ ـ عبدالعزيز بن الأخضر .

وبالموصل من :

١ ـ أحمد بن عبدالمحسن بن الخطيب .

٢ ـ عبدالله بن أحمد بن محمد بن عبدالقاهر الطوسى .

وبدمشق من :

١ ـ أبى حفص عمر بن محمد بن طبرزد .

٢ ـ أبى اليمن الكندى .

وانتهت اليه رئاسة الوعظ ، وحسن التذكير ، ومعرفة التاريخ ، وكان حلو الايراد ، لطيف الشمائل مليح الهيئة ، وافر الحرمة ، له قبول زائد بدمشق ، أقبل عليه أولاد الملك العادل ، وأحبوه . وكان العامة يبالغون فى البكاء فى مجلسه ، سكن دمشق من الشام وأفتى ودرّس وحدّث .

سمع منه :

١ ـ أبو بكر بن عباس السائب .

٢ ـ عبدالحافظ بن بدران .

٣ ـ نجم الدين موسى السقراوى .

٤ ـ شرف الدين عبدالله بن الحسن بن عبدالله بن عبدالغنى .

٥ ـ أحمد بن أبى الهيجاء بن الزرار .

ذكره الحافظ أبو المظفر منصور بن سليم فى (تاريخ الاسكندرية)

وقال : ورد الثغر ، وجلس للوعظ بـ (الجامع الحبوشى) ، وحضر مجلسه القضاة والعلماء ، واجتمع له من الخلق ما لم يجتمع لغيره ، وكان شيخا صالحا ، عالما بالتفسير والحديث والفقه ، ونزل ظاهر الثغر بالسوارى ٠٠ » اه

ومن هنا نعلم درجة مكانته ، ومنزلته فى النفوس ، وأطب ابن رافع فى ذكر (قزأوغلى) وما ورد فيها من التلفظ ، وما يقصد منها ويلاحظ هنا أن (قز أوغلى) لم يكن اسم والده ، انما هو نعته ، فهو ترجمة سبط ويعني حرفيا (ابن البنت) ، والصواب أن لفظ ابن فى (يوسف ابن قز أوغلى) زائدة ، وأن أبا الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي جده لأمه فهو سبط ، ولا يزال هذا اللفظ مستعملا لحد الآن ، وجاء فى منتخب المختار انه ابن (قز أوغلى) ، وهكذا فى كشف الظنون عند الكلام على تاريخه (مرآة الزمان) • وفى طبقات ابن رجب ذكرت حياته مفصلة •

١ ـ مؤلفاته :

والحق ان آثار الرجل تعين اشتغاله ، ومنها يصح أن تتبين درجة علمه، ومقدار اهتمامه ، وفى كشف الظنون ومنتخب المختار جملة صالحة من مؤلفاته ، ومنها :

١ ـ التفسير الكبير • فى عشرين مجلدا •

٢ ـ كتاب فى التاريخ ، لم يعين فى منتخب المختار اسمه ،وهو غير مرآة الزمان •

٣ ـ كتاب ايثار الانصاف فى مسائل الخلاف •

٤ ـ تاريخه مرآة الزمان فى وفيات الفضلاء والاعيان• من أجل الآثار، جمع فأوعى • عرف برجال العلم والأدب ونقد بعضهم ، وعين أوصافهم ، فكان خلاصة العصور ، رأيت منه فى استنبول فى صيف سنة ١٩٣٩ م أجزاء عديدة فى خزانة كتب (سراى طوبقپو) ، وفى خزانة (متحف الأوقاف الاسلامية) ، وفى الأول شاهدت ٤٢ مجلدا ، وفى الثانى ١٨ مجلدا ضخما،

وهذه فى ضمنها مختصر مرآة الزمان ، وذيل المرآة وهما للقطب اليونيني ، ولا شك أن بين هذه مكررات ، ومن المحتمل جدا وجود نسخة كاملة ونفيسة منه ، ومن مختصره ، ومن تكملته (ذيوله) ويؤسف للغفلة عنه ، وعدم الاهتمام به الى الآن فلم يطبع ليعم الانتفاع به ، وفيه العلم الجم والتعريف بعلماء وشعراء ، وكتاب ومشاهير آخرين ، ويصح أن يقال انه خلاصة الآثار فى علمائنا ومثقفينا لمختلف العصور الى أواخر الدولة العباسية .

ويعد أعظم تحفة ، والأجزاء الأولى منه تتعلق بتاريخ العرب قبل الاسلام ، وبغيرهم . وكتبت فى رحلتى الثالثة وصف ما شاهدته من تلك الأجزاء[1] ، وهناك أجزاء متفرقة فى بغداد ، وفى الموصل ، وأجزاء عدة منه فى (خزانة كوبريلى) الا ان بعضها تناولته الأرضة بالتدمير وكادت تقضي عليه ، ومن الضرورى الاستعجال بأخذ تصويره لئلا نحرم من هذه الأجزاء وغيرها ، والكتاب لا يتكلم على المغول ، ولكنه يعرف بعلماء العراق الى سنة ٦٥٤ هـ فهو ذو علاقة بنا .

طبع بالزنك جزء مختصر منه لليونيني وطبع فى حيدر اباد على الحروف ، والامل أن تتعاون الاقطار الاسلامية والعربية على طبع هذا الاثر الجليل ، فتخلد أعظم مأثرة فى خدمة الأسلاف باحياء ذكرياتهم وتوكيد المعرفة العلمية والأدبية .

٢ ـ النقد الموجه اليه :

لا يخلو المرء من ضد أو ند ، والمعاصرون لا يتورعون فى الغالب من الحكم على معاصرهم ، والعوامل كثيرة ، منها الزحام فى التداريس ، والاحتياجات الحياتية ، أو الظهور والحرص الدنيوى بأمل أن تكون الشهرة خاصة بهم ، والاستقلال بها والأثرة فيما يحتمل أن يشاركهم به غيرهم الى آخر ما هنالك وقد يكون النقد صحيحا اذ لم نطلع على جميع آثاره .

---

(١) وصفتها فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ج٢٢ ص٣٧١ .

وموضوع بحثنا النقد الموجه على المترجم ، وندرك ماهيته لنعين درجة صحته ، أو ما هو خلاف ذلك ، ولا يهمنا ما عوّل عليه الاضداد ، ومن ثم نقطع بما يظهر من الادلة لتمحيص هذا النقد .

١ ـ قال الذهبي : « نراه يأتى فيه ـ فى تاريخه ـ بمناكير الحكايات وما أظنه بثقة فيما ينقله ، بل يبخس ويجازف . » ، وقال القطب اليونيني : « رأيت أن أجمع التواريخ مقصدا ، وأعذبها موردا (مرآة الزمان) فشرعت فى اختصاره .. »

فهنا نرى الذهبى قد أجمل كما أن القطب اليونينى اعتمـــده ولكنه اختصر ولعله حذف ما رآه موجبا للطعن وقال الصفدى : وأنا ممن حسده على تسميته (مرآة الزمان) فانها لائقة بالتاريخ ، وكأن الناظر فيه يعاين من ذكر منها الا ان المرآة فيها صدأ المجازفة منه فى أماكن . وقال سـعدالدين ابن العربى فى الذيل : وهذا من الحسد فانه فى غاية التحرير ومن أرخ بعده فقد تطفل عليه لا سيما الذهبي والصفدي فان تقولهما منه فى تاريخهما .
وفى هذا ما يعين مكانة تاريخه ، وأهميته ودرجة الاستفادة منه .

٢ انه يرمى بالتشيع ، وهذا محل نظر ، فان حب الآل ، وحب الامام علي وأولاده لا يعنى ذلك ،بل ان ذكر المناقب فى هذا الباب قد يلاحظ فيه اغراق فى المدح وهو دليل الحب ، وفى مثله ينقد من ناحية صحة الخبر وكذبه .

٣ ـ **ذيول مرآة الزمـــان :**

ذكر صاحب كشف الظنون ان ابن أبى الرجال قد اختصره ، وترجمه الى التركية المولى محمد بن عبدالعزيز اليونيني المتخلص بـ (وجودي) المتوفى سنة ١٠٢١ هـ ، واختصره محمد بن شاد شاه ، من الأصل لابن الجوزى ، وذيل ذيله للحافظ تاج الدين البرزالي وذيل المرآة لسعدالدين ابن العربي . وخير ما وصل الينا خبره (ذيل المرآة للقطب اليونينى) ، فقد اختصره وذيل عليه . وهو قطب الدين موسى بن محمد البعلبكي اليونيني المؤرخ المتوفى

سنة ٧٢٦ هـ ، ورأيت فى استنبول هذا المختصر مع ذيله ، وكل منهما فى أربعة مجلدات ضخمة ، والذيل الذى شاهدته وقف فى وقائعه عند سنة ٧١٣ هـ كما انه زاد على الأصل من المختصر زيادات .

وابنه الشيخ العالم الفقيه المؤرخ تقى الدين أبو عبدالله محمد ابن الامام قطب الدين اليونينى الحسينى[١] وتوفي يوم الأحد ٣ ذى الحجة سنة ٧٦٥ هـ .

٤ ـ وفـــاته :

لا مجال للبحث عن المترجم بأكثر من هذا ، وكل ما نعلمه انه ولد فى نحو سنة ٥٨١ هـ ـ ١١٨٦ م . وأما وفاته فقد كانت ليلة ٢١ ذى الحجـة سنة ٦٥٤ هـ ـ ١٢٥٧ م فى دمشق الشام ودفن بجبـل قاسـيون ظاهر دمشـــق .

ورثاه أحمد بن ابراهيم بن عبداللطيف بن مصعب ارتجالا بهـذه الأبيـــات :

ذهب المؤرخ وانقضت أيامـــه
فتــكدرت من بعـــده الأيام
قد كان شمس الدين نوراً هــادياً
فقضى فعمّ الكائنات ظــلام
كم قد أتى فى وعظه بفضـــائل
فى حسـنها تتحيّر الأفهـــام
حزن العراق لفقـــده وتأسفت
مصـــر وناح أسىً عليه الشـــام
يسقى ثرىً واراه صوب غمامة
وتعـاهدته تحيــة وســلام

وفى هذا كله ما يكفى لمعرفة مكانته ، ولا محل للاستقصاء .

---

(١) الرد الوافر ص ٣١ ولم يتطرق لمؤلفاته .

عهد المغول

١ ـ الايلخانيون

من سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م الى سنة ٧٣٨ هـ - ١٣٣٨ م

ظهر فى هذا العهد مؤرخون أعاظم تنوعوا فى التاريخ ، وأبلغوه الغاية فى مختلف أوضاعه ، وتناولوا مطالب أكسبتهم مكانة بما قدموا من مادة وما عرضوا من أساليب وضروب بيان .

ومما يجدر ذكره أن هؤلاء صاروا قدوة لمؤرخين تالين يستقون من معينهم ، يرجعون اليهم ويأخذون عنهم ، فهم فخر العصور التالية ...

وهذا بيان مشاهيرهم وما أسدوا من خدمات تاريخية .

١ ـ ابن الشعار

وهذا هو كمال‌الدين أبو البركات المبارك بن أبى بكر بن حمدان المعروف بـ (ابن الشعّار) الموصلى كتب فى ديوان اربل مدة .

وفى هذا الموطن يصح أن يعد من مؤرخى هذه الحقبة . وان من ترجمهم وان كانوا شعراء فلا شك انه بينهم من رجال الادارة . وترجمته ألصق بنا وبرجالنا . فقد ذكره ابن خلكان فى اماكن عديدة من تاريخه وهو من معاصريه .

وكتابه المهم (عقد الجمان فى شعراء الزمان) :

« وهذا الكتاب فى الشعراء الذين دخلوا فى المائة السابعة وأدركوها ، وانخرطوا فى سلك فريقها وجاوزوها ، ومن وطىء ساحتها وسلك صراطها على حسب ما صار لدى حصوله ، واتفق لي وقوعه ووصوله ، من شعراء عصرى ، ومحاسن فضلاء دهرى ، وأفردت لذلك كتابا بسيطا حاويا لشوارد كلامهم ، محيطا يشتمل على السمين والغث ، والقشيب والرث ليكون أجمل فى العيون وأبهى ، وأعلى فى النفوس وأشهى ، لا يملّ من تصفحه قاريه ،

بل يروق له ما اشتملت عليه مطاويه ، فبادرت بحمد الله وحوله وفضله .. » الى آخر ما جاء فى مقدمة الكتاب وهو ألصق بالتاريخ الأدبي ، والتلازم مشهود .

وكان المؤلف قد ذكر انه قارب انهاء كتابه الموسوم بـ (تحفة الشعراء) المذيل على كتاب معجم الشعراء للمرزباني فأخلد الى أن يجمع الشعراء المذكورين .. وغالب ما ينقل عن ابن المستوفي الاربلي ..

والكتاب فى عشرة مجلدات ضخمة ينقصها الثانى والثامن وباقى الأجزاء موجودة فى خزانة السليمانية باستنبول فى خزانة كتب أسعد أفندى من رقم ٢٣٢٣ الى رقم ٢٣٣٠ ويحتوى الكتاب على المقدار الكافي من نظم كل شخص . وجاء تاريخ وفاته سنة ٦٥٤ هـ والحال أنه ذكر أبا المجد النشابي الكاتب الاربلي ، وبين تاريخ وفاته فى سنة ٦٥٦ هـ .

٢ - الجوزجانى

هو أبو عمر منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني ويعد ممن أرّخ المغول قبل دخول بغداد وبعدها ، وعاش المؤلف فى أواسط القرن السابع للهجرة ، بل تجاوز النصف بقليل .

وتاريخه يسمى بـ (طبقات ناصري) للسلطان أبى المظفر ناصرالدين محمود ابن السلطان النمش يمين خليفة الله قسيم أمير المؤمنين ملك الهند وهؤلاء يقال لهم السلاطين الشمسية .

وخير ما فيه وقائع المغول الاولين الى فتح بغداد ، وما حدث من تطور فى نفوس البعض منهم فأسلموا ودخلوا فى الدين ، فكانوا قدوة الآخرين . فلم تمض مدة حتى شاع الاسلام فيهم بل شع فى جموعهم عن اعتقاد خالص، وميل الى الاسلام ظاهر ، وفيه ما يكذب أقوال المفترين ممن يظن ان اسلامهم فلتة ، أو أنه لم يكن الا سياسة . وفيه من النصوص القديمة ما لا يوجد فى غيره ،فهو من أقدم الآثار التى تعرضت لاسلامهم ..

والكتاب أتمه مؤلفه فى ٥ ربيع لأول سنة ٦٥٨ هـ وفى خلال سطوره يذكر حوادث اتصل المؤلف بها ، وعلمها عن المغول رأسا • وطبع الكتاب فى كلكتا سنة ١٨٦٤ م فكان تحفة العصور الماضية لتاريخ الهند والمغول ومن عاصرهما فهو من أجل الآثار •• ولما كان لا يتعرض لوقائع العراق فلا أرى ضرورة للتوسع فى وصفه •• كتبه مؤلفه باللغة الفارسية ، ولغته واضحة لا تعقيد فيها ولا ابهام ••

و(كتاب سياسة الأمصار فى تجربة الأعصار وتاريخ آل جنكيز) ويتضمن أحوال دولة المغول من خروج جنكيز •

وقصّ فيه حادثة بغداد ، وشهادة الخليفة المستعصم بتفصيل ، واتهم الوزير ابن العلقمى ، كما تعرض لسائر أحوالهم ، وسمّي هلاكو بلفظ « هلاو » وهكذا سماه الشاميون والمصريون فى الغالب ، وقالوا « هلاوو » و « هلاوون » ، طبع طبعة حجرية فى الهند •

٣ - ابن العديم

التاريخ قام بخدمته أعاظم ، أكسبوه المكانة اللائقة والمركز المقبول ودوّنوه خير تدوين ، ومن هؤلاء الأكابر كمال الدين أبو القاسم وأبو حفص عمر بن أحمد بن أبى جرادة المعروف بابن العديم[١] • ويعد من مشاهير مؤرخى حلب ، بزّ من سبقه ، ونال المقام المعتبر •

وابن العديم من أسرة عريقة فى حلب معروفة بالعلم ، سافر لاكمال التحصيل الى أقطار عديدة من أهمها العراق والشام والحجاز ، وأخذ العلم عن علماء أعاظم ، ثم عاد ونال مناصب ادارية وسياسية فى حلب وكتب وأدى سفارات •

---

(١) فى كشف الظنون فى مادة بغية الطلب جاء انه عقيلى وساق أسماء أجداده بسعة ج ١ ص ٢٠٠ وفى معجم الادباء وفى الجواهر المضية ج ١ ص ٣٨٦ وفى النجوم ج ٧ ص ٢٠٨ ، وفى مقدمة الاستاذ الدكتور سامى الدهان لزبدة الحلب فى تاريخ حلب تفصيل ترجمته •

ولما ظهر المغول فى أنحـاء حلب ، غادرها أميرهـــا (الملك الناصر) وبصحبته المترجم وذهب الى مصر القاهرة ، ولكن المترجم رجع الى الشام ولما جاء هلاكو فوض اليه قضاء الشام ، وكان المغول قد دمّروا البـــلاد وخرّبوا ما فيها من حضارة فتألم لذلك كثيرا ، بكى واستبكى بما نظمه من شعر ، فلم يطق صبرا على الحالة ، فعاد الى مصر وتوفي فيها سنة ٦٦٠ هـ .

وكان من أكابر الخطاطين المشهورين أيضا وقيل انه يوجد من خطه لوحان فى لينتغراد[١] الا ان تاريخه هو موضوع البحث .

وكان كتب فى (تاريخ حلب) مؤرخون عديدون لهم الأثر الحسن فى التاريخ الاسلامى . جلوا عن صفحة منه تخص انحاء حلب ، أو أنها ذات علاقة بحوادث الأقطار الأخرى ووقائعها العلمية ، والاتصال بها من وجوه عديدة فجمعت (تاريخ حلب) ثلة صالحة ، منهم :

١ ـ أبو الفوارس حمدان بن عبدالرحيم بن حمدان التميمي الاثاربي ثم الحلبى ، وسمّى تأليفه فى تاريخ حلب (القوت) ، وابتدأ به من ســـنة ٤٩٠ هـ ، ويتضمن أخبار الفرنج وأيامهم وخروجهم الى الشام من السنة المذكورة وما بعدها .

وذكر صاحب الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ وياقوت فى معجم البلدان فى مادة (أثارب) قال وحمدان بن عبدالرحيم الاثاربي طبيب متأدب وله شعر وأدب وصنف تاريخا ، كان فى أيام (طغتكين) صاحب دمشـــق بعد الخمسمائة . اهـ[٢] .

٢ ـ العظيمي : وهو أبو عبدالله محمد بن علي العظيمي ، ويعد أقدم من كتب فى تاريخ حلب ، أو أقدم من وصل الينا تاريخـــه من الحلبيين ،

---

(١) (اسلامده تاريخ ومؤرخلر) ص ١٦١ وفى مقدمة الاستاذ الدكتور سامي الدهان ذكر لخطوطه الموجودة .

(٢) اعـلام النبـلاء ج١ ص ١٥ ورد بالثاء فى معجم البلدان والاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٢٥ .

وحصلت على نسخة مصورة من تاريخه المختصر ، ولكنه لا يخص تاريخ حلب ، وانما هو تاريخ عام عثرت عليه فى خزانة كتب المرزيفونى فى بايزيد من خزائن استنبول[١] الا أن تاريخه فى حلب لا يزال مفقودا[٢] .

٣ - ابن أبى طى يحيى بن حميدة الحلبي[٣] المتوفى سنة ٦٣٠ هـ كتب تاريخ حلب وهو تاريخ كبير ، ويسمى (معادن الذهب) . وله عليه ذيل .

تاريخ ابن العـديم :

وهذا هو المقصود بالذكر ، وعرفنا أنه أدرك أيام المغول ، فهو من أقدم المعاصرين لهم ، ذكر وقائعهم . كما أنه ذكر عراقيين كثيرين ، وجلا صفحة عن التاريخ العلمي ، وتاريخه (بغية الطلب فى تاريخ حلب) معروف ، ورأيت منه فى أيلول سنة ١٩٣٩ م مجلدات عديدة وضخمة فى خزانة (طوپقپو سراى) فى خزانة السلطان أحمد الثالث . ومنه نسخة فى أيا صوفيا برقم ٣٠٣٦ ، وربما كانت منها نسخة كاملة ، فلم أتمكن من مراجعتها واغلاق خزائن الكتب بسبب الحرب .

وفى الخزانة الأهلية فى باريس برقم ٢١٣٨ وهو جزءان . وفى المدرسة الحسينية فى الموصل مجلد منه ويبتدىء بـ (زهدم بن الجارف) وينتهى بـ (سعيد بن سلام المغربى) ومنه مجلد فى لندن .

وقال صاحب الاعلان بالتوبيخ :

« وللكمال عمر بن أحمد بن العديم فى تاريخ حلب كتاب حافل سماه بغية الطلب وقفت على كثير منه .. » اهـ[٤]

---

(١) مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ج١٨ ص ١٩٩ وفيها مقال لي ومن أهم ما فيه الحروب الصليبية . وأعلام النبلاء ج٤ ص ٢٤٨ .

(٢) أعلام النبلاء ج١ ص ١٤ و٤٢ .

(٣) أعلام النبلاء ج١ ص ٤٦ بيان لمؤلفاته .

(٤) الاعلان بالتوبيخ ص ١٢٥ والتفصيل فى أعلام النبلاء ج١ ص ١٢ .

وعدّ صاحب كشف الظنون ابن العـديم أول من صنّف فى تاريخ حلب .. ونقل عن القطب اليونيني فى ذيل مرآة الزمان انه يكون بياضه فى ٤٠ مجلدا ومات وبعضه مسودة انتهى .

وجاء فى در الحبب فى تاريخ حلب ان ابن العديم من أول المؤرخين ، وتابعه صاحب كشف الظنون فى هذا وسماه (بغية الطلب) قال : وانتزع منه ابن العديم تاريخه المسمى (زبدة الحلب فى تاريخ حلب) .

مختصرات تاريخـــه :

١ ـ ابن العديم كتب مختصره وسماه (زبدة الحلب فى تاريخ حلب)، وسماه الربعى (محمد بن ابراهيم الحلبى) (زبدة الطلب فى تاريخ حلب) . ومنه نسخة فى الخزانة الأهلية فى باريس برقم ١٦٦٦ ونشر هـــذا الأثر وحققه الأستاذ الفاضل الدكتور سامى الدهان وأوسع القول فيه . ظهر منه مجلدان من نشريات المعهد الفرنسى بدمشق للدراسات العربية طبع المجلد الأول منه سنة ١٩٥٢ م والمجلد الثانى سنة ١٩٥٤ م .

٢ ـ نورالدين على بن سعيد الغمارى المغربى المالكى المتوفي سـنة ٦٧٣ هـ ـ ١٢٧٤ م وكان قد سكن حلب مدة وصحب المترجم ، فاختصر تاريخه المذكور ولم يعين اسم هذا المختصر ، ومما ألفه ابن سعيد المغربي (المغرب فى أحوال أهل المغرب) ، و(الغرّة الطالعة فى شعراء المائة السابعة) و(المرقص والمطرب فى أخبار أهل المغرب) ، و(المشرق فى محاسن أهـل المشرق) ، وترجمته فى (منتخب المختار) .[١]

٣ ـ الشيخ طاهر بن الحسن المعروف بابن حبيب الحلبى المتوفى سنة ٨٠٨ هـ كان انتزع من تاريخ ابن العديم مختصرا سماه (حضرة النديم من تاريخ ابن العديم) ، قال فى كشف الظنون : هكذا وجدته ثم رأيت فى

---

(١) منتخب المختار فى علماء بغداد ص ١٤٢ وفى كشف الظنون ما يخالف هذا .

درة الأسلاك يقول جمعت من تاريخه ومن خطه كتابا لطيفا سميته (حضرة النديم) انتهى •

الذيول عليـــــه :

حصل المؤلف على شهرة كبيرة ، ونال مؤلفه عناية من علماء كثيرين ، وكتبت عليه ذيول عديدة الا أن الاستفادة منه لا تقتصر على ما كتب عليــه ، وانما استعان به مؤرخون لا يحصون :

١ ـ الذيل لابن عشائر • كما جاء ذكره في (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) في ص ١٢٦ الا انه لم يذكر اسم كتابه • وجاء في لحظ الالحاظ بذيل طبقات الحفاظ لابن فهد أنه رئيس حلب وخطيبها ومؤرخها وحافظها وهو ناصرالدين أبو المعالي محمد بن علي (ابن عشائر) راجـــع ص ١٧٠ وذكره السيوطي في ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٧٣ ولم يسمِّ تاريخه •

٢ ـ الدر المنتخب في تاريخ حلب • للحافظ العلامة قاضي القضـاة علاءالدين أبي الحسن علي بن محمد بن سعد الطائي الحلبي الشافعي المشهور بابن خطيب الناصرية وكانت وفاته بحلب سنة ٨٤٣ هـ ، وكتابه هذا طالعه ابن حجر واستفاد من تراجمه في كتابه (انباء الغمر) وأثنى على صـاحبه ، وأفاد ان كلاً منهما سمع من صاحبه •

وهذا الكتاب على ما جاء في مجلة المشرق ج ٨ ص ٩٢٨ منه نسـخة مخطوطة عند الأستاذ كامل الغزي • وهذه النسخة لم يرد وصفها • ولعل صاحبها كتب عليها هذا الاسم •

٣ ـ كنوز الذهب للمحدث موفق‌الدين أبي ذر أحمد ابن الحافظ المتقن برهان‌الدين ابراهيم بن محمد بن خليل الحلبي الشـــافعي المعروف بـ (سبط العجمي)[١] المتوفى ســـنة ٨٨٤ هـ بحلب ، وهو من معاصري

---

(١) كذا في كشف الظنون ج١ ص ٣٠٠ وفي مادة تاريخ حلب ورد سبط ابن العجمي ، وهو الصواب ، وجاء ذكره في لحظ الالحـاظ بذيل طبقات الحفاظ ص ٣٠٨ ، وذكره السيوطي في ذيل التذكرة ص ٣٧٩ •

الشيخ جنيد الصفوى وهذا هو ذيل الدر المنتخب ، ضمنه ذكر الحوادث . وان هذا الذيل على (در الحبب) لا يزال مخطوطا ، ومنه نسخة فى خزانة الأستاذ العلامة (أحمد تيمور باشا) بدار الكتب المصرية ، وجزء فى خزانة الأستاذ كامل الغزي[1] .

٤ ـ ذكر صاحب در الحبب أنه ظفر بذيل على هذا الذيل ، ولم يعين مؤلفه . وقال : ان جد والده لأمه قاضي القضاة محب الدين أبا الفضل محمد ابن المخربي الوليد محمد بن الشحنة الحنفي قد وضع تاريخا كبيرا سماه (نزهة الناظر فى روض المناظر) جعله كالشرح لتاريخ والده المسمى (روض المناظر فى علم الأوائل والأواخر) فكان ذلك من أسباب وضع تاريخه ، وكان هؤلاء من مؤرخي حلب ، وان لم يختص تاريخهم بحلب ، ولكنهم تأثروا بوقائعها .

٥ ـ در الحبب فى تاريخ حلب . تأليف محمد بن ابراهيم بن يوسف ابن عبدالرحمن بن الحسن الحلبي الربعي المشهور بـ (ابن الحنبلي) منه نسخ عديدة فى استنبول وغيرها ذكرها فى أعلام النبلاء ، ومنه نسخ فى خزانة الداماد ابراهيم باشا برقم ٩٢٢ ، ومنه نسخة فى خزانة نور عثمانية برقم ٣٢٩٣ ، وفى المجلد الرابع من آداب اللغة العربية للاستاذ جرجي زيدان ج ٤ ولما رأى المؤلف جده لأمه كتب ما كتب ، وعدد الذيول لتاريخ بغية الطلب ، واختصاره (زبدة الطلب) قال :

« حتى انتزعنا منه وزدنا عليه ، سوى ما تلقيناه سنة ٩٥١ هـ مختصرنا الذى سميناه بـ (الزبد والضرب) فى تاريخ حلب .. » اهـ

قال صاحب أعلام النبلاء[2] : انه وصل فيه مؤلفه الى سنة ٦٤١ هـ ومنه نسخة فى المدينة المنورة فى خزانة عارف حكمت برقم ٥٩ ، ومنه نسخة فى (لينتغراد) برقم ٢٠٣ ، وأخرى فى المتحفة البريطانية برقم

---

(١) اعلام النبلاء وكشف الظنون .
(٢) أعلام النبلاء ج١ ص ١٩ .

٣٣٤ ، وفى (أوكسفورد) برقم ٨٣٦ •

ألفه سنة ٩٥١ هـ ثم قال : ان تاريخ جده لأمه ، والذيول المذكورة مما دعا أن يضع تاريخ الأعيان بعد أن كتب (الزبد والضرب) فكتب تاريخا آخر سماه (در الحبب فى تاريخ حلب) ، فجعله على حروف الهجاء ، وعلى غرار تاريخ الخطيب البغدادى وذكر الواردين اليها •• وهو كتاب جليـــل فى موضوعه ، اختصر تاريخ ابن العديم وجمع الذيول التى عليه ولخصها أو وحدها ، واستعان بالتواريخ الأخرى • فأبرز تاريخه ، وهو مهم فى التعريف بالرجال •• وتوفي سنة ٩٧١ هـ فأتم حوادث كنوز الذهب كما قال صاحب كشف الظنون •

ومن هنا علمنا درجة تأثير (تاريخ بغداد) للخطيب على الأصل الذى أثر وعلى من جاء بعده ، وابن العديم انتفع من أســلوب الخطيب لتاريخ حلب وابن تغري بردي فى معجمه ، وهكذا ابن حجر ، والسخاوي ، لعصور معينة •

ومن تواريخ حلب :

١ ـ (الدر المنتخب فى تاريخ حلب) • وهو غير كتاب ابن الخطيب المذكور سابقا • طبع فى بيروت سنة ١٩٠٩ م فى المطبعة الكاثوليكية ، وجاء فيه انه لابن الشحنة المتوفى سنة ٨٨٣ هـ مع انه ينقل عن متأخرين جاؤا بعده • ورجح الأستاذ الطباخ انه لأبى اليمن المتوفى سـنة ١٠٤٦ هـ[١] • ولعل هذا أقرب للصواب •

٢ ـ (معـادن الذهب فى الأعيـان المشرفة بهم حلب) • تأليف أبى الوفاء ابن عمر العرضى الحلبى المتوفى سنة ١٠٧١ هـ ومنه نسـخة فى خزانة الأمة فى برلين برقم ٩٤٧٦ • وذكره الشهاب أحمد الخفاجى فى كتابه (خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا)[٢] جـاء ذكره فى كشف الظنون وهو ذيل لدر الحبب •

---

(١) أعلام النبلاء ج١ ص ٣١ •
(٢) أعلام النبلاء ج١ ص ٣٤ وفيه تفصيل •

٤ ـ ابو شامة

شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل واشتهر بكنيته أبي شامة ، وهو من أعلام العلماء وأكابر المؤرخين ، اكتسب مكانة مقبولة ، وشهرة ذائعة ، أخذ عنه كثيرون وعرف في الشرق والغرب بآثاره النافعة الخالدة . وشهرته لا تقتصر على التاريخ وحده ، وانما عرف بالحديث ، والفقه ، والأدب ، نراه تناول مطالب جليلة ، وأبحاثا عظيمة ، أتم تحصيله في مصر ، ثم عاد الى دمشق وفيها نال شهرته الفائقة ، وأودعت اليه المدرسة الركنية ليدرّس فيها العلوم ، فتكامل انكشافه ، وظهرت مواهبه فيها ، وخلّد آثاره الجليلة . ولم يطق معاصروه احتماله ، فوقع تحت طائلة منافستهم له وذمّه ، ولم يكتفوا بذلك حتى قتلوه أشنع قتلة ، فارتكبوا اثما كبيرا ، وجناية لا تغتفر ، ومن راجع مؤلفاته قطع بكماله ومكنته من العلوم ، وخدماته للاسلام . كانت في تدوين أجلّ الأخبار وكان يشنع عليه من لا يستطيع مزاحمته ومجاراته في علمه ، ومع هذا استهوى هذا التشنيع السخاوي فقال :

« وممن امتحن بسبب اطلاق لسانه بغير مستند ولا شبهة الامام أبو شامة أحد شيوخ النووي .. فانه مع كونه عالما راسخا في العلم مقرئا محدثا نحويا يكتب الخط المليح المتقن مع التواضع والأنطراح والتصانيف العدة كان كثير الوقيعة في العلماء والصلحاء وأكابر الناس ، والطعن عليهم ، والتنقص لهم ، وذكر مساوئهم ، وكونه عند نفسه عظيما ، فصار ساقطا من أعين كثير من الناس ممن علم منه ذلك ، وتكلموا فيه ، وأدى ذلك الى امتحانه بدخول رجلين جليلين عليه في داره في صورة مستفتيين فضرباه ضربا مبرحا الى أن عيل صبره ، ولم يغثه أحد بحيث أنشد أبياتا يستغيث فيها بالله عزّ وجل . » اهـ[1]

وقد اغتيل في ١٩ شهر رمضان سنة ٦٦٥ هـ وكانت ولادته في ربيع

---

(١) الاعلان بالتوبيخ ص ٦٠ .

الأول سنة ٥٩٩ هـ ، ولكنهم لم يتمكنوا من قتـــل آثاره ، فبقيت خالدة ، مقبولة ، ومرغوبا فيها •• وترجمته مدونة من مؤرخين عديدين • وكلهـا طافحة بالثناء على علمه وفضله[١] •

مؤلفاته التاريخيـــة :

كتب فى القرآت والحديث مؤلفات عديدة ، ويهمنـــا بيان آثاره التاريخية وأشهرها :

١ ـ مختصر (تاريخ دمشق) من ابن عساكر فى عشرين مجلدا •

٢ ـ مختصر آخر (لتاريخ دمشق) • من ابن عساكر أيضا •

٣ ـ كتاب (الروضتين فى أخبار الدولتين) ويريد بهما نورالدين الشهيد وصلاح‌الدين الأيوبى • واشتهر اشتهارا كبيرا بقدر اشتهار تلك الدولتين • وطبع فى مصر بمطبعة وادى النيل سـنة ١٢٨٧ هـ ـ ١٨٩٢ م كما طبعت‌منتخبات منه مع ترجمتها الى الفرنسية‌فى‌باريس سنة١٨٨٨م[٢] ويعد من أعظم المراجع لأيام الأميرين المذكورين ، مفصلا ، وبالاخص وقائع الصليبيين وحروبهم ، وعوّل المؤلف على ما جاء فى (البرق الشامى) للعمـــاد الكاتب الأصبهاني وعلى غيره من المؤلفات الأخرى •

٤ ـ ذيل الروضتين • وهذا يكمل الحوادث من سنة ٥٩٠ هـ الى سنة ٦٦٥ هـ فوصل بالحوادث الى تاريخ وفاته وهو التاريخ المذكور ، قال فى المقدمة :

« جعلت فى كتاب الروضتين كثيرا من الحوادث الواقعـــة فى زمن الدولتين النورية والصلاحية ، وأنهي ذلك الى الســـنة التى توفي فيهـــا صلاح‌الدين ، سنة ٥٨٩ هـ ، وذكرت تبعا لذلك أشياء مفرقة فيمـــا يتعـلق

---

(١) (فوات الوفيات) ج١ ص ٢٥٢ وطبقات السبكى ج ٥ ص ٦١ وبغية الوعاة ص ٢٩٧ وطبقات الحفاظ للذهبى •

(٢) وفى (اسلامده تاريخ ومؤرخلر) ذكر طبعته مع الترجمة باللغة الالمانية سنة ١٨٧٩ م • ومعجم المطبوعات •

بأحوال أولاده ومن يتعلق بهم ، ثم خطر لى أن أجمع كتابا يتضمن كثيرا من الحوادث بعد ذلك الى آخر ما تدركه حياتى .. وكان فيما حملنى على ذلك كثرة موت المعارف ، فأردت اثباتهم ، لعل بمطالعتهم أجد قلبا على الآخرة يساعف . وابتدأت من سنة ٥٩٠ هـ ـ التى تلو وفاة صلاح الدين ، فذكرت فيها وفيما بعدها ما فاتني ذكره فى كتاب الروضتين سنة بعد سنة .. وسميته (الذيل على الروضتين) » اهـ .

ومن هذا الكتاب نسخة مصورة فى المجمع العلمي العربي الدمشقي مهداة من المرحوم الاستاذ أحمد تيمور باشا وخطها واضح جيد منقولة من النسخة المرقمة ٥٨٢٧ فى خزانة باريس الأهلية ، ومنه نسخة فى كوبريلى رقم ١٠٨٠ وفى خزانة الأمة فى برلين برقم ٩٨١٣ وفى المتحف البريطانى برقم ٥٥٥ ، وطبع فى القاهرة سنة ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧ م وجاءت ترجمة المؤلف مفصلة فى المجلد الخامس من مجلة المجمع العلمى العربى فى دمشق ص ١٤١ وفى ذيل الروضتين بيان مؤلفاته وتعدادها . فى هذه النسخة حوادث سنة ٦٥٦ هـ قد بينها فى كتاب السيرة العلائية والجلالية ، والأخبار فى تفصيل ذلك كثيرة ومنها : استولى التتار على الخليفة وأهله لمكيدة دبرت مع وزير بغداد ، فمن أحسن ما أنشدنى فى ذلك بيت لابن التعاويذى :

« بادت وأهلوها معا فبيوتهم
بقاء مولانا الوزير خراب » اهـ.

وقد نشر الكتاب فلا حاجة لايراد أمثلة منه للتوضيح هذا وجعل البرزالي كتابه (المقتفي) ذيلا له .

٥ـ ابن بيبى

الدول الاسلامية ذات علاقة بنا من وجوه عديدة من ناحية الدين ، والمناسبات الدولية والعلاقات الجوارية ، والثقافة فمن الضرورى دراسة هذه

النواحي لتكون على علم بما هنالك ، وزادت العلاقة من ناحية الارتباط بدولة المغول مدة ، وكانت سلطة السلجوقيين مشهودة في بغداد أيام العباسيين ودامت طويلا ، وأثرت على الخلافة العباسية فلا تترك هذه من تاريخ انقطاعها عنا ، وانما تهم معرفة ما وصلت اليه في نهاية أمرها ، أو ما تطورت حتى بلغت غايتها .

وكتب العرب والمسلمين طافحة في الآثار السلجوقية ، وفيها بيان عن ملوكها وادارتها وحمايتها للعلماء وحربها وسلمها الى آخر ما هنالك الا أن المدة الاخيرة لم تطرد في مؤلفات منسقة كاملة عن حياتها لمختلف أزمانها . ومن المراجع المهمة أو من بينها ما كتبه أهل تلك البلاد مثل (ابن بيبي) في تاريخه ، و (الآقسرايي) في تذكرته عن سلاجقة الروم (الاناضول) .

وكلامنا يخص ابن بيبي وهو ناصرالدين يحيى بن محمد بن بيبي رئيس ديوان التوقيع ، وأول ما عثر العلماء على مختصر تاريخه كتب باللغة الفارسية .. وفيه بيان انه ابتدأ بالسلطان غياث‌الدين قليج ارسلان ، وابنه السلطان علاء‌الدين كيقباد . طبعه المستشرق (هوتسما) ضمن (تواريخ آل سلجوق) سنة ١٩٠٢ م وهو محرر باللغة التركية ، وكذا طبع (ويلهلم لاكوس) في(فينة) سنة ١٨٥٤م ، كتاباً آخر اسمه (اجمال أحوال آل‌سلجوق بموجب نقل أوغوزنامه) واسم مؤلفه السيد لقمان ، وهو كتاب صغير ، فكانت هذه الآثار تتناول البحث عن آل سلجوق في بلاد الروم .

وأدت التتبعات الاخيرة الى العثور على أصل كتاب ابن بيبي المسمى (الأوامر العلائيةفي الأمور العلائية) كان‌قدمه مؤلفه الى‌وزير بغداد علاء‌الدين عطا ملك الجويني كتبه باللغة الفارسية ، وجدت نسخته في خزانة كتب أيا صوفيا برقم ٢٩٨٥ .

والمؤلف المترجم من المعاصرين لأيام المغول ، ويعد من خير الوثائق ، وله أهميته ومكانته للتعريف بالسلاطين المذكورين . وتوفي سنة ٦٧٠ هـ ـ ١٢٧٢ م . هذا وجاء الكلام عليهم في كتاب (اسلامده تاريخ ومؤرخلر) ،

وفى دائرة المعارف الاسلامية ، ومعجم المطبوعات • وكل ما يقال فى تاريخه أنه من أهل البلاد وكتب تاريخها وهو أعرف بأعلامها ، ومواقعها ووقائعها ، وبالمعاصرين من أهلها ، أو الأقرب الى عصره ••

٦ - الخواجة نصير الدين الطوسى

مؤرخونا كثيرون ، وليس هنا محل استقصائهم بل يهمنا وصف الوثائق المعروفة وبيان قيمتها التاريخية ، وعلاقتها بنا • وهذه لا تمنع التحرى المستمر عن المخلفات التاريخية الأخرى واثارتها ونشرها توثيقا للمعرفة الصحيحة •

ومن مؤرخى هذه الحقبة أول دخول هولاكو بغداد (الخواجة نصيرالدين الطوسى) ، فنرى اسمه رافق اسم هولاكو فى الفتح ، ونراه يكتب فى حادثة الاستيلاء على بغداد ، فيعد فى صف المؤرخين •

اشتهر الاستاذ الطوسي بالعلم فى مختلف الثقافات ، فبذل جهودا كبيرة فى تمكين ثقافات عديدة كان العراق بحاجة الى انكشافها ، والتطلع اليها مثل الفلك والرياضيات ، والفلسفة الاشراقية والعقائد وسائر ما قام به من تأسيس رصد وجمع العلماء لأجله ، وتأسيس خزانة كتب ••• وتكلمنا فى مواطن أخرى فى الفلك والعقائد وغيرهما • وتوفي فى الجانب الغربي من بغداد ودفن فى الكاظمين فى ١٨ ذى الحجة سنة ٦٧٢ هـ •

وجرى مهرجان احياء ذكراه لمرور سبعمائة سنة على وفاته فقامت جامعة طهران بالامر فى يوم السبت ٥ خورداد سنة ١٣٣٥ هـ • ش • ودام المهرجان الى يوم السبت ١٢ منه • ونشرت الجامعة ما قيل فى حياته وبينت مؤلفاته ، وطبع بعضها ونقلت بعض رسائله الى اللغة الايرانية ، فرأينا من الأساتذة محمد دانش بزوه ، والمدرس الرضوى وآخرين ما كشف كثيرا عن حياته ومخلفاته ••• وعن مكانته العلمية وصلاته بمن سبقه

وبالمعاصرين له ، وأثر مؤلفاته ... ومنها (رسالة فى فتح بغداد) على يد هولاكو ، وكان تاريخ الهجوم على العراق فى المحرم سنة ٦٥٥ هـ .

وكان الفتح ودخول بغداد فى ٥ صفر سنة ٦٥٦ هـ وفى المجلد الأول من تاريخ العراق بين احتلالين ذكرنا اختلاف النصوص فى تاريخ الفتح .

وهذه الرسالة المهمة هى موضوع بحثنا ولم يقطع المؤرخون فى صحة نسبتها اليه فلا تزال بين الأخذ والرد وما ذلك الا لأنه لم يصرح بأنها له ولا عثر على سند ينطق بذلك من معاصريه كما انها لا علاقة لها بأشخاص الواقعة وهو أحدهم كما لم تعرف نسبتها الى غيره . وهذه الرسالة عثر عليها المرحوم الاستاذ محمد القزوينى فى تاريخ جهانكشاى جوينى فى خزانة باريس الاهلية وأدرجت ملحقة فى المجلد الثالث المطبوع منه فى ليدن بتحقيق الأستاذ القزوينى ، ومنها نسخة فى خزانة مجلس الأمة فى ايران وأولها :

(سپاس مرخداى‌راكه خداوند هردوجهانست ...)

وعثر الأستاذ الفاضل رسول النخشبى على نسخة فارسية منها ضمن مجموعة رسائل خطية منها هذه المنسوبة الى الخواجة ونشرتها مجلة (تقدم) الايرانية فى عدد ٧ سنة ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٢٩ م وأشار الاستاذ الفاضل (المدرس الرضوى) فى كتابه (أحوال وآثار الخواجه الطوسى)[١] ان هذه الرسالة نقلت الى العربية من قبل الاستاذ الفاضل السيد مصطفى الطباطبائى كذا جاء . والصواب السيد محمد صادق الحسينى[٢] وهو صديقنا صاحب كتاب عمران بغداد .

وهذه الرسالة تعد أول ما كتب فى تاريخ العراق لعهد المغول

---

(١) من نشريات جامعة طهران بمناسبة مهرجان الطوسى وطبع فى مطبعة الجامعة بسنة ١٣٣٤ هـ ـ ش . كتبه باللغة الايرانية .

(٢) مجلة المرشد ـ البغدادية ـ ج٢ ص ٢٠ـ٢٨ .

الايلخانيين . ومن أراد التوسع فى حياة الخواجة الطوسى فليرجع الى كتاب الاستاذ (المدرس الرضوى) والى الكتب الاخرى المطبوعة بمناسبة مهرجانه فى الجامعة .

ولا تدعو الحاجة الى بيان ما وقع من التحامل عليه من جراء مصاحبته لهولاكو فى الفتح وذكره ما يترتب على الطالع بالنظر لمخالفته (حسام الدين المنجم) فان الجيش كان راغبا فى الهجوم على بغداد والمسارعة فى أمرها ولعل هذا ما سهل فتواه فى الحرب و (البخشية) كانوا فى جهته وهم رجال الدين عند المغول .

هذا . وان حياته فى مختلف صفحاتها يتكون منها تاريخ ثقافي عظيم من جراء اشتغالاته العلمية المتواصلة ، وعلاقاته بعلماء كثيرين ، وصلاته بالاقطار وتأثيره على العصور التالية له ... ولا يكفى هذا الا أنه للبحث فيه موطن خاص فقد ضرب فى كل نوع من الثقافة بسهم وصح أن يقال عن لسان حاله :

من بهر جمعيتى نالان شدم جفت خوش حالان وبد حالان شدم
هركسي از ظن خود شديارمن وازدرون من نجست اسرار من

لا يزال سره مكتوما لم يطلع على كنهه من اعتقد انه خله الوفي أو خليله الصادق وان كان شاركه فى السراء والضراء وفرح بأفراحه وتألم لألمه كما هو فحوى النظم المعروف لجلال الدين الرومي صاحب المثنوي .

أو كما قال المتنبي :

وللسر منى موضع لا يناله نديم ولا يفضى اليه شراب

وعلى هذا رأى الاستاذ (المدرس الرضوى) فى بيان عقيدته . مما لا محل لتفصيله .

٧ـ ابن الساعى

من حسنات الدهر أن يغفل المغول أمر التدخل فى العلوم والآداب .

فنالتها نهضة تشبه خير العصور الاسلامية فى ابان فيض علومهـــا وتترك المدارس وشأنها تسير فى تقدمها ، ولم تتعرض للاوقاف الاســلامية ، ولم تدخل فيها الا قليلا وذلك ان الدولة جعلت الخواجة نصيرالدين الطوسى صدر الوقوف ، وصارت تأخذ من غلة الاوقاف العشر لمصلحة الرصد فى مراغة مما اعترض عليه العلماء ولم يلتفت الى أقوالهـم فاذا ذهب عراقيون الى الخارج بسبب الفتنة ، ومالوا الى الشام ومصر والحجاز ، مضى آخرون الى ايران وركنوا الى شيراز ملجأ العلماء فان البقية الباقية قامت فى بغداد بالمهمة ، وحافظت على الثقافة ، بل نالت مكانة فى العلم وتوسعا فى الآداب والحكمة والطب والتاريخ • وجادلت عن أوقافها من أن ينالها سوء ، الأمر الذى أدى الى أن ترعى الموقوفات وتنتظم شــؤون الأوقاف ، وتدر على العلماء ، وتكتسب الثقافة الوضع اللائق ، لا من جراء ذلك وحده ، وانما هناك أمر آخر غير مقصود أعني به الطمأنينة والراحة ، بل القدرة والقوة وخوف الرعاع من توليد الفتن ، ولم يخل عصر منهـا وان كانت أقل فى هذا العهد بل يلخص ما قام بما كان موجها من الموظفين بعضهم على بعض، فلم يمس الاهلين مباشرة ورأسا •

وكان من أكابر العلماء النابغين فى التاريخ لهذا العهـد ممن رعوا العلوم والآداب مترجمنا ، فانه من أعاظم العلماء ، وأجلة المؤرخين وكفاه فخراً انه يعد فى الطليعة ، أخذ عنه المعاصرون ونقل الخلف ، ومن تلاهم علمه وتدويناته فكتب وقائع العصر ، والمصر ، وتخرج عليه مؤرخون أكابر لا يستهان بهم بل كانوا فخر العراق ، فكان هذا عهـــد التاريخ وتكامله ، وزمن تدوينه بسعة بحيث أثر تأثيره على ســائر الاقطار والعصور ، فصار قدوة لمن جاء بعده •

والعراق لم يختم عهده فى التاريخ بهذا العالم الفـــذ ، وانما تخرج عليه ، وعاصره آخرون ، أو تلاه نوابغ تعرف لهم مكانتهم • وموضوع البحث هو تاج الدين ابو طالب علي بن أنجب بن عثمـان بن عبيدالله البغـدادى

السلامي المعروف بابن الساعي[١] ، ومراعاة آثاره وما قيل في ترجمته ، وما أحدث بعده من أثر تاريخي ، فسار على منوال غيره من باقي المؤرخين العراقيين .

تاريخ حيـــاته :

وهذه لا يعدّ القول فيها معتبراً حتى يستنطق ما قيل فيه ، وما كتب المعاصرون له ، ومن تلاهم من القريبين لعصره ، لينجلي أمر تأثيره أو ماخلفه من ذكريات ، وكل ما عرف عنه انه أخذ التاريخ عن ابن النجار وكفى .

وذكره الكازروني ، والذهبي ، وصاحب الحوادث الجامعة ، وصاحب الشذرات ، وجاءت ترجمته موسعة في منتخب المختار ، وهي أصل التراجم ، أورد فيها جماعة ممن سمع عنهم أو قرأ عليهم أو أجازوه وحدث وسمع منه جماعة . ولم تقتصر ثقافته على التاريخ ، بل أن التاريخ ليس الا مجموع ثقافات العصور ، فاذا لم يكن أهلا فيها لا يستطيع بيـــان التدرج ، وتوالي العلماء ، وتعيين مكانة كل منهم فبهذه المعرفة ناظم تلك الثقافةفالمحدث أعرف بتاريخ المحدثين وهكذا الفقيه ، والاديب الى آخر ما هنـــالك فهي اتصال العلوم بالتاريخ ..

وكان خازن الكتب بالمدرسة النظامية وهذه مكنته اكثر من هـــذه المعرفة التاريخية . قال في المنتخب :

وكان مقبول الصورة ، منور الوجه ، لطيفاً ، دمث الاخلاق ، كريم الطباع ، كثيرالاطلاع ، صحبالمشايخ الزهاد ، ولبسالخرقة منالسهروردي في ســـنة ٦٠٨ هـ - ١٢١١ م ، وما زال محترماً مكرما يتردد الى الاكابر والصدور ، وما نقل عنه انه حكى مجلسا قط ، واشتهر بعلم التاريخ ، وكان مقرب القلوب ، وحصل بذلك مالاً كثيراً . قال صاحبه محمد بن سعيد

---

(١) سماه في الاعلان بالتوبيخ (ابن الخازن) وليس بصواب وانما هو الخازن لكتب النظامية ص ١٤٧ .

ما كان يكتب مجلدا من التـاريخ الا ويحصل له فى مقـابله المائة دينـار والثلثمائة ..» اه .[١] وفى هذه صفات علمية وسلوك مرضى يتأكد احدهما بالآخر ويقوى ، فان التاريخ يحتاج الى مثل هذه المؤهلات لئلا يتلاعب به من لا ذمة له ولا أخلاقاً تردعه من قول الزور وارتكاب الباطل ..

وترجمته فى تذكرة الحفاظ ، وفى الشذرات ، وعقـد الجمان . وجاء فى الحوادث الجامعة[٢] : توفي سنة ٦٧٤ هـ ـــ ١٢٧٤ م ـ تاج الدين علي بن أنجب .. المعروف بابن الساعي المؤرخ ، وكان مولده سنة ٥٩٣ هـ وكان أديباً فاضلا ، له مصنفات كثيرة آخرها كتاب (الزهاد) وجد عليه بخط الشيخ زكي الدين عبدالله بن حبيب الكاتب .

ما زال تاج الدين طول المدى	من عمره يعنق فى السـير
فى طلب العـلم وتدوينه	وفعـله نفع بلا ضـير
عـلا عليّ بتصـانيفه	وهـذه خاتمـة الخير

مؤلفـاته :

١ ـ الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير . وجـد المرحوم الأستاذ أحمد تيمور باشا قطعة منه ، فأودعها خزانة كتبه ، ونشرت فى بغداد سنة ١٣٥٣ هـ ـ ١٩٣٤ م وهى (الجزء التاسع) بتحقيق الاستاذ الدكتور مصطفى جواد وقدم لها ترجمة مفصلة .

وذيل على هذا الاثر الذى تنتهى حوادثه فى أواخر سنة ٦٥٦ هـ ابن الفوطي وهو تلميذ ابن الساعي وهذا الذيل كبير فى نحو ثمانين مجلدا عمله للصاحب عطا ملك الجوينى والى بغداد فى أيامه[٣] وقد تولى تدوين الحوادث بعد وفاة ابن الساعي الذى كان محرر الوقائع الرسمية ، عيّنه الاستاذ عطا ملك الجويني .

---

(١) منتخب المختار ص ١٣٧ـ١٣٩ . وفيه بيان مؤلفاته .
(٢) الحوادث الجامعة ٣٨٦ .
(٣) كشف الظنون وغيره ممن ترجم ابن الفوطى .

٢ ـ ذيل على تاريخ ابن النجار ، وكان ابن النجار شيخه وأخذ عنه، وهذا الاثر يؤسف لضياعه ، وان كانت الآثار الاخرى أوردت الكثير مما أورده ..

ومن ثم نرى الملازمة فى اتصال العلماء بين أهل الدولة العباسية ، ومن عاشوا بعدها ، فالعلوم لم ينقطع سندها .. وهناك بيان تراجمهم من أيام الخطيب البغدادى ومن تبعه فى نهجه ممن ذكر التراجم وأوردها .. وكان آخر هؤلاء ابن رافع السلامى صاحب المختار المذيل به على تاريخ ابن النجار .

٣ ـ مناقب الخلفاء العباسيين ، وهذا طبع مختصره فى بولاق سنة ١٣٠٩ هـ . وقال الاستاذ نعمان خيرالدين الألوسي ان (مختصر أخبار الخلفاء) نسب لابن الساعى ، وتتبعنا أصل هذا الأثر فلم نعثر له على خبر . ومن تدقيقه يظهر انه مما كتب بعد ابن الساعي بكثير . ولعله مضاف اليه كما يفهم من مطالعته .

٤ ـ ذيل كامل التواريخ .

٥ ـ سير الملوك ، اختصره بدرالدين عبدالرحمن بن ابراهيم ابن قنينوا الاربلى ، ولعله هو عيون السير اختارها من مؤلفه الجامع المختصر المذكور . ومؤلفات ابن الساعى كثيرة مثل الروض الناضر فى اخبار الناصر ، واخبار الظاهر ، واخبار المستنصر ، وسيرة المستعصم ، فلا نستطيع أن نحيط بها لنقطع فى الامر .

وفى هذا ما يكشف عن الحالة التاريخية وانه كان من أئمة التاريخ ونابغة من نوابغه ، وأخذ عن أكابر شيوخ التاريخ المسلم لهم بسعة العلم ، والكفاءة التاريخية ، وكتب فى التاريخ السياسى والعلمى والادبى ، وراعى سائر نواحيه المختلفة فلم يدع زيادة لمستزيد ولو كانت آثاره باقية الى اليوم لما وجدنا ضرورة الى ما نحن فيه .

والمترجم معروف المكانة ذكره أكابر المؤرخين وأثنوا عليه ، ونقلوا من تاريخه نصوصاً كانت لها المنزلة في الكشف عن التاريخ وينبيء عما يوضح أن الرجل مشبع بالنواحي التاريخية ، وانه نافذ النظرة صائب الرميـة والملحوظ أنه كان صاحباً لابى عبدالله محمـد بن سـعيد الحدادي والد عبدالرحيم الحدادى[١] • وكان مناولا فى خزانة الكتب المستنصرية وهكذا كان ابنه وللأب معرفة تامة بها ، وكان وصي ابن الساعي ، وترجمته فى ص ١٨٢ من منتخب المختار ، وهو استاذ ظهيرالدين الكازروني على ما جاء فى طبقات السبكي ج٦ ص ٢٤٢ وأستاذ ابن الفوطي •

٨- ابن خلكان

من المؤرخين الذائعي الصيت ، اكتسب شهرة عالمية شرقاً وغرباً وان أثره نال عناية كبيرة بتدوين الذيول عليه واختصاره ويعـد أكبر (دائرة معارف) للاشخاص • تعقب وفياته ، والتعليق عليه جماعة من العلمـاء ، وتوجه عليه النقد من نواحٍ •• والحق أن المؤلف عرّف بأكابر رجال العلم والسياسة والادب فرغب القوم فيه ، ومالوا اليه ميلة صادقة لم ينلها غيره لا فى أيام الطبع وحدها بل قبلها أيضاً يدل على ذلك انتشار نسخه الخطية العديدة فى مختلف الاصقاع •

وهو شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبى بكر ابن خلكان وينتمى الى أسرة البرامكة ، ولد فى اربل يوم الخميس ١١ ربيع الآخر سنة ٦٠٨ هـ وكان أبوه مدرس المدرسة المظفرية[٢] ، ودرس عليه مبادىء العلوم ، وأخذ العلم أيضاً عن أم المؤيد زينب الشعرية النيسابورية ، ثم درس الحديث فى اربل على الشيخ صالح بن هبة الله ، واستمر فى الاخذ عنه وأجيز منه ، فأكمل فى شبابه البخاري الشريف ، وعمره لم يكن أكثر من ١٤ سنة • ولم يقتصر على التحصيل فى بلده ، وانما سار سيرة الراغبين

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج٢ ص ٤١ •
(٢) وأطلالها فى الموصل ، وبقايا منارتها شاهقة •

فى العلم ، فأحبَّ أن يوسّع ما عنده ، ويتكمّل بالثقافة الصحيحة فى الاقطار الاخرى ، فذهب الى حلب فبقي نحو ست سنوات أو سبع فأتم تحصيله وزاد فى تتبعه ، ثم ذهب الى الشام وقضى أربع سنوات ، ومنها مال الى مصر فنال توجه السلطان بيبرس ، واكتسب الثقافة ، حتى أنه أبلغه الى منصب (قاضي القضاة) فى الشام مكان يوسف بن الحسن السنجاري المتوفى فى رجب سنة ٦٦٣ هـ ، فسار اليها وزاول شؤون القضاء .

كان المذهب الشافعي هو السائد هناك ومن ثم نال تفوقاً على المذاهب الاخرى ، واكتسب المترجم نفوذاً كبيراً ، ولكن السلطان بيبرس اختار فى سنة ٦٥٥ هـ أن يكون هناك قضاة للمذاهب الحنفية والحنبلية والمالكية أيضاً . فقلَّ نفوذه وخضدت سلطته . وفى سنة ٦٦٠ هـ عـزل عن القضاء بابن الصائغ ، ومال الى مصر ، فاستمر فى تدريسه (بالمدرسة الفخرية) .

وشرع منذ سنة ٦٥٤ هـ فى احضار مادة تاريخه الخالد (وفيات الاعيان) فأخذ فى هذه الاثناء بتدوينه ، فأنهى قسماً كبيراً منه فى خلال سبع سنوات وقارب الانتهاء .

وأعيد لقضاء الشام ولكنه حدثت فتنة فظن الوالى أن له علاقة فى اثارة الزعازع فحبسه ، وبعد اسبوع أو أكثر تبين ان لا دخل له فأعيد لمنصبه، وبعد سنة عزل ، وأودعت له أمور التدريس فى المدرسة الامينية والنجيبية .

ولما عاد الى القاهرة فى هذه المرة سنة ٦٦٩ هـ شـرع فى اكمال أثره الخالد واطلع على كتب كثيرة ، فأخذ منها ما أتمه به . وتوفي فى رجب سنة ٦٨١ هـ – ١٢٨٢ م ودفن فى الصالحية .

وفيات الاعيان :

ألف ابن خلكان مصنفات عديدة ، لا مجال لتعدادها ، ولا لما ناله من مناصب وخلّف أثراً أقوى على الدهر من المنصب ، ومن طول الحياة ومن الهناء والعيش الطيب ومن كثرة المؤلفات .. بل انه خلد اسمه مع الاعاظم

الذين كان لهم الاثر الجليل فى العالم الاسلامي ، فكانت شـهرته مقرونة بهؤلاء ، ولو لم يكتب غيره لكفاه فخرا •

كتب علماء عديدون تراجم العلماء ، ولكنه نال مكانة أكبر بما اختاره بحسن أسلوبه ، ومادة علمه ، ومشاهداته ، وتتبعاته •• بل هو الذى أعلن قبل كل أحد عن أعاظم المسلمين حينما نشر أثره هذا فى الغرب قبل غيره من الآثار الاخرى • فألفت الانظار الى ما وراء ذلك من عظمة •

كتب تراجم الاعاظم من المسلمين لما بعـد العصر الاول ، وأطنب فى حياتهم العلمية والادارية والتاريخية والادبية •• فكانت قيمته التاريخية كبيرة جداً ، ولم يكن له مثيل ، وكانت تحقيقاته مكينة ، وتتبعاته دقيقة ، حاول أن يظهر كاملا من كل وجه ، فكان كما أراد •

أوضح صاحب كشف الظنون تاريخ تأليفه وانه أتمه فى ٢٢ جمادي الآخرة سنة ٦٧٢ هـ ومن أثره نسخة بخط المؤلف فى المتحف البريطانى فى لندن ، واتخذ المستشرق (وستنفلد) هذه النسخة أصلا ، عوّل عليـــه فى طبعه ، فأتم ذلك فى خلال سني (١٨٤٢ : ١٨٧١ م) فى (گوتنجن) •

وان المستشرق (دوسلان) جمع جملة نسخ خطية منه ، وشـرع فى طبعه وأصدر الجلد الاول الا أنه توفي فلم يتمكن من اكمـــاله •• وأتم ترجمته الى الانكليزية ترجمة كاملة وطبعت فى أربعة مجلدات فى باريس •

والنسخ المطبوعة منه ذكرها صاحب معجم المطبوعات وغالبها معروف ومنتشر وطبع فى ايران على الحجر وفيها زيادات • وللكتاب طبعات أخرى ظهرت بعد ذلك •

ويهمنا الوقوف على تاريخ النسخة المخطوطة ، والنسخ الاخرى ، وما يحتمل ان المؤلف أضافه من الزيادات والتفصيلات أو التراجم الجديدة •
ومنه نسخ خطية عندى مجلد منه قديم ، ونسخة كاملة وفى خزانة المتحف العراقي فى بغداد نسخة ناقصة وأخرى من بين كتب الاستاذ الكرملي •

النقـد الموجـه عليه :

شنّع عليه بعض المؤرخين من جهة اختصاره تراجم كبار العلماء فى أسطر يسيرة ، وتطويله فى تراجم الشعراء والادباء فى أوراق وصحائف وربما يكون من طول ترجمته مطعوناً بانحلال العقيدة ، وهو يثني عليــه ويذكر أشعاره وقصائده •• قال صاحب كشف الظنون :

« ولعل العذر فيه ما أشار اليه من أن اشتهار ذلك العـالم كالشمس لا يخفى ، وعدم اشتهار ذلك الشاعر ، والله سبحانه وتعالى أعلم • » اه

وأقول : ما أورده صحيح ، فان المعروف تكفي الاشارة اليه ، وان الذى يستحق العناية من كان غير معروف ، فيعرف به ، ومن جهة أخرى ان سبب اشتهار الاثر من ناحية توغله فى الادب وان حسن اختياره مما يقوي التهذيب الادبي • قال ابن خلكان :

« لم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة • بل كل من له شهرة بين الناس ، ويقع السؤال عنه ذكرته وأتيت من أحواله ما وقفت عليـه مع الايجاز كيلا يطول (الى أن قال) : وذكرت من محاسن كل شخص ما يليق به •• ليتفكه متأمله ولا يراه مقصوراً على أسلوب واحد فيمله •• »[1] اه ، وفى هذا حثّ على مطالعــة تراجم الأخرين المعروفة تراجمهم فى مواطن عديدة أخرى ، وأعداء الشهرة ، وحسّاد العمل المفيد كثيرون لا يخلو منهم زمان ولا يهم تحاملهم عليه ، ولا ينقص من قيمة الكتاب ، وكيفما كتب يوجّه عليه النقد ، والآراء لا تشترك غالباً فى كل توجيه ، ومع هذا نال أثره المكانة اللائقة ، واكتسب الرغبة العامة ، والعصور أكبرت العمـل فحصل علـى الاهتمام الكبير ، والحق أنه جلا صفحة عن (الباطنية) فى مصر ، وترجم مشاهير رجالهم وعرّف باربل ، والموصل ، مما لا نكاد نعثر له على ما يبرّد غلة من الآثار ، فالتعريف بهؤلاء يكفى أن ينال صاحبه المكانة فى حين ان الاثر أوضح نواحى علمية وأدبية عامة هى أصل اشتهار الاثر وانتشاره •

---

(١) وفيات الاعيان ج١ ص ٣

الذيول على الوفيات :

من حين ظهر هذا الأثر العظيم زادت العنـاية به ، ونال الرعاية من علماء عديدين ، وممن كتب ذيلاً عليه :

(١) تاج‌الدين عبدالباقي بن عبدالمجيـد المخزومي المالكي المتوفى سنة ٧٤٣ هـ فزاد عليه نحو ٣٠ ترجمة ، مع تزييف كلام ابن خلـكان وتفضيل ابن الأثير عليه ، فهو اكمال ونقد معاً ، وهذا لا يضر الأثر وجل ما هنالك أنه داعية الاصلاح . وذكره فى الاعلان بالتوبيخ مع بيان تصحيح اسمه ونسبته[١] .

(٢) حسن بن ايبك ولم يزد فى كشف الظنون على ذلك .

(٣) الشيخ زين‌الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سـنة ٨٠٦ هـ كتب ذيلاً على الذيل المتقدم فى نحو ٣٠ ترجمة ، وآثاراً تاريخية جليلة لا يسع المقام التعرض لها .

(٤) الشيخ بدرالدين الزركشى المتوفى سنة ٧٩٤ هـ كتب عليـه ذيلاً سماه (عقود الجمان) ، وذكر كثيراً من رجال ابن خلكان ، ولعله أراد أن يسد النقص فى قضية الاخلال ببعض التراجم كما مرّ ..

(٥) فضل‌الله بن أبي الفخر الصقاعي الكاتب النصراني المتوفى سنة ٧٢٦ هـ وكان كثير النظر فى التواريخ ، عمل ذيلاً على تاريخ ابن خلكان فى عدة مجلدات[٢] . ومن أثره النسخة الموجودة فى خزانة باريس الاهليـة برقم ٢٠٦ وفى بعض الآثار ان رقمها ٢٠٦١ سماها مؤلفها « تابع الوفيات » أو (تالي وفيات الاعيان) وجاء اسم مؤلفها فضل‌الله بن أبي الفخر ، ولعـل الناسخ ابتلع سهواً لفظ (محمد) فجاءت كمـا ذكر ابن حجر ، ومثله فى الشذرات .

---

(١) الاعلان بالتوبيخ ص ٢٦١ .

(٢) الدرر الكامنة ج٣ ص٢٣٣ ، وترجمته فى الشذرات وورد فيها انه (السقاعى) ج٦ ص٧٥ .

وذكره في الاعلان بالتوبيخ قال وهو بخطه فى كتب ابن فهد ص ١٥٢ وله مؤلفات تاريخية ومنها انه ذيل على تاريخ المكين بن العميد النصراني • وكان عمل تاريخاً من أول العالم الى سنة ٦٥٨ هـ فكتبه ابن الصقاعي بخطه وذيل عليه الى سنة ٧٢٠ هـ واختصر تاريخ ابن خلكان وذيل عليه •

(٦) ابن شاكر الكتبى وهو (محمد بن شاكر بن أحمد الكتبى) المتوفى سنة ٧٦٤ هـ وله (فوات الوفيات) جعله ذيلاً على ابن خلكان • وطبع مرات واشتهر وهو أوسع ما رأينا من ذيول ولم يذكره كاتب چلبي بين الذيول ، ولا أشار الى ذلك فى مادة (فوات الوفيات) فكأنه عدّه أثراً مستقلاً ، والظاهر أنه لم يره • والملحوظ أن المؤلف فى هذا الكتاب لم يراع الحوادث التاريخية ، فلم يكن قد نحا منحى ابن خلكان فى أثره ولا تعمقه ، ومن هنا يعرف ما قام به ابن خلكان • وتظهر قدرة ابن شاكر فى مؤلفاته التاريخية الاخرى ومن أهمها (عيون التواريخ) فالمترجم مؤرخ معروف فى الذيل وفى التواريخ الاخرى •

مختصراته :

عد صاحب كشف الظنون جملة كتب مختصرة من الوفيات ، فلا محل للاطالة فيها فأن النقد الموجه عليه كان من جراء اخلاله ببعض التراجم ويوجه أيضا على هذه المختصرات ، فلا شك انه لا يصح أن يلتفت الى مثل هذه المختصرات الا من ناحية درجة الاهتمام بالاثر • وهؤلاء اشهر أصحاب المختصرات :

(١) الملك الافضل المتوفى سنة ٧٧٨ هـ •

(٢) شهاب الدين الغزى المتوفى سنة ٨٢٢ هـ •

(٣) شمس الدين احمد التركمانى المتوفى سنة ٧٥٠ هـ •

(٤) ابن حبيب الحلبى المتوفى سنة ٧٧٩ هـ •

(٥) وجدى ابراهيم بن مصطفى الفرضى المتوفى سنة ١١٢٦ هـ •

(٦) التاج عبدالباقى عبدالمجيد اليمانى لخص وفيات الاعيان وسماه

(لقطة العجلان الملخص من وفيات الاعيان) ذكره فى الاعلان بالتوبيخ ولم يتعرض له صاحب كشف الظنون • ولكنه ذكر له ذيلا على وفيات الاعيان وبين أنه مخزومى مكى وانه من وفيات سنة ٧٤٣ هـ •

(٧) ابن الأثير الحلبي ، منه نسخة فى المكتبة العثمانية فى حلب •

(٨) ما اختصره ابنه موسى فى مجلدين القسم الاول من المجلد الاول ضائع ، وبدأ الموجود بالكراسة ١٨ وأول الترجمات على بن افلح بدأبه يوم الأحد ٢ ذى الحجة سنة ٧٠١ هـ فى بعلبك كما صرح فى بداية المجلد الثانى ، وذكر فى سياق الكلام قلت أعنى (موسى بن احمد) ، وبدأ فيه بدمشق حينما جاءها فى يوم الاحد ٢٠ ربيع الاول سنة ٧٠٢ هـ واكمله يوم الاحد ٣ ربيع الثانى من نفس السنة • وهذه النسخة فى خزانة المكتب الهندى فى لندن كما يشير الى ذلك فهرس المجلد الاول منها •

ترجماته :

ترجمه الى الفارسية أظهرالدين الاردبيلي وتوفي فى مصر سنة ٩٣٠ هـ ، وترجمه آخرون أيضا •

وترجمه الى التركية محمد افندى وهذا ردوسى نشئ باستنبول • وله عدا ترجمة وفيات الأعيان ترجمة (خمسه نظامي) ، وكتاب الخراج لابي يوسف ، واربع قصائد عربية ونسخة من ترجمة خراج ابى يوسف بخط يده فى خزانة الشهيد على باشا وترجم عجائب المخلوقات ومنه نسخة فى مكتبة (روان) • وتوفي سنة ١١١٣ هـ ودفن فى ايوب باستنبول • وان المؤلف فى ترجمة ابن خلكان لم يترجمه حرفيا ، وانما نقله مآلا ، وترك نواحى عديدة من الاصل ، ومن ثم أضاع قيمة الأثر الأصلية وطبع سنة ١٢٨٠ هـ فى مجلدين فى المطبعة العامرة فى استنبول[١] •

---

(١) (اسلامده تاريخ ومؤرخلر) ص ١٨٩ و(عثمانلى مؤلفلرى) ج١ ص ٣١٥ واصل الاثر المطبوع •

ومن ترجمه الى التركية : (يوسف بن محمد الميلوى) المعروف بـ (وكيل زاده) ، ترجمه الى التركية بأمر والى مصر عبدى باشا كما ترجم له (عجائب المخلوقات) و(حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة) ، ومن هذا الاخير نسخة بخط المترجم فى خزانة المتحف العثمانى وترجمته بلغة تركية واضحة وسهلة وتاريخ ترجمته سنة ١١٣٠ هـ ومن مؤلفاته (احسن المسالك لاخبار البرامك) فى تاريخ البرامكة كتبه باللغة العربية فى مكتبة عاشر أفندى و (ميلة) التى ينتسب اليها قرية بين سوكة وميلاس من مدينة (آيدين) . وكان المترجم ممن توغل فى التاريخ ويعد من أرباب الفضل والعلم[١] .

وللاستاذ محمد جميل العظم فهرس هجائى لوفيات الاعيان ، لم يطبع وعندى منه نسخة بخطه وأوسع منه الفهرست الذى صنعه الاستاذ عبداللطيف ثنيان ونسخته بخطه فى مكتبة المتحف العراقى ، وهى مفصلة جدا .

والحاصل ان المؤلف قام بعمل جليل ، ونال عناية من مؤلفين عديدين ، ولا يضره النقد الموجه عليه لتفاوت الرغبات ، وأى عمل بشرى اكتسب الكمال ، أو خلا من نقد أو عيب على ان ما كان غمزا أو خللا فى نظر البعض تراه مقبولا عند الآخرين .

٩ـ علاء الدين عطا ملك الجوينى

التاريخ يتعالى شأنه بأكابر الرجال ، وأعاظم العلماء ، لما أوتوا من قدرة فى البيان ، ومهارة فى الاسلوب ، ونفوذ نظر فى الادارة والتمكن من الحوادث ، وصحة تعليلها ومعرفة أسبابها ودقائقها . ليكون ناجحا فى التدوينات التاريخية ، ومؤرخنا علاءالدين عطا ملك الجوينى اتصل بالمغول اتصالا مباشرا ، وزاول الادارة فى ظواهرها وخوافيها ، وراعى الاوضاع وتدرب على شؤونها فكان ماهرا فيما تناول ، وسار نحو طريق

---

(١) (عثمانلى مؤلفلرى) ج٣ ص ١٦٤ .

علمي ، ونظر صادق ، وقدرة فائقة . فكتب تاريخ قوم له لم نألفهم ، بعيدين عنا ، فلم نقف على أخبارهم قبل أن يصولوا على مملكتنا تلك الصولة الجبارة ، فتركت النفوس فى رعب وحيرة . واصبحنا فى حاجة الى التعرف بهم .

قضى غالب أيامه فى ولاية بغداد ، وصارت وقائعه تاريخا مهما للعراق يصلح أن يكون مستقلا ، وحقبة لا بأس بها تكاد تبلغ ربع قرن .

ويؤسفنا أنه وقف فى تاريخه عن المغول عند حدود سنة ٦٥٤ هـ - ١٢٥٦ م ، ولعل الاشتغال فى الادارة ألهاه عما أراد الاستمرار فيه ، أو اراد أن يدون غيره عنه ولذا عهد بـ (كتابة التاريخ الى على بن أنجب المعروف بابن الساعى) وبعد وفاته أودعها (ابن الفوطى) فلم يغفل أمر التاريخ ولكنه راعى الرسمية فيه ، وان عطا ملك الجوينى لم يدون وقائعه ، فيفضح سياسته ، والتاريخ فى حوادثه لم يخل من تدوين لما بعد هذا التاريخ ، وحاولوا التفصيل من وجوه عديدة .. بل اتجه المؤرخون الى لزوم تجديد التدوينات فى الدولة العباسية بتوجيه جديد بالنظر للسياسة المتبدلة ولما ألهمت من تطور فى الفكرة . وصاروا يجهرون بما لم يكونوا يقدمون على الجهر به ، ومنهم من تجاوز الحدود الى التحامل لارضاء المغول ، وتلبية رغبة صنائعهم ، فى التنديد بالحكم السابق من كل وجه ، أو من وجوه ..

ان المترجم كان ممن بذل الجهد ، وكتب ناحية ربما كانت السبب المهم فى التنبيه الى غيرها ، والحوادث تدعو الى الالتفات ، والتواريخ بأساليبها ومادتها تحرك الفكرة وتهيج العقلية الى الآراء الجديدة والتنوع المختلف ، والتصليح للغلط المشهود .

نال الجوينى كل الرغبة فى تاريخه ، لما حصل عليه أثره من مكانة وما عهد اليه من منصب وزارة العراق فى عاصمته فصار حاكما مطلقا ، بل كانت ادارته قويمة ، وسمعته مقبولة ، وتجلت هذه أثناء تطاحن الحزبيات المعارضة وتهيجها .. فأبدى الاهلون شعورهم الخاص نحوه . واظهروا حبهم له ومناصرتهم التامة لما قام به فى تلك المعارضة ، وهو يعد من أكبر

المؤرخين عند الترك وغيرهم ، ويعتبر فى مقدمة من كتب (تاريخ المغول والترك) فى وقت غير منازع فيه ، وعول عليه العرب فى النصوص المستقاة منه رأسا أو بالواسطة •

كان شرح ما رأى • ودون ما سمع ، ووصف وصفا دقيقا ، ووضح توضيحا لائقا •• فكان لتدوينه قيمته •• وكل من جاء بعده من المؤرخين صحح ، وبسط ، واستدرك ما فات ، وعلق •• حتى تكاملت المعرفة ، والفضل للمتقدم ، فكان قدوة المؤرخين •• وتاريخه مقبول فى نظر الكثير على نقص فيه اظهره الزمن ، وتطور الثقافة ، وما زال الى اليوم محتفظاً بمنزلته ، فهو من التواريخ المعتبرة جدا •

اسرته :

اذا كانت الاسرة أنجبت بعض المشاهير وعرفوا بمكانتهم العلمية والادبية والسياسية أيام السلجوقيين وفى عهد الخوارزميين والمغول فلا ريب أن مترجمنا أحد من علت بهم ، وربما فاق غيره ، وتميز على أسلافه ، ولهذه الاسرة الحرمة المعتبرة ، والمنزلة اللائقة ، وغالب افرادها نالوا لقب «صاحب الديوان » أعنى المرجع فى الامور المالية والادارية والقلمية وفى مصالح الدولة جميعا وخاصة (قلم التحرير) •

وان العلامة الذهبى فى تاريخه يؤيد ان هذه الاسرة ترجع الى وزير الدولة العباسية (الفضل بن الربيع) أيام الخليفة هارون الرشيد •كابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ولكن ابن الطقطقى فى كتابه الفخرى تحامل على هذه النسبة للطعن فيه من جراء العداء الحادث فى قتلة والده ، فقـال :

« وبلغنى أن علاءالدين عطا ملك الجوينى صاحب الديوان كان ينتسب الى الفضل بن الربيع ولقد عجبت من الصاحب علاء مع نبله وفضله واطلاعه

على السير والتواريخ كيف رضى ان ينتسب الى الفضل بن الربيع فان كان قد انتحل هذا النسب ، ففضيحة ظاهرة ، وان كان حقا ، فلقد كان العقل الصحيح يقتضى ستره ، فانه نسب لا يوجد ارذل منه ، ولا أفضح ولا اسقط ، أما أولا فلأن الفضل بن الربيع لم يكن حرا فى نفسه ، وكان مرميا بالفاحشة ، ... وأما ثانيا فلأن الربيع وان كان جليلا كافيا الا أنه كان مدخول النسب ، فكان يقال له لقيط ، وتارة يقال انه ولد زنا ... ، انتهى[١] .

ولا يهمنا التحامل بغرض ، فان القاضى نور الله الششترى فى كتابه (مجالس المؤمنين) يؤكد انه من احفاد (امام الحرمين) الجوينى وهكذا نرى صاحب (مجمع الفصحاء) ،وانما نشير هنا الى انه اشتهر من آل الجوينى جماعة من أهل المعرفة والكمال وفى تاريخ جهانگشاى جوينى تفصيل بقلم الاستاذ محمد عبدالوهاب القزوينى[٢] .

وفى أيام هجوم المغول دخل بهاءالدين بن شمس‌الدين الجوينى فى خدمة المغول . وصار صاحب نفوذ كبير عندهم ، وتوفي سنة ٦٥١ هـ ـ ١٢٥٣ م واعقب ولدين شمس‌الدين صاحب الديوان وأخاه المترجم . المؤرخ والوزير فى بغداد وتعالى أمرهما[٣] .

كفى أن نعرف به بقولنا صاحب التاريخ ، وزير العراق واخو شمس‌الدين الجوينى . ويدخل تاريخ حياته فى صميم تاريخ العراق الا أن اجمال ترجمته ضرورى للاطلاع على مجرى التاريخ ، ولد علاءالدين عطا ملك سنة ٦٢٣ هـ وصار كاتب الأمير أرغون الى أن بلغ سن العشرين ..

---

(١) الفخرى ص ١٥٩ مطبعة الموسوعات بمصر سنة ١٣١٧ هـ . وطبع طبعات أخرى .

(٢) (بيست مقاله) أى عشرون مقالة فى مجلدين للاستاذ القزوينى نشره المرحوم الدكتور عباس اقبال المتوفى سنة ١٩٥٦م ، وهو تاريخ جماعة من المؤرخين . وكذا فى (اسلامده تاريخ ومؤرخلر) .

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج١ .

وكل ما تعلمه عنه انه ذهب من ايران الى مملكة المغول نحو خمس مرات أو ست وفى كل مرة تجول فى مملكة الترك • وكان فى أول مرة ذهب فيها الى المغول بصحبة الأمير أرغون سنة ٦٤٤ هـ ـ ٦٤٥ هـ وكان والده بهاءالدين معه ، ولما وصلوا الى (طراز[١]) سمعوا بوفاة (كيوك قاآن) فعدلوا عن الذهاب الى (قرا قروم) ، ورجعوا الى ايران •

ومن وفاة (كيوك قاآن) سنة ٦٤٥ هـ الى سنة ٦٤٩ هـ كانت ادارة المملكة بيد زوجته (اغول غايمش) ، وعندئذ افترى أعداء الامير ارغون عليه افتراآت عديدة ، وزوروا عليه بعض الامور ، فاضطر الى الذهاب الى عاصمة المغول (قراقروم) لتبرئة ذمته ، وكان المترجم برفقته • وبقى معه الى ان انتهت محاكمة الامير ارغون وفى هذه الاثناء جمع معلومات كثيرة جعلها اصلا لتاريخه وسعى جهده فى أعداد المادة كما أنه جعل له مناسبات صداقة مع حفيد جنكيز خان وهو (بيسو بن جغتاى) من امراء المغول •

وعند انتخاب منكوقاآن فى المغول حضر مع الامير أرغون المجلس الكبير (قورولتاى) فامتدت هذه السفرة من عشرين صفر سنة ٦٥٠ هـ الى رجب سنة ٦٥١ هـ • ومن ثم تيسرت له المعرفة والتعرف بالمغول بصورة جيدة ، فكانت فرصة سانحة له •

ومن مقدمة كتابه (جهان كشا) يفهم أنه تجول نحو عشر سنوات فى ما وراء النهر وتركستان ، وبلاد (الاويغور) ، حتى وصل الى حدود الصين ، فكان فى خدمة ملوك المغول ، واتصل برجالهم والعارفين منهم فدون ما علمه منهم من وقائع أو اتصل به من أخبار •

وفى سنة ٦٥٤ هـ دخل فى صحبة هولاكو وبقى فى خدمته من ذلك التاريخ ، فنال مكانة فى بلاط أمراء المغول ، ورافقه التوفيق • وشارك فى حرب الاسماعيلية ، وكان قد حاصر قلعة (ميمون) محل اقامة (شيخ الجبل) من الاسماعيلية ، وهى من قلاع (ألموت) فسقطت فى تلك السنة ، وكان كتب

---

(١) بلد قريب من اسبيجاب من ثغور الترك ـ معجم البلدان •

مسودة (اليرليغ) المعطى الى ركن الدين خورشاه آخر ملوكهم ، وفيه بيان شروط التسليم ولم يمتثلها ، فقضى هلاكو على هذه الدولة التى كانت تهدد ايران تهديدا عظيما لسنين طويلة ، ولم يبق لها الا ذكرها التاريخى ، ولم يعد لها حكم .. الا ما نراه من بقاياها وهم (الأغاخانية) . ويعدون اسماعيلية نزارية ، ذكرتهم فى كتاب (سمط الحقائق[1]) .

والملحوظ أن (كاترمير) فى كتابه (الكنوز المشرقية) قال ان علاءالدين أمر بحرق الآلات الرصدية ولكنه لم يعين مرجعا أو نصا صحيحا ، بل يخالف ما نطق به المترجم فى تاريخه بما مؤداه :

لما كان فى (لمسر) زار خزانة كتبها وكانت مشتهرة فى الآفاق ، فطالع ما فيها ، وانه طلب الى هلاكو أن لا تدمر هذه الكتب النفيسة وعرض له الأمر ، فقبل قوله ، قال : وأمر أن أدقق ما هنالك فذهبت ، ودققتها ، وأخرجت منها المصاحف والكتب النفيسة على حد مفهوم آية (يخرج الحي من الميت) ، وكذا عزلت منها الكراسى والحلق ، والاسطرلاب التام والنصفى وسائر ما هنالك من الآلات الرصدية ، ففرقتها .. ثم أمرت بحرق ما سوى ذلك مما يتعلق بضلالة الاسماعيلية وطغيانهم مما لا يستند الى معقول أو منقول من الكتب الاخرى .

ومن جملة ما أخذه من الكتب ما يسمى (سر كذشت سيدنا[2]) فى ترجمة حياة حسن الصباح وكان من كتبهم المهمة والثمينة ، وهذا لخص محتوياته وأدرجها فى المجلد الثالث من تاريخه (جهان كشا) واقتبسها وزاد عليها معلومات عن الاسماعيلية الخواجة رشيدالدين فضل‌الله فى المجلد الثانى من كتابه (جامع التواريخ) .

ثم ان هولاكو فى المحرم سنة ٦٥٥ هـ مشى على الخليفة المستعصم وفتح

---

١) نشره المعهد الفرنسى للدراسات العربية فى دمشق .

(٢) طبع فى الهند . نشره الاستاذ المستشرق ايفانوف .

بغداد فى ٥ صفر سنة ٦٥٦ هـ وفى سنة ٦٥٧ هـ فوض منصب بغداد لعهدة علاءالدين .. وما جاء فى التواريخ الاخرى أمثال جامع التواريخ من انه ولى بغداد سنة ٦٦١ هـ أى بعد قتل الأمير سيفالدين بتيكجي وتوجيه الوزارة الى شمسالدين الجوينى ، كما صرح بذلك فى (تسلية الاخوان) ، يراد به انه انفرد فى الحكم ولم يكن مبدأ حكمه . مما لا يقبل ارتيابا ، وهكذا جاء فى تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطى انه رجع الى بغداد بتوسط واليها ..

وجاء فى (وصاف) وفى نظام التواريخ : بعد وفاة هلاكو ، وجلوس (ابغا خان) ولى العراق وفارس سوغونجاق من امراء المغول ، وانتزعت الادارة من علاءالدين الجويني اسمياً ثم اختاره لولاية بغداد .

أوضحت فى المجلد الاول من تاريخ العراق بين احتلالين مفصل ما جرى وكل ما يقال انه عمر بغداد وأعاد لها رونقا جميلا ، فكادت تضاهى حالها فىأيامالخلفاء . وأعاد ما خربتهأيدىالهجوموالتدمير .. ودامتولايتهأيام هولاكو ، وأبقا وتكودار (السلطان احمد) . عاداه كثيرون ، فكاد ينجح فى سياسته وادارته عليهم فتغلب على مصاعب عديدة ، واجتاز أخطارا كبيرة ، ومنها ما كان أغتيالاً من الفدائيين فنجا . ولكنه ناله القضاء فى سنة ٦٨٣ هـ فلم يمهله الأجل ..

والمهم هنا اننا قد عينا حياته الى أيام ما وقف عنده تاريخه (جهانكشاى جوينى) ، وما بعد ذلك تبتدىء حياته السياسية ، وهى مملوءة بالحوادث ، طافحة بالمخاطر والمغامرات ، لا تخلو فى وقت من زعازع .. بل زوابع ..

أقوال المؤرخين فيه :

رأينا أوسع ترجمة له بقلم المرحوم الاستاذ القزوينى فى مقدمة طبعة (جهانكشاى جوينى) وكذا فى (اسلامده تاريخ ومؤرخلر) .

قال الذهبى فى تاريخه :

« عطا ملك .. أخو الصاحب الكبير الوزير شمسالدين ، كان اليهما

الحل والعقد فى دولة أبغا ، ونالا من الجاه والحشمة ما يتجاوز الوصف وفى سنة ٦٨٠ هـ • قدم بغدادمجد الملك العجمى ، فأخذ صاحب الديوان وغله وعاقبه ، وأخذ أمواله وأملاكه ، وعاقب سائر خواصه • فلما عاد (منكو تمر) من الشام مكسورا حمل علاءالدين معه الى همذان وهناك مات أبغا و(منكوتمر) وكان قد انصلح أمر علاءالدين فى أيام الملك أحمد • فلما ملك أرغون ابن أبغا طلب الأخوين فاختفيا ، فتوفى علاءالدين فى الاختفاء بعد شهر ، ثم أخذ ملك اللور يوسف أمانا من أرغون للصاحب شمس الدين ، واحضره اليه فغدر به أرغون وقتله بعد موت أخيه بقليل ، ثم فوض أرغون أمر العراق الى سعدالدين العجمى والمجد بن الأثير ، والأمير على جكيبان (شكيبان) ثم قتل أرق وزير أرغون الثلاثة بعد عام •

وكان علاءالدين واخوه فيهما كرم وسؤدد وخبرة بالأمور ، وفيهما عدل ورفق بالرعية ، وعمارة للبلاد ، ولى علاءالدين نظر العراق سنة نيف وستين بعد العماد القزوينى فأخذ فى عمارة القرى ، وأسقط عن الفلاحين مغارم كثيرة الى أن تضاعف دخل العراق وعمر سوادها ، وحفر نهرا من الفرات مبدأه من الانبار ومنتهاه الى مشهدعلي (رض) وأنشأ عليه ١٥٠ قرية ، ولقد بالغ بعض الناس وقال عمّر صاحب الديوان بغداد حتى كانت أجود من أيام الخلافة ، ووجد أهل بغداد به راحة •

وحكى غير واحد أن (أبغا) قدم العراق ، فاجتمع بالصاحب شمس الدين وعلاءالدين ببغداد ، فأحصيت الجوائز والصلات التى فرقاها ، فكانت أكثر من ألف جائزة فى بغداد ، وكان الرجل الفاضل اذا صنف كتابا ونسبه اليهما تكون جائزته ألف دينار ، وصنف شمس الدين محمد بن الصيقل الجزرى خمسين مقامة وقدمها فأعطى ألف دينار • وكان لهما احسان الى العلماء والصلحاء ، وفيهما اسلام ، ولهما نظر فى العلوم الادبية والعقلية •

وفى وقتنا هذا أورد المؤرخ العلامة أبو الفضل عبدالرزاق بن أحمد ابن الفوطى مؤرخ عصره فى تاريخه الذى على الالقاب ترجمة علاءالدين

مستوفاة قال : هو الصدر المعظم الصاحب علاءالدين أبو المظفر عطا ملك ابن الصاحب بهاءالدين محمد بن محمد بن محمد بن على بن محمد بن محمد ابن محمد بن على بن محمد بن احمد بن اسحاق بن أيوب بن الفضل ابن الربيع الجوينى أخو الوزير شمس‌الدين •

قرأت بخط الفوطى : (كان جليل الشان تأدب بخراسان ، وكتب بين يدى والده ، وتنقل فى المناصب الى أن ولى العراق بعد قتل عمادالدين الدوينى (القزوينى) ، فاستوطنها ، وعمر النواحي ، وسد البثوق ، ووفر الاموال ، وساق الماء من الفرات الى النجف ، وعمل رباطا بالمشهد ولم يزل مطاع الامور ، رفيع القدر الى أن يلى بمجد الملك فى آخر أيام اباقا ابن هولاكو وكان موعودا من السلطان أحمد أن يعيده الى العراق ، فحالت المنية دون الامنية وسقط عن فرسه فمات ، ونقل الى تبريز ، فدفن بها • وله رسائل ونظم ، كتب لى منشورا بولاية (كتابة التاريخ) بعد شيخنا تاج‌الدين علي بن أنجب • كان مولده فى سنة ٦٢٣ هـ ، ومدة ولايته على بغداد ٢١ سنة و١٠ أشهر) وقرأت بخطه وفاة علاءالدين فى ٤ ذى الحجة سنة ٦٨١ هـ (- ١٢٨٣ م) •

وجاء فى ذيل الصقاعي على ابن خلكان المسمى بـ (تالى كتاب وفيات الاعيان) تأليف فضل الله بن أبى الفخر الصقاعى قال :

« الاخوان علاءالدين عطا ملك وشمس‌الدين أولاد بهاءالدين محمد ابن محمد الجوينى العجمى المعروفان بأصحاب الديوان علاءالدين ببغداد وشمس‌الدين فى الصحبة ، ذكر عزالدين عبدالعزيز بن الكواز نائب الحكم ببغداد لما حضر الى دمشق فى سنة اربع وسبعمائة للحج قال : قدم مجد الملك الى بغداد من العجم قبل حضور (منكودمر) بالعساكر الى الشام فى سنة ثمانين وستمائة بشهر واحد وأخذ صاحب الديوان المذكور وعاقبه وغله فأنشد علاءالدين :

لا تيأسن لما جرى فالخير فيه لعله
قد كان عبداً آبقاً يعصى الآله فغله

فلما عاد العسكر مكسورا توجه ابغا الى همذان وأخذ علاءالدين صحبته ومات أبغا و(منكوتمر) فى تلك السنة وولى أحمد باتفاق من علاءالدين المذكور وأخيه شمس‌الدين أصحاب الديوان وبعد ثلاث سنين هلك أحمد وولى أرغون فاختفى علاءالدين وأخوه وطلبهما أرغون فتوفى علاءالدين بعد شهر وهو مختف ، واما شمس‌الدين فان اتابك يوسف جاءه بأمان من أرغون وأحضره فلم يقف عند الامان وقتله بعد موت أخيه بمدة قليلة وفوض أمر العجم الى جماعة مشتركين وهم سعدالدين العجمى ومجدالدين ابن الأثير والأمير على المعروف بشكيبان ، وتعلق الامير هرون بن شمس‌الدين صاحب‌الديوان بـ (ارق) وزير أرغون وصاحب‌حساب العراق ، ومن بعد سنة حضرت النواب والكتّاب عند الوزير أرق لعمل حسابهم بالقرب من توريز فعمل حسابهم وأوجب عليهم القتل فقتلوا فطلب كيخاتو اخو (أرغون) أرق الوزير وانكر عليه فقال ان الذى فعل هذا هرون بن شمس‌الدين صاحب الديوان فأوجب القتل على هرون المذكور وأولاده وجميع أهله كبارهم وصغارهم فقتلوا جميعهم ، وكان‌هؤلاء الاخوان علاءالدين وأخوه شمس‌الدين كهفا للقاصدين **

وجاء ذكره فى نهاية الارب للنويرى ، وفى الوافي بالوفيات ، وفي المنهل الصافي وفى وصاف ، وفي مختصر الدول *** وفى هذه ما يعين مكانته ويحقق ما كان يجرى من حزبيات متطاحنة • ومؤلفاته :

(١) جهانكشا :

هذا التاريخ انتشر واشتهر فى زمن مؤلفه فى الاوساط العلمية والادبية وزاد الاهتمام به بعد وفاته ، وظهرت منه نسخ نفيسة مصورة ، وفيها من الصنعة والعناية ما يعين حالة العصر الذى كتبت فيه • ولا يزال الاهتمام به لحد الآن فظهرت درجة تأثيره على المؤرخين بعده •

فاذا كان جامع التواريخ جاء أكمل منه من جهات فالفضل للمتقدم ، ومع هذا كان الناس يميلون الى (جهان گشا) ، بل انه بوجوده لم يفقد مزاياه . وللنفسيات اختيارات ، واتجاهات فلا يستغنى بالواحد عن الآخر ، ولا ينكر فضل كل واحد الا انه يرجح جامع التواريخ عليه وان كان ابن تغرى بردى يعوّل عليه ، وأمثاله كثيرون لا يحصون .

ومما يدل على اشتهاره وفرة نسخه الموجودة فى خزائن كتب الشرق والغرب فلا تكاد تخلو خزانة من كتاب أو جملة كتب منه نال كتابه توفيقا من المؤرخين والملوك والامراء .

والكتاب مما دون أيام المغول باللغة الفارسية ، فهو من الوثائق المعاصرة، وان كان اقتصر على صفحة مهمة من تاريخ المغول مشتملا على دولة المغول وسلاطينها وملوك الاطراف وزمانهم ، فهو من أقدم ما كتب عن المغول ، ولم يسبقه الا بعض التواريخ ، ويكاد يغطى عليها ، فيعد من اولاها بالاعتماد لا سيما انه تجول ببلادهم واتصل بهم اتصالا وثيقا ، وشاهد العارفين باحوالهم وتوصل الى مالم يتوصل اليه غيره . وكان شاهد عيان لحوادث كثيرة تتعلق بهم . كتب عن الاسماعيلية بالاستناد الى آثارهم وحكى ما عرف .

ولم يقف مؤرخو العرب بنجوة عن الاتصال به . وهذا ابن كثير يذكره[١] ومثله ابو شامة وتلاه آخرون مثل ابن تغرى بردي وصاحب المسالك ، وصبح الاعشى وغالب الكتب العربية تأخذ عن شمس الدين الاصولى وهو ينقل منه كثيرا ، ويأخذ من تاريخه . بل ان الايرانيين اخذوا عنه ، وذيلوا عليه فتاريخ وصاف اثنى عليه كثيرا وهو بمنزلة ذيل له . وفيه ما يعين أن العرب لم يقصروا فى مراجعة التواريخ المهمة والنافعة لتدوين الصحيح من الاخبار . وكل ما عرف انه بدأ بتأليفه نحو سنة ٦٥٠ هـ أو سنة ٦٥١ هـ ، وأتمه سنة ٦٥٨ هـ .

---

(١) البداية والنهاية ج ١٣ ص ١١٧ .

اهتم به كثيرون ، طبع فى ايران طبعة رديئة حجرية فى مجلد واحد غير كامل وطبع فى ثلاثة مجلدات كانت طبعة الجلد الثالث على الحجر ، وهذه مشوهة • ثم طبع طبعا متقنا كسائر المجلدات الاخرى فى ليدن عام ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م • نشره المستر براون رئيس أوقاف المستر گب (جب) • وهذه نالت عناية كبيرة تكلم على المغول وعاداتهم ورسومهم و(ياسا[1] جنكيز)، وفتوحاته ، وفيالقه التى هاجم بها العالم الاسلامى• واستمر حتى سنة ٦٥٤ هـ ، زمن انقراض الاسماعيلية ولم يتجاوز ذلك ، وانما عجل بابرازه •

وقد حقق الاستاذ العلامة محمد عبدالوهاب القزوينى فى مطالبه وفى الاسماعيلية ودقق الاعلام الجغرافية وأوضح عنها والكتاب كله عناية وقابله بين النسخ الموجودة ، وترجم المؤلف ترجمة واسعة وجعل للكتاب تعليقات نافعة وفهارس مهمة ، فاكتسب وضعا علميا • وكان الاستاذ القزوينى يعد فى طليعة المؤرخين العارفين وأرباب التوجيه العلمى النافع للتاريخ سواء بتنبيهاته أو ارشاده لاهل الرغبة التاريخية أو مباحثه العلمية التاريخية •

ورأيت نسخة مهمة من الجلد الثالث عند الاستاذ الصديق محمد أحمد المحامى فى البصرة خطها جيد ، وصالحة للمقابلة •

(٢) تسلية الاخوان :

جعلها ذيلا لما كتبه نصير الدين الطوسى عن (واقعة بغداد) • ولا تزال مخطوطة ، ومنها نسخة فى خزانة الكتب الاهلية بباريس كما ان نسخة منها فى خزانة مجلس الامة الايرانية •وفى هذه الرسالة يذكر ما سعى به (مجد الملك) فى سنة ٦٨٠ هـ وما لاقى من عناء ومحنة • وبين كيف أصدر (ابغا خان) فى ٤ شهر رمضان سنة ٦٨٠ فرمانه باطلاقه من السجن ونجاته •

(٣) ذيل تسلية الاخوان :

لم يعين اسمها الا انها تصلح أن تكون ذيلا للرسالة السابقة ، وفى

---

(١) الياسا والياساق قوانين (جنكيز خان) •

هذه عين المؤلف مالاقاه من المصائب حتى صار احمد تكودار سلطانا ، وأوضح قتلة (مجد الملك اليزدى) ، كتبت قبل وفاته بستة أشهر ، ومنها نسخة مخطوطة فى مكتبة باريس الاهلية .

ومن المؤسف انها لم تنشر كملحق لكتابه (جها نكشا) ، لتحفظ جميع آثار المؤلف فى هذه المجموعة الجليلة[١] ...

خلاصة القول :

أن هذا الرجل (الجوينى) خدم الثقافة ، وناصر العلماء كأخيه ، وقام بخدمات جليلة للتاريخ ، وان آثاره كشفت عن غامض ، وكانت نتيجة خبرة الا ان السياسة ألهته عن اتمام كتابه الى آخر أيامه ، أو ان السياسة الشخصية لا تستطيع أن تبوح بالتدابير المتخذة . وان رسائله المذكورة لم تؤد الغرض ، ولكنه اودع أمر تدوين الوقائع الى ابن الساعى وبعده عهد بولاية (كتابة التاريخ) الى ابن الفوطى ، فلم يقصر بل خدم خدمة تذكر له . فلا يخشى من ضياع الوقائع فى أيامه ، فهى مدونة من مؤرخين عديدين . فكان عمله للتاريخ بذرة مهمة ، تأثر بها كثيرون من مؤرخى العرب والعجم والترك ، ومن أجل هؤلاء الخواجة رشيدالدين فى (جامع التواريخ) بل ان ما كتبه صار مرجعا نافعا ، وطبعته المتقنة زادت قيمته ، وعد كأثر جديد ، أو أنه اكتسب جدة ، بما أضيف اليه من تعليقات واضافات .

١٠ - ابو يحيي زكريا القزوينى

ان الخدمات التاريخية والتدوينات عنها لم تنقطع ، ولا تزال مستمرة فى العراق وبذل لها العراقيون الجهود الكبيرة فظهر ما خلفوه ماثلا فى مختلف الايام . والمؤرخون توالوا فنرى مؤلفاتهم اما تكميلا لما سبق ، او تأكيدا وتحقيقا ، أو توضيحا لما عرض .

---

(١) (اسلامده تاريخ ومؤرخلر) ص ٢٤١ ومقدمة جهانكشا وآثار عديدة ...

وان بعض المؤلفات بقيت خالدة على مرور الايام ، وان من هؤلاء العلامة عمادالدين ابا يحيى زكريا بن محمد بن محمود الانصاري القزويني، كان عالما فاضلا ، فخلف آثارا جليلة فى التاريخ والجغرافيه • عاش فى بغداد ، ويعد من أكابر علمائها ، ورزق التوفيق فى مؤلفاته ، ونالت عناية كما عرف بالخط أيضا ، فيعد من الخطاطين ، واذا كان لم يكتسب المكانة الفقهية والقضائية فى بغداد فقد نال منصب القضاء فى واسط والحلة فى ايام الخليفة المستعصم وفى أيام المغول ، فقد ترك لنا ميراثا تاريخيا فاق به الكثيرين من اقرانه ، وكان تلميذ أثير الدين الابهرى فى الحكمة ، ومدرس المدرسة الشرابية فى واسط ، ومن مؤلفاته :

١ ـ آثار البلاد وأخبار العباد ، جمع بين التاريخ والجغرافية • ابتدأه بعد الديباجة بثلاث مقدمات •

(١) فى الحاجة الماسة الى احداث المدن والقرى •

(٢) فى خواص البلاد وتقسيمها الى تأثير البلاد فى السكان ، وتأثير البلاد فى المعادن والنبات والحيوان •

(٣) فى أقاليم الارض •

ثم أفاض بعد ذلك فى أخبار الامم الماضية مبينا ما كانوا عليه من مكارم الاخلاق وحميد الصفات وجميل الآداب مع ذكر احوال بلادهم ومعايشهم ، وتراجم كثير من الاولياء والعلماء والسلاطين والشعراء والوزراء والكتاب وغيرهم ، طبع فى (كوتنجن) سنة ١٨٤٨ م ، ومعه مقدمة باللغة الالمانية للأستاذ الدكتور (وستنفلد) الالمانى المستشرق الشهير ، والنسخة المخطوطة منها فى دار الكتب المصرية وغيرها • ورأيت مختصر هذا الاثر فى أحدى مكتبات النجف •

٢ ـ عجائب المخلوقات • وهو كتاب جليل ، لا يخلو من فوائد عميمة ، وطبع مرات منها باعتناء الاستاذ المستشرق (وستنفلد) وفى مطبعة التقدم وعلى

هامش حياة الحيوان للدميري سنة ١٣٠٥ هـ ، وترجم الى اللغة الفارسية وطبع على الحجر في ايران • وعندي نسخة مخطوطة من ترجمة فارسية له •

وتوفي المترجم سنة ٦٨٢ هـ - ١٢٨٣ م في واسط وحمل الى بغداد ، وكان حسن السيرة عفيفا[١] •

١١ - القاضي البيضاوي

هو ابو الخير عبدالله بن عمر البيضاوي ، من أعاظم علماء الاسلام ، ذاعت شهرته في الاقطار بحيث دخلت مؤلفاته في مناهج التدريس ، وصار تفسيره يدرس في المدارس العلمية ويعد من كتب التفسير المعتبرة ••

ولم يعرف أنه مؤرخ ، وانما هو قاض وفقية شافعي ، وما كان يظن امرؤ ان الاضطراب في العالم الاسلامي يؤرخ عنه فقيه اصولي ومفسر ديني فقد نشأ في عهد المغول ، وتكاملت ثقافته في أيامهم ، ونال المكانة المحترمة ، والمنزلة المقبولة •• تجول في ايران ، ووقف على الحالة في أيام المغول ، وهو شاهد عيان لحوادثهم ••

وكان والده عمر البيضاوي (قاضي الممالك) عند الدولة السلغرية في (قطر فارس) أيام ظهور المغول وتفاقم خطرهم ، وأن أتابك فارس آنئذ أبو بكر بن سعد بن زنكي (٦٣٢ هـ - ١٢٢٦م : ٦٥٦هـ - ١٢٦٠م) وهذا الامير في أيام غائلة المغول أرسل ابنه وأخاه الى مقر ملك المغول (اوكتاي قاآن بن جنكيز خان) بهدايا ثمينة ونفيسة ليقدم انقياده ويعرض طاعته له ، وان قاضي الممالك والد المترجم له مكانة معروفة عنده ، وفي ذلك الزمن استولى على النفوس اضطراب كبير ، وخوف عظيم من شر هذه الدولة ، فأضاع كثيرون الرأي الا أن أبا بكر بن سعد لم يضع حسن الادارة ، ولا فقد الرأي الصحيح ، ومن ثم سالم القوم فسلم على مملكته ، وقضى في فارس

---

(١) الحوادث الجامعة ص ٤٣٣ وتاريخ دول الاعيان - مخطوطتي - ص ٤٣٦ ومجلة المشرق ج ٨ ص ٩٢٦ •

نوعا حياة طيبة ، فمال اليه أرباب العلم ممن فر من البلاد الاخرى فاجتمعوا عنده وقضوا حياتهم بطمأنينة(١) ...

وفى أيامه كتب الشيخ سعدى الشيرازى كلستانه وقدمه اليه باسمه ، كما ان القاضى البيضاوى كان يزاول أمر تحصيله فى شيراز ملجأ العلماء الكبار فى ذلك الحين . واذا كان البيضاوى يزاول العلوم الدينية من حديث وتفسير ، وآداب وفلسفة وكلام وفقه ، فانه لا شك كان يرقب ما يجرى من حوادث عظيمة ، ويتأمل فى مجارى العالم من وقائع ، فيهتم بشؤونها ويراعى ما هنالك من طرف خفى ونظرة هادئة ، ودقة كاملة ..

ولم تمض مدة على اكمال تحصيله الا رأيناه قاضيا فى تبريز ، يزاول الحكم من جهة ، والتدريس والتأليف من أخرى ثم انه بعد أن توفى أبو بكر بن سعد تغيرت حالة الدولة السلغرية وتبدل سعدها الى نحس باستيلاء هولاكو على جميع ايران ، فترك القضاء وتخلص للعلم وانزوى فى تبريز ، ورد ما كلف به من مناصب فوجد لزوم العكوف على العلوم وحدها ، فوقف حياته عليها . وتوفى فيها وكانت وفاته على رأى صاحب الوافى بالوفيات سنة ٦٨٥ هـ - ١٢٨٢ م وكذا فى كشف الظنون الا انه فى الجزء الثانى ص٣٩٤ طبعة بولاق ذكر الوفاة سنة ٦٨٤ هـ وعلى قول السبكى سنة ٦٩١ هـ - ١٢٩١ م . وترجمته معروفة لدى مؤرخين عديدين .

مؤلفـــاته :

١ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، من أعظم ما ألفه فى التفسير ، وهذا نال عناية عند العلماء ، واكتسب مكانة كبيرة شرقا وغربا لما عرف به من تعديل فى تفسير الكشاف بحذف أغراض الاعتزال كما انه حصل على عناية من الدكتور (فلاشر) فطبعه سنة (١٨٤٤ م -١٨٤٨ م) طبعة نفيسة

---

(١) روضة الصفا ج٤ طبعة ايران على الحجر .

فى مجلدين فى مطبعة (الايبزيغ) ، وكذا طبع ترجمته الدكتور (فل) فى المطبعة المذكورة سنة ١٨٧٨ م . وله فى الفقه الشافعى آثار كثيرة ومن مؤلفاته :

٢ – المنهاج فى أصول الفقه .

٣ – الايضاح .

٤ – الغاية القصوى فى دراية الفتوى منه نسخة قديمة جدا فى مجلد واحد ناقص الآخر ، لدى الاستاذ الصديق السيد احمد شوقى الحسينى .

٥ – شـرح التنبيـه .

٦ – الطوالع .

٧ – نظـام التواريخ .

كتب الاستاذ البيضاوى مؤلفاته باللغة العربية ، ولم يكتب باللغـة الايرانية سـوى كتاب (نظام التواريخ) ، وابتـدأ به من أول الخلقة الى سنة ٦٧٤ هـ – ١٢٧٥ م ، فهو تاريخ عام الا انه مختصر جدا ، يكاد يكون مخلا بالحوادث فى اختصاره ، وتناول تاريخ الانبياء ، وتاريخ الخلفـاء الراشدين : والأمويين ، والعباسيين ، والصفاريين والسامانيين ، والغزنويين ، والديالمة ، والسلجوقيين ، والسـلغريين ، والخوارزميين ، وتعرض لاشـهر وقائعهم وبحث عن المغول أوضح من غيرهم الا أنه لم يتجاوز حـدود الاختصار التى رسمها لنفسه ، ويعد متنا فى التاريخ .

ويهم منه نفس دولة المغول والدول المعاصرة لها كما أن سلسلة الملوك والأمراء من أهم ما فيه ، والمؤلف عرف الحالة أيام السلغريين ، ابان تعاليهم ، وأيام انقراضهم ، وكان شاهد عيان لامر المغول فى هجومهم ، وفى حكمهم ، فكتب ما رأى ، ودون ما جرى ..

كتب بنزاهة قلم ، ولسان أديب معتدل ، ولم يتهور بكلمة ، ولا عرف غرضه فى حادث ، فكأنه جاء ليكتب دون أن تكون له علاقة بأحد ، ترك

للقارىء حكمه كما تلهمه الوقائع ، ومن كتابه يعلم انه كان يخشى المغول ، فلم يبد شيئا يمس بسياستهم ، أو يعين ما قاموا به من أعمال ..

ومنه نسخ كثيرة فى أوربا وفى استنبول فى خزائن عديدة ، ومنه فى نور عثمانية برقم ٣٤٥٠ وعندى منه نسخ خطية ومطبوعة فى ايران والهند باللغة الايرانية ، وذيل عليه لم أعرف مؤلفه ، وترجمته الى التركية كذلك لم يعرف ناقلها . وكلها مخطوطة .

ان هذا التاريخ تأثر به مؤرخون عديدون ، منهم من ترجمه الى التركية مثل الفضل ابن ادريس البدليسى ، ومنهم من أتم حوادثه ، ولم أقف على اسم المؤلف كما مر .. ومنهم من ترجمه الى اللغة العربية ، مثل الغياثى . وادرجه فى تاريخه ، واتم حوادثه بما عنده من وقائع اقتبسها من ابن حجر فى انباء الغمر ومن غيره .. فكل هذه تستحق العناية . فالرجل كانت له المكانة ، ونال تاريخه العناية ، وآخر من علمنا انه عزم على نقله الى العربية فرج‌الله زكى الكردى الا انه لم يظهر للوجود ، فلم نعلم عنه شيئا قال لى ذلك المرحوم الاستاذ اسماعيل صائب سنجر مدير خزانة كتب بايزيد العامة .

وعلى كل حال كان المؤلف محمود الأثر ، معروف المنزلة فى كل آثاره وانتشرت فى الاقطار الاسلامية ، واكتسبت عناية ورعاية .

١٢ - ابن العبري

كان النصارى واليهود قد اشتركوا فى الثقافة الاسلامية ، واخذوا بها قليلا أو كثيرا ، ومنهم من حاز المناصب فى الدول الاسلامية ومثلهم الصابئة ، والمجوس . فلم يعرفوا ثقافة غير هذه .

ومن هؤلاء مؤرخون عديدون منهم (ثابت بن سنان) الصابىء[١]

---

(١) أخبار الحكماء ص١١٩ من طبعة أوربا .

وأولاده ، وابو اسحق الصابىء وأولاده . ومن مؤرخي النصارى (ابن البطريق) وهو سعيد بن البطريق وتاريخه (نظم الجوهر) أو التاريخ المجموع[١]) ، ومنهم (يحيى بن سعيد بن يحيى الانطاكي) وله (تاريخ الذيل[٢]) جعله ذيلا على سابقه . وهؤلاء في العهد العباسي . وفي عهد المغول ظهر في مصر (ابن الراهب) وله تاريخ عام . و (ابن العميد) وله (المجموع المبارك) وللمفضل بن ابي الفضائل القبطي ذيل عليه سماه (النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد) وتراجم هؤلاء معروفة[٣]) .

ومن المهم جدا أن يعرف تلقى غير المسلمين لوقائع تاريخنا ، فان اختلاف الانظار ، والاتصال بالمؤرخين العارفين من مختلف الملل مما يفيد لانكشاف الوقائع ، ووجه الاخذ بها فان مثل هؤلاء يستفاد من تاريخهم للتاريخ الاسلامي العام ، ولتاريخ الاقطار الخاصة في أهم ما جرى من الوقائع سواء في ضبط الاعلام الاجنبية وفي الأوضاع التاريخية ، وما فسرها من عقليات ، وربما كانت هناك التفاتة صالحة في توضيح ما جرى والافكار لا تكون بمثابة واحدة في التفسير ، أو التلقي والاخذ .. ولا شك ان الغرض والتحامل لا يكونان موضوع البحث .

وموضوع بحثنا (ابن العبري) وهو أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون ، ولد في ملطية سنة ١٢٢٦ م - ٦٢٣ هـ . وكان والده طبيبا يهوديا وجيها معتبرا .. بذل وسعه في تعليم ابنه العربية والسريانية واليونانية ، وساقه الى تحصيل العلوم العالية ، فدرس الالهيات والفلسفة كما انه أخذ الطب عن والده وعن مشاهير الاطباء في أيامه ..

---

(١) ترجمته في (اسلامده تاريخ ومؤرخلر) ص١٠٧ وفي معجم المطبوعات ص ٤٧ عاش سنة ٢٦٢ هـ - ٣٢٨ هـ .

(٢) جاء ذكره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج٥ ص١٩٩ .

(٣) معجم المطبوعات .

وان فتنة المغول تطاير شررها حتى استولوا على الاناضول ، ومن ثم نرى صاحب الترجمة مال بأهله الى انطاكية . واعتنق النصرانية فيها فصار من أكبر انصارها . وكان من أكبر الزهاد .. فاعتزل الناس الى مغارة عاش عيشة تقشف . لحد ان رئيس اليعاقبة أغناطيوس سابا (الجاثليق) زاره لما رأى منه من زهد وتقوى ...

ثم ذهب الى دمشق الشام ، فاتصل بالملك الناصر ، فحصل منه على (براة) .

ثم ظهرت غائلة المغول في انحاء العراق ، واستولى القوم على بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم ، ولم ينج من شرهم الاناضول ، ولا حلب ولا الشام . فحاصروا حلب ، أما المترجم ، فقد ذهب الى هولاكو ، ورجا منه أن ينال النصارى اليعقوبيون عطفه فحصل على مرغوبه .. ومن ثم ائتلف مع المغول فعين (ميتربوليت) في سنة ١٢٦٤ م فحصل المترجم براة له من هولاكو ، فاستفاد من تساهل المغول في الاديان ، فسهل انتشار عقائد اليعاقبة في الشرق ، وتمكن القوم من بناء كنائس جديدة ، وفي خلال وجوده في هذا المنصب كتب (تاريخ الكنائس السرياني) ففصل فيه تاريخ العقائد النصرانية ..

واتصل بالمسلمين كثيرا ، ولا شك أن ميله للتوحيد مما سهل تقربه لليعاقبة ، وما ذلك الا كمقدمة للقرب من الاسلام ، وتاريخه يعين الادلة الاسلامية بوضوح ، فلم يكن متحاملا على الاسلام بل قرر عقائده كما يراها المسلمون . توفي في مراغة في ٣٠ تموز سنة ١٢٨٦م — ٦٨٥هـ .

تاريخه :

ويهمنا الكلام على تاريخه المسمى (تاريخ ابن العبري) أو (مختصر تاريخ الدول) وكانت مؤلفاته عديدة ، فلا محل للبحث عنها ، وأما تاريخه فجل ما يقال فيه أنه ظهر في عصر مضطرب ، حدثت فيه فتن عظيمة بين صليبية ومغولية . وأبرز أثره وعين العلاقات التاريخية ، فكتب تاريخا

باللغة السريانية بتفصيل زائد ويحوى الوقائع الى سنة ١٢٩٢م وكتابه فى اللغة العربية يمتد الى ما بعد تلك الوقائع وفيه تصحيحات لما كتب سابقا •

ولا شك ان الرغبة تميل الى معرفة ما يقوله أرباب الملل الاخرى فى تواريخهم عن وقائع المسلمين فى هذه الايام الطافحة بعظائم الحوادث • ولعلاقته بالمغول وبالمسلمين وهما من أبرز فصول الكتاب • على أنه كان معاصرا للمغول ويخشى بطشهم فيما كتب ، بل يعدهم مناصرين لملته فلم يكن حياديا • وفى تاريخ المغول القدماء كما يفهم من نصوصه اعتمد عطا ملك الجوينى فى تاريخه (جهانگشا) ، لا كما جاء فى دائرة المعارف الاسلامية من انه اعتمد شمس الدين الجوينى اخا عطا ملك اذ ليس له تاريخ • وفيها ذكر بعض مؤلفاته وطبعات كتابه مختصر الدول ، وطبعة اليسوعيين فى بيروت سنة ١٨٩٠ م •

وذكر لى المرحوم الاستاذ محمد شرف الدين يالتقيا رئيس الشؤون الدينية فى انقرة انه ترجم الى التركية قسم المسلمين والمغول من هذا الكتاب •

اهتم الغربيون بهذا الأثر العربى اهتماما كبيرا فبادروا لترجمته الى اللاتينية وطبعه مع متنه العربى فى اوكسفورد سنة ١٦٦٣م • وهكذا زادت التتبعات فى التاريخ الشرقى • واكتسبت مكانة مهمة •

نقل تاريخه فى أواخر حياته بالحاح من بعض أصحابه من المسلمين ، وضمنه أمورا كثيرة لا توجد فى المطول السريانى لا سيما فيما يتعلق بدولة الاسلام والمغول وسياستهم وطريق حكمهم ، والقائمين بالأمر ومدبرى المملكة ولم يتحامل فى افادته على الامم الاخرى ، وذكر أن رجال دينهم يترددون الى المغول ، وبين أنهم يراعونهم ، ويبدى أن جنكيز كان يميل اليهم ولم يقل اعتنق دينهم ، وانما روى بلفظ « قيل ان أونك خان وأقوامه كانوا نصارى ••• » ولم يقطع •

انتهى تاريخه الى حوادث ١٥ شعبان سنة ٦٨٣ هـ ـ ١٢٨٤ م أى قبل

وفاته بنحو سنتين •ومن مزاياه انه يوضح الالفاظ المغولية ويعين المراد منها[1] •• ومنه نسخ خطية احداها تحوى النصف الاول وهى قديمة فى مكتبة الاوقاف فى بغداد ، ونسخة أخرى كاملة فى مكتبة آل باش أعيان فى البصرة ، وأخرى فى استنبول فى خزانة أيا صوفيا برقم ٣٣٦٨ وأخرى فى خزانة الملة فى مكتبة فيض الله برقم ١٥١٨ وقد وجدت فى آخر هذه النسخة ما نصه قال كاتبه :

« وجدت على النسخة المنقول منها بخط الشيخ الامام خاتمة الحفاظ القاضى شمس الدين بن خلكان ما صورته : (مصنفه أبو الفرج بن حكما كان كثير الاطلاع وحصل على علوم شتى واتقنها وانفرد فى الطب فى زمانه حتى شدت اليه الرحال بأرض المغرب وكان عيسويا وأخذ عنه كثير من فضلاء المسلمين وقيل انه عند موته رجع عن اعتقاد العيسوية وأظهر الدليل على عمومية رسالة محمد (ص) ولم ينته أحد الى مثل تحرير مصنفاته فى العلوم) انتهى ما وجدته » •

١٣ - ابن البزورى

عرف بابن البزورى جماعة من أسرة علمية واحدة ، والمترجم هو العز ابو بكر محفوظ بن معتوق بن أبى بكر البغدادى ، ويعرف (بابن البزورى) ويعد من مؤرخى العراق وعلمائه واشتهر بما كتبه على المنتظم لابن الجوزى فى التأريخ اتماما لحوادثه الى أيامه ، وسمع فى بغداد من :

١ - ابى طالب عبداللطيف ابن القبيطى •
٢ - عبدالرحمن بن عبداللطيف بن ابى سعد •

وغيرهما ، وحدث فى دمشق • سمع منه جماعة منهم :

١ - ابو العلاء محمود الفرضى •

---

(١) (اسلامده تاريخ ومؤرخلر) ص ١٩٤ ودائرة المعارف الاسلامية ج١ ص٢٢٩ من الترجمة العربية •

٢ ـ أبو محمد القاسم ابن البرزالى .

٣ ـ ابو عبدالله احمد الذهبى .

٤ ـ أبو محمد عبدالعزيز بن عبدالقادر البغدادى .

٥ ـ أبو عبدالله محمد بن مسلم الصالحى .

أقام فى دمشق ، واستنسخ من كتب العلم كثيرا ، ووقفها على تربته ، وكان قليل الرواية ، حسن الكلام ، ملازما للخير ، قال الذهبى : كان شيخا محتشما ، جليلا جميلا وسيما بهيا ، مليح الصورة ، رفيع البزة ، من كبار التجار وأولى الثروة ، وأرباب العدالة والمروءة ، له مشاركة فى العلم وصنف تاريخا كبيرا ذيل به على المنتظم لابن الجوزى رأيت منه ثلاثة مجلدات ، سلمت فى خزانته التى بتربته بسفح قاسيون وكان فيها جملة كتب مفيدة (١) .

ان صاحب كشف الظنون لم يتعرض لذكر هذا الذيل ، وانما جاء فى مادة (المنتظم فى تاريخ الامم) أن الشيخ علاءالدين علي بن محمد الشهير بـ (مصنفك) قد اختصره فى مجلد قال المولى علي ابن الحنائى فيه أوهام كثيرة وأغلاط صريحة أشرت الى بعضها فى هامش على نسخة بخطه ، وأول المختصر : الحمد لله الذى أودع فى علم التاريخ أسرارا الخ .. الفه سنة ٨٧٠ هـ فى (أدرنة) واسقط منه الزوائد وسماه (مختصر المنتظم وملتقط الملتزم) ، ومنه نسخة فى خزانة بايزيد .

قال ابن كثير(٢) : بعد ان ذكر المنتظم ـ أوردنا فى كتابنا هذا كثيرا منه من حوادثه وتراجمه ، ولم يزل يؤرخ أخبار العالم حتى صار تاريخا . وما أحقه بقول الشاعر :

ما زلت تدأب فى التاريخ مجتهدا   حتى رأيتك فى التاريخ مكتوبا

---

(١) منتخب المختار ص ١٦٥ ـ ١٦٧ وفيه ينعت المؤلف بالامام . وترجمه كثيرون منهم صاحب الشذرات .

(٢) ابن كثير ج١٣ ص ٢٨ .

وفصل ابن كثير تاريخ حياته وتوفى سنة ٦٩٧ هـ - ١٢٩٧ م ٠

والمنتظم طبع منه ستة اجزاء فى المطبعة العثمانية فى الهند ، فلا محل للاطناب فى وصفه على أن صاحب الكشف بين أوصافه ، وان مؤلفه اختصره فى كتاب سماه (شذور العقود) ٠ منه نسخة فى كوبريلى رقم ١٠٩٥ وأوله : الحمد لله الذى جلا على الفكر ما جلا من العبر الخ ٠٠ قال فى مقدمته : ان التواريخ وذكر السير راحة للقلب ، وجلاء للهمم وتنبيه للعقل ٠٠ ان ذكرت ٠٠ علمت حسن التدبير ٠٠ وان قصت ٠٠ خوفت من اهمال الحزم ٠٠ وأوجبت التعجب ٠٠

وقال :

وانى لما جمعت كتابى الجامع لنكت التواريخ المسمى بـ (المنتظم فى تاريخ الملوك والامم) رأيته قد طال مع اجتهادى فى اختصاره ، فآثرت أن اجتنى فى هذا الكتاب عيون عيونه ٠٠ الخ ٠

وهو فى مجلد صغير يتكلم على الانبياء ٠ ثم يراعى الترتيب فى سنى الهجرة ويذكر أشهر الحوادث على ترتيبها الى سنة ٥٧٨ هـ ٠ والكتاب مهم جدا والنسخة المذكورة مخطوطة سنة ٨٩٣ هـ ٠

قال السخاوى : وقفت عليه بخطه ، واما صاحب كشف الظنون فقد ذكره فى مادة شذور العقود الا انه أغفل علاقته بالمنتظم ، ولم يبين أنه ملخص منه ، ولعله لم يطلع عليه ليقول كلمته فيه ٠

وبهذه المناسبة أذكر من ذيول المنتظم (الفاخر فى ذكر حوادث أيام الامام الناصر) فى مجلدات ٠ تأليف محمد بن احمد بن محمد الفارسى [١]،

---

(١) والفارسى جاء في الروضتين بلفظ القادسى وهو الصواب وجاء ذكر والد مصنف هذا الذيل فى ابن كثير ج١٣ ص ١٠٤ وقال احمد ابن محمد بن علي القادسى الضرير الحنبلى والد صاحب الذيل على تاريخ ابن

ذكره صاحب الاعلان بالتوبيخ . ولم يزد في التوضيح[١] .

ومن ثم نعلم درجة العناية بالاصل ، ومكانته التاريخية بحيث نال الاهتمام الكبير ، ولعل الايام تسمح بظهور باقى اجزائه ، والعثور على ما كتب عليه من ذيول .. ويعد (مرآة الزمان) كتكملة عليه .. فالمنتظم نال المكانة اللائقة على أن للمؤلف (درة الاكليل) فى التاريخ لم يشتهر اشتهار المنتظم ، وهو في أربعة مجلدات وابن الجوزى اشهر من أن يذكر ، وترجمته فى مواطن عديدة[٢] .

والحاصل ان ابن البزورى كانت مكانته معروفة ، ويعد من العلماء واطراء كثيرون ، وعرف ابنه نجم‌الدين معتوق بالوعظ[٣] ، وابن ابنه عزالدين محفوظ كان ورد دمشق وسمع الحديث بها . وتوفى ليلة الثلاثاء من صفر سنة ٦٩٤ هـ ـ ١٢٩٥ م فى دمشق وصلى عليه بالجامع المظفرى ، ودفن بتربته بسفح قاسيون[٤] .

ـ الجوزى وبين انه توفى سنة ٦٢١ هـ . وصاحب الفاخر توفى سنة ٦٣٤ هـ وذكره اليافعى فى مرآة الجنان ونعته بقوله :

(ابو الحسن محمد بن احمد البغدادى المحدث المؤرخ سمع من ابن الزاغونى وطائفة ، وأخذ الوعظ من ابن الجوزى وهو اول شيخ ولي مشيخة المستنصرية وآخر من حدث بالبخارى سماعا عن أبى الوقت . وضعفه البخاري . توفي سنة ٦٣٤ هـ) اهـ (مرآة الجنان ج٤ ص٨٦) قال ابن‌القفطي فى تاريخ الحكماء بعد أن ذكر التواريخ وسلسلة اطرادها ان ابن الجوزى كمل على سابقه العفيف صدقة الحداد الى ما بعد سنة ٥٨٠ هـ وقال : ثم كمل عليه ـ يريد على المنتظم لابن الجوزى ـ ابن القادسى الى سنة ٦١٦ هـ . اهـ . ومن ثم علمنا تاريخ انتهاء الذيل لابن القادسي ... (تاريخ الحكماء لابن القفطى ص ١١١) .

(١) الاعلان بالتوبيخ ص١٤٦ و١٥٦ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج١ ص٣٩٥ والشذرات .

(٣) الدرر الكامنة ج٤ ص٣٥٢ وفيه توفى سنة ٧٠٣ هـ وفى أعيان العصر سنة ٧٠٢ هـ قال وهو واعظ بارع فى فنه ينظم الشعر فى الحال ..

(٤) مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ج٨ ص٣٦٨ وج٩ ص١١٨ .

ومن مؤلفات ابن الجوزى (مناقب بغداد) وقد تولدت شبهات فى أنه لغيره وان مختصره ابن الفوطى ، أو أنه من تأليف حفيده الا ان قائمة مؤلفاته برهنت على وجوده بينها أوردها سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان ، وجاء ذكرها فى رقم الحلل للسان الدين الخطيب ، فلم يبق شك فى ذلك .

ومن مؤلفاته (كتاب تلقيح فهوم أهل الأثر فى عيون التاريخ والسير) قال فى مقدمته : انه ذكر فيه من التواريخ والسير فنونا ومن علم الحديث عيونا ليكون للمبتدى تبصرة ، وللمستغنى تذكرة ، وهو فى سيرة الرسول والصحابة وطبقات الخلفاء الى المستنجد .. منه نسخة رأيتها فى خزانة السلطان أحمد الثالث بطوبقبو ورقمها ٢٩٦٨ وطبع على الحجر فى الهند .

١٤ - ظهير الدين الكازرونى

ان المؤرخ قد يعتمد عين ما اعتمده الآخر ، ويتفاوت النقل فى الاختصار ، والاختيار . يحاول بعضهم أن يضخم تاريخه ، أو يجعله مدار الفخر ، وموضوع المنافسة وهذه الحالة مشاهدة فى تواريخ عديدة . فاذا كان كل واحد أبدع فى بعض المباحث ، وجوّد فى الاساليب ، فان المؤرخين عندنا كل واحد منهم أبدع اسلوبا ، وعين موضوعا غير مسبوق به وقام باصلاح لا نشاهده فى غيره لمزايا يدركها المتتبع .

وهذا لم يكن نصيب كل أحد ، ولا صفة كل من كتب التاريخ ، بل ان ذلك أمر وفق اليه الافذاذ فى صناعتهم استفادة من العلوم الاخرى ، وأساليبها والمنهج العلمى ، والتحوير فيه ، والخروج عن الاطراد الممقوت ، أو النهج المتبع الممل فكل واحد أبرز قدرة ، وابدى مهارة خاصة ، فكان حسن اختياره مقبولا ، وطريقته مرغوبا فيها .

ومن هؤلاء الاستاذ الكازرونى من أكابر مؤرخى العراق الشيخ ظهيرالدين على بن محمد بن محمود الكازرونى . كان عالما فاضلا ، خدم

الديوان فى الاشغال الجليلة ، وجمع تاريخا وعمل كتابا فى الاختيارات سلك فيه طريقة ابن حراز فى الاختيارات التى عملها لشرف الدين اقبال الشرابى ، وكتب خطا جيدا ، وتجاوز فى العمر ٨٠ سنة[١] وتوفى فى بغداد سنة ٦٩٧ هـ - ١٢٩٧م • ينقل عنه صاحب التاريخ المنسوب للفوطى ، وكذا الذهبى فى مواطن كثيرة ، واكثر المؤرخين بعده عالة عليه ، وحفيده شرف الدين احمد بن محمد ، ولد سنة ٦٧٣ هـ - ١٢٧٤ م وسمع من جده• وتوفى سنة ٧٥١ هـ - ١٣٥٠ م •

جاء فى طبقات السبكى أن مؤرخنا كان « مولده سنة ٦١١ هـ ، وسمع الحديث من الامير أبى محمد الحسن بن على بن المرتضى ، وأبى عبدالله محمد بن سعيد الواسطى وغيرهما وكان حيسوبا ، فرضيا ، مؤرخا ، شاعرا ••• » •

وفى الدرر الكامنة زاد أنه سمع من الحسن ابن السيد ، والدبيثى وغيرهما ، فنعلم أن أحد أساتذته الدبيثى المؤرخ كما ان ابن الساعى قد تخرج على ابن النجار وقال :

«تمهر فى الفنون ، وصنف التصانيف ••• » •

تصانيفه :

النبراس المضىء فى الفقه ، والمنظومة الاسدية فى اللغة ، وكنز الحساب فى الحساب ، فى مجلد ، والسيرة النبوية ، والملاحة فى الفلاحة ، وكتاب فى الاختيارات • وروضة الاديب فى التاريخ ، جاء في الدرر الكامنة انها فى سبعة عشر سفرا ومن المؤسف ان غاب عنا خبر هذا الاثر • ومختصر فى التاريخ • فى سنة ١٩٣٩ م وقفت عليه بخط مؤلفه كتبه بعد سقوط الخلافة العباسية بنحو سبع سنين وكنت أظن أن آثاره طمست ولم يبق

---

(١) الحوادث الجامعة ص٤٩٧ وتاريخ العراق بين احتلالين ج٢ ص٦٨ والدرر الكامنة ج١ ص٢٨٤ •

ما يشير الى مكانته التاريخية ، وفيه مطالب مهمة عن الآثار العراقيــة ، وتوضيح لمشاهدات فى عمارات خيرية ، وكلام فى الاسرة العباسية لا نجدها فى غيره ، فكان عظيما فى اختصاره وهو صفوة تاريخ العراق ومتن متين فيه ، يغنى على اختصاره عن مطالعة اسفار فهو زبدة التصانيف وروح المطالب • وهذا المؤرخ ممن له اصبع فى الادارة أو علاقة بالدولة ويستفاد من صحة نقله لبصره فى شؤونها • وكتب كما يريد ولم يكتب كما يراد •

ومن مؤلفاته التذييل وهذا الكتاب جاء ذيلا على تاريخ العمرانى فى الدولة العباسية من أولها الى أيام المستنجد بالله • وهو تأليف الشيخ الثقة محمد بن على بن محمد ابن العمرانى ، ابتدأ فى الذيل فى اول ولاية المستنجد وختمه بآخر امامه المستعصم بالله • عثرت على تاريخ العمرانى • ولم أعثر على التذييل • وجاء ذكر الاصل والتذييل فى كتابه (مختصر فى التاريخ) عند الكلام على خلافة الناصر لدين‌الله • فكان لاشارته قيمتها •

١٥ - ابن واصل الحموى

نفوذ النظر ، والموهبة ، والعلم من أوضح صفات المؤرخ • وان مترجمنا ممن اتصف بهذه الاوصاف وهو قاضى القضاة نجم‌الدين (جمال‌الدين) محمد ابن سالم بن نصر بن سالم المعروف بابن واصل الحموى الشافعى ، اشتهر كثيرا ، وشاعت آثاره فى المطالب التاريخية ، وكتب عن خبرة ، أوضح الاوضاع وأبدى الآراء النافعة ، فكان ممن أشغل فكره مدة فى الوقائع وفى مجرى الحوادث وكان أقرب الى الاتصال بالناس ، وبالسياسة فهو قاضى القضاة وذو علاقة باكابر رجال الدولة وما يتناولونه من المطالب وتوفى يوم الجمعة ٢٤ شوال سنة ٦٩٧ هـ - ١٢٩٧ م ودفن بتربته بعقبة يبرين عن ٩٦ سنة ، وتصانيفه :

١ - مفرج الكروب فى أخبار ملوك بنى أيوب : منه نسخ فى المكتبة السليمانية باستنبول فى ملحق خزانة قاضى العسكر قليج على من كتب ملا جلبى

برقم ١١٩ رأيت المجلد الثانى منه وفى باريس منه نسخة . وذكر الدكتور الاستاذ الشيال نسخه الاخرى وترجمة المؤلف فى مقدمة المجلد الاول منه الذى نشره الاستاذ الدكتور جمال الدين الشيال طبع فى مطبعة جامعة مصر سنة ١٩٥٣ م . وتتبعات الناشر وافية فى هذا البـاب .

٢ ـ نظم الدرر فى التاريخ والسير : فرغ من تأليفه فى ٣٠ رجب سنة ٦٩٢ هـ وهذه النسخة هى الجلد الاول مضافا اليه ثلاث كراسات من الجلد الثانى : والظاهر أن المؤلف وقف عندها . ولم يتجاوزها فانضمت الى الجلد الاول وكانت هذه النسخة فى مكتبة الاستاذ احمد عبيد واخوانه فى دمشق الا انى سمعت انه باعها .

٣ ـ التاريخ الصالحى : فى الانبياء والخلفاء الى ايام الخليفة المستنصر بالله العباسى سماه باسم الملك الصالح المعاصر لهذا الخليفة . وتنتهى حوادثه بالملك الصالح . فى مجلد قديم وكامل لا نقص فيه ، ومهم جدا رأيته فى خزانة فاتح برقم ٤٢٢٤ .

٤ ـ مختصر الاغانى : ذكره فى الوافى بالوفيات ، وذكره الاستاذ الدكتور الشيال .

٥ ـ رسالة فى علم المناظرة : عندى مخطوطة منها كتبت سنة ٧٠٢هـ نعته كاتبها بانه رئيس الحكماء فى حماة .

٦ ـ نخبة الفكر .

ومؤلفاته فى الفقه والادب والطب والحكمة كثيرة ، قال أبو حيان الاندلسى : هو من بقايا أهل العلم ، ونعته الصفدى بأنه أحد الأئمة الاعلام بعد صيته واشتهر اسمه . وكان من اذكياء العالم . وله فى الفلك والرياضيات اليد الطولى[1] . ورأيت فى اشكال الناسيس نقدا موجها عليه وعلى الخواجة

(١) نكت الهميان ص ٢٥٠ وارشاد القاصد الى اسنى المقاصد .

الطوسى والأبهرى وابن الهيثم من مؤلفه الاستاذ شمس الدين محمد السمرقندى ناقشهم فى بعض المطالب الهندسية •

١٦ - ابن الطقطقى

التاريخ مطلوب من كل الناس لما فيه من العلاقة بين الاعمال والدول والنفسيات وسائر الامور الاخرى التى يجب أن توضح ، أو أن يعرفها الاقوام والدول فى ادارتهم وأوضاعهم المختلفة ، والضرورة تدعو أن يكون موثوقا به لتكون المعرفة صحيحة وأن تنال مكانتها وتدعو الحاجة الى هذه المعرفة باعتماد ووثوق ، وعلماء الاسلام أكثر اشتغالا به وبيدى مؤرخ من الضرورى أن أذكره وأنبه على ما كان عليه ، كتب ما كتب ملتزما الرغبة ولم يكن ملتزما الحقيقة فكتب كتابين أهدى أحدهما لحاكم الموصل وكان نصرانيا ماشى به سياسة المغول والآخر كتبه الى مسلم وهو زنكى شاه فغير لهجته وبين حالته • فكان البحث فى مؤلفهما ابن الطقطقى ضروريا ، اشتهر فى بلاد الغرب ولم ينل كتاب مكانة كتابه ولا اكتسب ما اكتسبه من محل رفيع بين كتب تاريخ المسلمين لما وافق من هوى فى نفوس القوم فرأوا فيه ضالتهم ، وحصلوا على بغيتهم ، وجدوا فى تاريخه طعنا فى خلفاء المسلمين ورجال دولهم ، فنشروه ومدحوه وأطنبوا فى القول •

وهذا المؤرخ هو صفى الدين أبو عبدالله محمد ابن النقيب تاج الدين على ابن طباطبا الحسنى المعروف ب (ابن الطقطقى) ، وذكره ابن الفوطى مرارا ، ووالده كانت له المكانة أيام ولاية عطا ملك الجوينى على بغداد وتولدت بينهما غضاضة يقال انها أوجبت اغتياله (١)

ويهمنا أن نعرف الوجهات المتضاربة فى تاريخه ، وان اختلاف الآراء فيه أدى الى انكشاف الوضع فظهر انه لم تكن له قيمة علمية وان كان لا يخلو من مسحة أدبية ، ولعل الذوق الادبى دعا للرغبة فيه •

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج١ ص٢٧٦ •

وهذا مرآة فكره ، وواسطة معرفته وفيه مادة تستدعى البحث ، وتقتضى التدقيق ، وتجلب الانتباه فهو جدير بالاهتمام أكثر من ترجمة حياته الخاصة ، ودرس نفسيته ، بل هو ظاهرة من ظواهرها ، كتب تاريخين لأمراء المسلمين وكل واحد منهما يستدعى التدقيق ، ويستحق الالتفات ، ولا يصح ان يكتفى بواحد دون الآخر ، بل من الضرورى تدقيقهما معا واستخلاص النتائج العامة منهما :

١ ـ كتاب الفخرى • وهو المطبوع المتداول باللغة العربية •

٢ ـ منية الفضلاء • وهذا ترجم الى اللغة الفارسية باسم (تجارب السلف) وطبع فى ايران • ولم يبق الا الفارسى منه ••

ومن مراجعة هذين الاثرين يتجلى أن المؤلف مثل دورين ، وعين وضعين متضاربين أحدهما كتب بتحامل ، وتقد مر لاذع لدول المسلمين ، والآخر يذكر هذه الدول بكل احترام وأدب ، فالاول ناقم مهاجم ، كأنه عدو • ولآخر مسلم متأثر بالثقافة الاسلامية ، فهو حانق فى الاول على الادارات الاسلامية • كتب بشخصيتين متباعدتين ، أشبه بفصول رواية ، كل فصل منها على الضد من الآخر •

كتبت آثار عديدة ارضاء لرغبات الآخرين بل هناك من كتب فى موضوع ، ثم كتب ضده ، وكذلك المترجم راعى الرغبات المختلفة ، ولكن التاريخ يفضح ذلك ، ويعده خروجا عن طريق الصدق الملتزم فيه فليس هو قصيدة مدح وكيل ثناء أو هجو وتنديد •

أ ـ منية الفضلاء وترجمته :

هذا الأثر كتب لأحد ملوك الدولة السلغرية من آل زنكى وهو لا ينكر من مباحثه شيء ، ولا يختلف عن مباحث غيره الا انه لخص وجمع فكان بلسان أدبى ، قدمه الى خزانة كتب الصاحب الاعظم جلال الدين زنكى شاه ابن بدرالدين حسن بن أحمد الدامغانى ولا ريب أنه قد قدمه بعد أن أتم شغله مع والى الموصل •• أى بعد سنة ٧٠١ هـ •

تكلم فى السيرة ثم فى الخلفاء الراشدين واستمر الى آخـر العهد العباسى فى بيان زبدة التاريخ ، ترجمها الى اللغة الايرانية ، هندوشاه النخجوانى[1] وأتمها سنة ٧٢٤ هـ ، ومباحثها لب اللباب ، وصفوة الصفوة ، ولا يوجد ما يوجه عليها من النقد وادعى انه زاد فيها وقدمها الى نصرة الدين احمد بن أتابك يوسف شاه احد أمراء اللر (٦٩٥ هـ - ٧٣٠ هـ) ، ولم يطلع عليها أحد من المؤرخين المعاصرين ليقول كلمته مثل ابن الفوطى فاكتفى بما قيل عنها سماعا ويؤسف لضياع أصلها ، والا لكانت قد جلت عن الفكرة الخاصة بالمؤلف .

وأبدى المرحوم الدكتور عباس اقبال انها للفخرى وهذا غير صحيح وان المترجم . سماه تجارب السلف كما تنطق المقدمة بذلك وفيه مطالب تخص المغول ولها علاقة بتاريخ العراق وأصل هذا الكتاب (منية الفضلاء) ويؤسف لضياع هذا الأثر .

٢ - كتاب الفخرى :

وهذا طبع فى أوربا قبل أن يطبع فى مصر فجلب الانتباه

وكل ما يقال فيه انه صفحة طعن فى المسلمين من جهة ، ومدح واطراء لدولة المغول ومثل هذه تعتبر حقيقة لو كان ذم النظام وبين وجوه نقصه ، ونقاط خلله . كتبه للارضاء لينال جائزة الممدوح فهو أشبه بمن كتب أقوالا زوقها وأخبارا لفقها ،والأثر صفحة تبين نفسية صاحبه .

جاء نقد المؤلف موجها الى أعمال شخصية يصح أن يكون تناقلها اعداء ذلك الخليفة أو الملك ، وقد تكون من قبيل ما ينقل من اللطائف الادبية ، فى مجالس الفكاهة ، وهكذا مما لا يعلق عليه كبير أهمية ، وانما الذى تجب

---

(١) هو هند وشاه الصاحبى . طبع كتابه فى طهران سنة ١٣١٣ هـ. ش. بتصحيح المرحوم الدكتور عباس اقبال . وله ابن اسمه شمس منشى، صاحب صحاح العجم فى اللغة الفارسية وكتاب دستور الكاتب . وترجمة هند وشاه فى (دانشمندان اذربيجان) ص ٣٩٩ .

مراعاته ما يتعلق بالادارة والضرائب ، واصول الحكم • فاذا ذكر حادثا شخصيا فمثل هذا لا يعين خطة الحكومة ، ولم يعلن ان الدولة عملت ما يخالف أو أخذت ما هو خلاف المعتاد • فكان نقده فى نظر اليوم لا يعد شيئا معولا عليه مما يخص الادارة أو التشريع والعلاقات الخارجية أو الداخلية • أو المالية ••

وجاء موضحا أكثر ما أورده فى مقدمة الكتاب من المقابلات والفروق بين الوقائع ، فهو وان كان أتم تأليفه بين جمادى الآخرة و٥ شوال من سنة ٧٠١ هـ ، وانهى حوادثه باحتلال بغداد على يد هولاكو حتى وفاة الوزير مؤيدالدين العلقمى الا انه خلال سطوره تعرض للوقائع بعد هذا التاريخ بكثير ، تكلم على حكومة الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين الى آخر أيامهم ، وفضل حكومة المغول على الحكومات الاسلامية عدا الخلفاء الراشدين، فلم يمسسهم خشية أن يناله العقاب الصارم من سخط الرأى العام •

كتبه بشكل يرضى المغول وقدمه الى أحد ولاتهم ، وكان كما جاء فى نص الكتاب أنه فخرالدين عيسى بن ابراهيم ، فأثنى عليه وغالى فى مدحه وبيان أوصافه وكان عازما أن يذهب الى تبريز ، فعدل ، وأهدى كتابه الى هذا الوالى وجعله باسمه ، واشتهر الكتاب باسم (تاريخ الفخرى) •

خطة المؤلف :

أود هنا أن أعين خطة المؤلف مستقاة من أصل الكتاب • قال فى مطاوى مقدمته ما نصه :

« **التزمت فيه أمرين :**

١ ـ أن لا أميل فيه الا مع الحق ، وأن لا أنطق فيه الا بالعدل وان اعزل سلطان الهوى وأخرج عن حكم المنشأ والمربى ، وأفرض نفسى غريبا منهم ، وأجنبيا بينهم ••

٢ ـ أن أعبر عن المعانى بعبارات واضحة تقرب من الافهام ، لينتفع بها كل أحد •• » انتهى

نرى ابن الطقطقى ينوه بالمغول ، ويمدحهم مدحا زائدا ، ويدعو لهم بالدوام والتوفيق ، ويبين رجحان حكومتهم وفضلها على غيرها من سائر الحكومات ليرضى القوم . والكتاب جليل فى موضوعه ، ويستهوى القارىء ، لولا الغمز المذكور ولولا ان كتاب عمدة الطالب يرفع الستار عما كان بينه وبين علاءالدين الجوينى من العداء لما مر ذكره . لظننا أن ما التزمه المترجم فى تاريخه لا يعدو شاكلة الصدق ، وان ما اشترطه قد تابعه حرفيا وراعاه عينا .

الطعن فى بعض اعضاء الادارة لاغراض حزبية أو شخصية والتنديد بهم من المتضررين بحق وبغير حق ، دون مراعاة الواقع ، وكذا الذين جرفهم التيار لا يعتد بقولهم ، ولا يؤخذ بنقلهم ، ومؤرخنا لم يراع هذه الاحوال فدوّن ما سمع من طعن . وأغفل ما سواه ، أو لم يلاحظ حقيقة الوضع بنظرة صادقة . قال :

« أما الدول الاسلامية ، فلا نسبة لها الى هذه الدولة حتى تذكر معها . » انتهى[١] .

وأما الناحية الثانية فقد راعاها ، فلا تنكر قدرته الادبية ولا يبخس تلاعبه فى البيان لاستهواء القارىء وجذبه لناحيته . مما يدل على وفور المادة الادبية وحسن البيان .

ويعين أمر المقدم له هذا الكتاب ما جاء فى تلخيص معجم الالقاب ، قال :

« هو ابو محمد ابراهيم بن عيسى بن هبة الله النصرانى الموصلى ، الحاكم على الموصل ، ولى الموصل فى أيام السلطان الاعظم غازان محمود ، وكان كريما سخيا ، قصده الشعراء والادباء والعلماء ، فاحسن صلتهم ، وأنعم عليهم ، وممن قصده ومدحه المولى ، العالم ، النقيب ، صفى الدين

---

(١) تاريخ الفخرى ص٢٥ .

محمد بن على بن على ابن الطقطقى ، وصنف لاجله كتابه فى التاريخ ، فأحسن صلته وخلع عليه ، وقتله الملك المنصور نجم الدين غازى [١] بن أرتق لما ولى الموصل ، وقطعه اربا اربا [٢] . » اه

وجاء فى الاصل انه فخر الدين عيسى بن ابراهيم وهو الصواب ومن مؤيدات ذلك ما وجدناه فى قطعة نحاسية لدى مديرية الآثار العامة مؤرخة فى سنة ٧٠٢ هـ جاء فيها اسمه صريحا وهى برقم ـ ١٣٣٣ - ١ث .

وجاء ذكر ابن الطقطقى فى مواطن كثيرة من تلخيص مجمع الآداب ، وفى ص١٩ منه انه قدم للحاكم ، فلم يقرأ اسمه فى النسخة المصورة لما اصابها من المحو .. والصفحة التالية لها . ، ولعل ذلك يخص كتاب منية الفضلاء والمأمول أن نعثر على نسخة منقولة من التلخيص المذكور لتعين الصحيح من الاوراق المبعثرة ، والمجلدة بغلط فتظهر الاوراق الساقطة أيضا ..

ويهمنا أن نشير الى أن المؤلف تكلم كغيره فذكر الاوصاف اللائقة فى ادارة الملك كمثل أعلى ، ولكنه لم ينس فى هذه الحالة أن يمدح ويذم ، ولم يجعل للادارة ، والنظام والجيش أهميته وانما التمس ذلك فى شخص الملك أو الخليفة ، فوقف .

ان المؤلف ذكر أوصاف الملك أو الحاكم ، وما يشينه منها ، وكذا عين أوصاف الاهلين تجاه ذلك ، ولم يتجاوز حدودها ، وكلها تلتمس المثل الاعلى لا أنها تدون أوصاف الحكام فعلا .

ولا تنس أن المؤلف يفصل القول فى الملوك وانتقال حكمهم ، من بويهيين وسلجوقيين ، وفاطميين أو توليهم الأمر ، ولكنه حينما يذكر هولاكو وقتل الخليفة ، وما جرى يمضى عنه بسرعة ، ولا يدخل فى أمر يضر بسياسة القوم وفى هذه الحالة لم يستطع أن يجرد نفسه فى تحرير الوقائع .

---

(١) جاء فى مسالك الابصار فى المجلد ٢٧ انه توفي سنة ٧١٢ هـ وكانت دولته نحوا من عشرين سنة .

(٢) تلخيص مجمع الآداب .

ومن جهة أخرى ان الرجل يرى القدرة ، والادارة وسائر أوصاف الملك مجموعة فى شخص الملك أو السلطان ، فلا رأى للامة ، ولا عمل للوزارة ، ولا دخل لادارة الآخرين ، وهذا ناشىء من جهة أن الكلام عليه انما هو باعتباره رئيس الدولة ، وقائد أمرها ، ولكن يذكر ذلك عندما يراد التوسع، فالأمر ليس كما يتوهم الكثير ومنهم ابن الطقطقى فلم يسلم من هذا النقد .

هذا . ونقل صاحب معجم المطبوعات عن لويس شيخو أن ابن الطقطقى توفى سنة ٧٠٩ هـ ولا سند له يعضده .

طبع هذا الكتاب مرارا فى الغرب والشرق كما فى معجم المطبوعات وغـيره .

١٧ - ابن قنينوا الاربلى

هو الصدر الصاحب المعظم ، مولى ملوك الصدور والاماثل ، فخـر الاواخر والاوائل بدرالدين عبدالرحمن بن ابراهيم ، ويعرف بابن قنينوا الاربلى ، الاديب أبو محمد .

كان مشـهورا بالبـلاغة ، وحسن النظم ، مدح الملوك ، وتعـاطى التجـارة وهو القائل :

وغريرة هيفاء باهرة السـنا … طوع العناق سقيمة الاجفان
غنت وماس قوامها فكأنها الـ … ورقاء تسجع فى غصون البان

هذا ما قاله ابن حجر[١] . ومثله فى عقد الجمان للعيني ونعوته المذكورة نقلتها من نسخة كتبت فى ٢١ شهر رمضان سنة ٧١٢ هـ فى حياة مؤلفها . رأيتها فى (خزانة كوبريلى) برقم ١٠٧٨ وجاءت بعنوان (الدر الثمين) غلطا . الا أنه جاء فى غلافها انها لبدرالدين محمد بن شهبة الدمشقى والحال أنها كتب فى آخرها بقلم كاتبها صاحب الاصل أنها لابن قنينوا الاربلى بالوجه المذكور وترجمته فى المنهل الصافى بتفصيل زائد . قال : كان فقيها . دينا ،

---

(١) الدرر الكامنة ج٢ ص٣٢١ .

نحويا ، مدح الملوك وله النظم اللائق • ونقل بعض أبياته ، وقال : توفى فى اربل سنة ٧١٧ هـ – ١٣١٧ م عن ٩٧ سنة • وأضطربت النسخ فى ضبط اسمه ، والصواب ما قدمنا •

كتابه فى التاريخ :

جاء انه (خلاصة الذهب المسبوك المختصر من سير الملوك) • وهـذا العنوان مشكوك فيه والاولى أن يسمى تاريخ (ابن قنينوا) وهو جليل الفائدة ، موجز فى تاريخ الخلفاء يبتدىء من خلافة الوليد بن عبدالملك الى منتهى الدولة العباسية ولا تنكر فائدته ، ويميط اللثام عن صفحة تاريخية خافية • فهو على اختصاره مفيد جدا لولا انه طبع طبعة مغلوطة جدا ، وهى كما يظهـر من وضعها منقولة عينا من نسخة كوبريلى الا أن غلط الناسخ أفسدها ، طبعت فى بيروت سنة ١٨٨٥ م بمطبعة القديس جاورجيوس ، ويجب أن يرجع الى الاصل • وفى الخزانة الزكية نسـخة ورد ذكرها فى مجـلة المقتبس (ج٧ ص٤٠٠) ومن المقطوع به أن هذا الكتاب هو موضوع بحثنا بعينه • ومن راجع الأثر ووصفه لا يرتاب فى صحته ، ولا يتردد أبدا • ويوضح هذا نفس النص قال :

« ومن مخطوطات هذه الخزانة قطعة من تاريخ الدولة الأموية من أول خلافة الوليد بن عبدالملك الى انقراض الدولة العباسية • ويظهر ان المؤلف كتب كتابه عقب انقراض الدولة العباسية مباشرة لانه يشير الى شيخه استاذه ابن الانجب الساعى ..» اهـ ،والظاهر انها منقولة من نسخة كوبريلى ومر الـكلام عليهـا •

وكانت ترجمته غير معروفة ، فلم يبق الآن خفاء فيها وقد علم الآن بعض الشىء عن حياة المؤلف وهو ينبىء عن مهمات الحوادث •

١٨ ـ رشيد الدين فضل الله

اذا كان استعراض حياة الشخص ، أو الامة ، أو القطر التاريخ بعينه ، فلا ريب أن هذه الحياة لا تظهر جليا الا بوقائعها ، وملامسـة تطـوراتها ،

وسائر ما تيسر معرفته من أمورها • لتكون صحيحة لا تداخلها أوهام ، وليست من نوع لمحة السائح ، أو لفتة المستعجل ، لا تخلو من زلل •

لا يزال التاريخ ناقصا لم يدون جميع الاعمال أو التطورات فى مختلف الازمان كما هو المطلوب ، وانما هو سجل بعض المهمات تتخلل صفحاته فترات أو فجوات ساحقة ، وأى أمة عرفت صفحات حياتها من أولها الى آخرها ؟ ، وأى قطر ضبطت أخباره بحذافيرها ، فلم يفلت منها شىء ، ؟ ! ولكن لا يترك الميسور بالمعسور ، ولا يهمل ما عثر عليه من مهمات الشؤون •

يهمنا كثيرا أن نعرف هذه السجلات (كتب التاريخ) ، وان نتصل بها اتصال خبير • وبحثي يتناول أحد هذه السجلات ، فى وقائع دولة المغول وأوضاعها ، كتبه الخواجة رشيدالدين الهمذانى ، من مشاهير الوزراء فى هذه الدولة ، استكمل المعرفة فى علوم كثيرة ، وأدرك السياسة ومناحى الادارة ، وأتقن المجارى التاريخية لامة المغول ودولتها ، وبسط علاقاتها بنا •

ومن المعلوم ان أمة المغول أحدثت دويا عظيما ، وتاريخها متصل بنا لتفهم علاقاتنا بها ، وحياتنا معها لمدة من الزمن ، وكفى أن تمر بالموضوع مرا سريعا ونعين قيمته ، وما يلازمه من الوضع السياسى ، وهو غير منفك عنه •

لا يكفى أن نقول : هذا الرجل عظيم الأثر ، وافر المعرفة ، واسع الاطلاع ، وأنه مؤرخ قدير ، وعالم فاضل ، وسياسى خطير •• فكل واحد يحاول المعرفة أكثر • فقد جاء فى مقدمة كتابه (جامع التصانيف) انه الصاحب الاعظم ••• سلطان الوزراء والحكماء والعلماء • رشيدالدين فضل‌الله ابن المولى الصاحب عمادالدولة ابى الخير ابن المولى الصاحب موفق الدولة على[١] المتطبب الهمذانى المشتهر بـ (الرشيد الطبيب) • قال :

« صنفت غير هذا كتبا أخرى فى كل فن ، وكتبت من كل منها نسخا

---

(١) ورد أحيانا بلفظ (على) •• الا انه تكرر ذكره بلفظ (عالى) وجاء كذلك فى مؤلفات عديدة ••

كثيرة مفردة ، وكثير من الفضلاء قد طالعوها ، واستكتبوها لانفسهم وأمرنا بنسخ منها توضع فى أبواب برنا الواقعة فى تبريز الموسومة بـ (الربع الرشيدى) لينسخ منها من أراد ، وأيضا جعلنا بعضها فى جلد واحد مجموعة ، وبعضها منفردة ، ولما أردنا ان نضع صور الأقاليم على قاعدة الحكماء على وجه أقرب الى الفهم وأبين ، وان تضبط المواضيع التى لم يضبطها أحد كما ينبغى ، وان نفحص عن الولايات على وجه يستند الى مشاهدة الثقات وأرباب الخبرة والعيان . بحيث يقف المطالع المتأمل على أحوال المسالك والممالك ، وكان من الضرورة أن تكون أوراقها أكبر ليحصل الغرض المذكور أسهل وأيسر ، فلا جرم جعلنا أوراقها بحيث يكون كل منها مقدار ستة أطباق من القطع البغدادى المعهود ، ولما تيسر مثل ذلك ، أردنا أن نكتب جميع مصنفاتنا فى جلد واحد ليبقى تذكرة منا لمن بعدنا ، ولكى يعم نفعه العرب والعجم جعلنا كل ما هو بلغة الفرس معربا ، وكتبنا منها نسخا عربية مفردة ومجموعة ، وسمينا المجموع بـ (جامع التصانيف الرشيدى) ، لينسخ منها من يرغب فيها ، أو فى بعضها على الوجه الذى كتبته .. » اهـ .[١]

ومن ثم علمنا ما لقى المؤلف من العناء وكان يكفى أن يصده عن أى عمل آخر . قام بشؤون الوزارة ، والطب ، والمباحث العلمية ، ومن اهمها التاريخ العام ، والمعرفة الكاملة فى النواحى الاخرى ، واذا كان فى الاصل يهوديا فللانتقال مكانته من التفكير ، والاستدلال فى الاختيار ولا شك أن ذلك استوعب وقتا عزيزا . وفى هذا العهد نرى انقلابا علميا وتحولا فى العقيدة ، وتيارا عظيما أسلم المغول لما رأوا فى الاسلام من بساطة واحكام فاستهواهم لجهته ، وجذبهم بتعاليمه الحقة وثقافته فدعاهم للاذعان والقبول بل فتحهم فتحا جديدا ، وان كانوا قد استولوا على المملكة الاسلامية ، فليس بمستبعد أن يسلم مثل رشيدالدين ذلك المفكر الجامع للمعرفة ، وكل ما قاله المؤرخون

---

(١) جامع التواريخ : المقدمة . طبعة باريس .

أنه كان عطارا وطبيبا ، ولولا أنه طبيب لم يفكر فى العالم وتكوينه ، والفلسفة ومجاريها ، والآراء ومكانتها كما تأثر من طريق الاتصال بالمسلمين والاحتكاك بثقافتهم ، وتأثر بالاسلام فتناول هذه المطالب بالحاح وكتب فى موضوعها ، ونشط للتاريخ وتياراته ، وعرف السياسة وضروبها وأكمل أنواع الثقافة فى اسلامه ، وقام بأعمال البر تأكيدا لاعتقاده الجديد .

ومن المتوقع أنه كان كل ما عمل يعد محل الشبهة ، ولم يتلق بالقبول من منافسيه ، فلم ينظر اليه الا أنه كان يهوديا . وان كان تفادى فى سبيل الاسلام وفى عمارة المساجد ، وتوضيح مغازى الكتاب الكريم من ناحية الفلسفة والهاماتها ، وما تتطلبه العبادة وشؤونها .

اقوال المؤرخين فيه :

جاء فى كتب تاريخية عديدة نصوص كثيرة بمنزلة التقريظ لأثره والنعوت له من محبين ومبغضين ، ومن أناس مختلفين فى درجة اعتدادهم بما وصل اليهم علمه ، وفى هذه ما يعين عظمة الرجل وقدرته فى العلوم والتاريخ والادارة الحكيمة .

١ ـ فى المنهل الصافى . جاء أنه « فضل الله رشيد الدين ... الطبيب ، حكيم قازان[1] وطبيبه ونديمه ، بلغ فى أيام قازان من علو المنزلة ، ونفاذ الكلمة مبلغا عظيما ، وولى فى أيامه المناصب الجليلة ، ولما مات قازان ، وتولى (خربندا) من بعده استمر على ما هو عليه من الحرمة ، ونفاذ الكلمة الى ان مات (خربندا) فعزل عن مناصبه ووظائفه ، ودرأ عن نفسه بجملة كثيرة من المال ، ثم اتهم بقتل (خربندا) فطلب على البريد ، وشهد عليه الاطباء أنه سقى الملك مسهلا عقيب هيضة متلفة فزاده اسهالا ، فقتله . وصدقهم الرشيد على ذلك ،

---

(١) هو غازان ، وجاءت الآثار تنطق بالاثنين الا ان العجم يغلب عليهم أن يلفظوا القاف غينا . فشاع كذلك ، وفي النقود ورد اسمه « غازان محمود » . وكذا فى الكتب العربية .

وقال هو الصواب ، فقتل ، وحمل رأسه الى تبريز ، وطيف به أياما ، ثم قطعت أعضاؤه وحمل كل عضو الى بلد ، ثم أحرقت جثته ، وكان قد ناهز الثمانين . » اهـ .

٢ ـ فى تاريخ مفصل ايران : جاء فيه ما ترجمته : « كان جده موفق الدولة فى قلاع الملاحدة بقهستان ، وبعد ان سلمت هذه القلاع للمغول اتصل الخواجة بخدمتهم . (ومن هنا اتهم بالابطان وبعلوم الأوائل فى تفسيره) .

وفى أيام شبابه حصل فى همذان الفنون المختلفة وبالاخص الطب ، ودخل فى خدمة (اباقاخان) بعنوان طبيب ، وتعالى شأنه ، وولى الوزارة فى أيام غازان ، وفى أيام (اولجايتو) ، وابى سعيد .

وكان غازان الايلخانى عارفا بتاريخ المغول وأقوامهم أكثر من كل أحد متذوقا بذلك ، فدعا الخواجة رشيدالدين أن يكتب (تاريخ المغول) ، وزوده بأهل المعرفة ... فى التواريخ ، فأتمه سنة ٧١٠ هـ .

وكان الخواجة رشيدالدين عالما جامعا لعلوم جمة ، عارفا باللغات الايرانية ، والعربية ، والتركية ، والمغولية ، ثم أضاف اليه مؤلفات أخرى... مهمة تحتوى على نكات أدبية وتاريخية . وبذل الجهود فى نشر نسخ مما كتب ، واختار مصاعب فى سبيل حفظها ، فاحتاط للأمر كثيرا ، ومن جهة أخرى نقل جميع ما ألف الى اللغة العربية ، وكذا نقل مؤلفاته العربية الى الفارسية ليطلع عليها أهل كل لغة من هاتين اللغتين فيستفيد منها ، ولم يكتف بذلك بل اتخذ (الربع الرشيدى) ، وأضاف اليه مدرسة ودار شفاء ...

ومن المؤسف أنه بالرغم من كل هذه التحوطات تخرب هذا الربع مرتين احداهما أثر قتله ، والاخرى بعد قتل ابنه الخواجة غياث‌الدين ، فانتهبت الايدى ما فيه من نفائس ، وان النسخ المكتوبة اغتالتها الايدى الجاهلة أثناء الحروب ، وهلكت آثاره النفيسة بخلاف ما رغب الوزير .. » [١]

---

(١) تاريخ مفصل ايران : تأليف المرحوم الدكتور عباس اقبال ج١ ص٤٨٨ و٤٨٩ .

٣ ـ الدرر الكامنة : « كان عطارا يهوديا فاسلم ، واتصل بغازان فخدمه وتقدم عنده بالطب الى أن استوزره كان يناصح المسلمين ، ويذب عنهم ، ويسعى فى حقن دمائهم ، وله فى تبريز آثار عظيمة من البر ، وكان شديدا على من يعاديه أو ينتقصه ، ويثابر على هلاكه ، وكان متواضعا ، سخيا ، كثير البذل للعلماء والصلحاء ، وله تفسير القرآن فسره على طريقة الفلاسفة، فنسب الى الالحاد ، وقد احترقت تواليفه بعد قتله ، وكان نسب الى أنه تسبب فى قتل (خربندا) ملك التتار (الى أن يقول) استوزره (خربندا) وغازان وشغفا بعلمه وحكمه فى الممالك ، وبنى عدة من الخوانك (الخوانق جمع خانقاه) والمدارس ، وكان له من الاموال من كل جنس ونوع ، وعاش نحوا من ثمانين سنة . قال الذهبى وله رأى ودهاء ومروءة ، وكان الشيخ تاج‌الدين الأفضلى يذمه ويرميه بدين الأوائل ، وقدر عليه فصفح عنه .. » اهـ[١] .

وذكره الصقاعى فى كتابه (تابع الوفيات) وصاحب شذرات الذهب وابن الوردى وصاحب دستور الوزراء (فصل حياته فى ص٣٢١) وصاحب عقد الجمان وعيون التاريخ ودولتشاه السمرقندى فى تذكرته وكاتب جلبى فى تقويم التواريخ وغيرهم ..

والظاهر ان التحامل عليه كان من أهل الحزب المعارض له ، ومبناه التشويش عليه ، ولم تهدأ الفتن بين المغول وامرائهم ووزرائهم بل كانت مشتعلة ولكل مناصرون ومناوؤن . ولم يقف الحادث عند حدود قتل الوزير ، وانما اتهم ابن الخوام العراقى الحيسوب الطبيب بالكفر بسبب انه قرظ تفسير الوزير رشيدالدين فحمله الحاكم على الاسلام فاسلم ومن ثم حقن دمه .

وعلى كل حال كان هذا الوزير عضد الدولة الايمن ، تدابيره صائبة ،

---

(١) الدرر الكامنة ج٣ ص٢٣٢ وذيل جامع التواريخ ص٧٩ . وترجمة تاج‌الدين فى منتخب المختار ص٨٩ و (دانشمندان اذربيجان) ص٨٣ والدرر الكامنة ج٢ ص٣٤١ .

وآراؤه سديدة الا أن الزحام الحزبى والمنازعات القسية والحرص الزائد مما أودى بحياته .

مؤلفاته :

كنت ذكرت فى تاريخ العراق بين احتلالين بعض مؤلفاته نقلا عن الشمس الاصبهانى (١) . ولا شك أن قائمة مؤلفاته جاءت مفصلة فى كتابه (جامع التصانيف) ، وورد بيانها فى مقدمة جامع التواريخ باللغة العربية . وخصص لاستنساخ مؤلفاته الموحدة فى كتابه (المجموع الرشيدى) . ويطول بنا تفصيلها وهى مدونة باللغة العربية والفارسية .

جامع التواريخ :

وهذا التاريخ يقصر القول فيه كثيرا ، وربما تدعو الاطالة الى السأم ، وكفى أن نقول طابق اسمه مسماه ، لم يقف عند بيان دولة المغول ، وانما تجاوز ذلك الى التواريخ الاسلامية المعاصرة وغيرها وهكذا التواريخ الاخرى . كتبه باللغتين العربية والايرانية وفيه بيان فى الدولة المغولية ، ونهجها فى ادارتها ، ونحن فى حاجة الى معرفة (حياة الامة) لندرك وقائعها ونعلم الروابط وما ماثل .

ونحن اليوم لا يهمنا التأثر بالشعور ، وتهييج النفسيات بالكره للدولة الفاتحة ، وانما يدعونا الواجب أن نتعرف لطريقة الفتح ، والقوة التى ثارت بها ، وما اتخذ من تدابير لصدها وخذلان هذه التدابير ، ثم نتعرف لدرجة تدخل القوم فى الادارة ، وفى العلوم ، وفى الاقتصاديات ، وسائر مرافق الحياة . ويفيدنا كثيرا اتصالهم الدينى ، أو تاريخ العلاقات وتمكنها ، والشعور بالضعف ، فقد استعانت بنا لتأييد سلطتها كما استخدمت الاقليات لعين الغرض

---

(١) ترجمة صاحب منتخب المختار ص٢١٨ والدرر الكامنة ج٤ ص٣٢٧ وتوفى سنة ٧٤٩ هـ .

وتقوية ادارتها ، وتمكين حكمها • وكل هذه لا نجد تفصيلها فى كتاب ، ولكننا من مجموع هذه التواريخ ندرك هذه المغازى والاغراض ونقطع فى ادراك القوة والضعف وما يتعلق بهما من سياسة •

ومن أجل ما فى هذا الأثر انه أبدى صفحة ، وأعلن وجهة ، وتكتم فى الاغراض الا اننا نقرؤها واضحة ، فقد فتح نهجا ، مشى عليه من جاء بعده ، فاتخذ مثالا يحتذى • !

كانت السياسات المختلفة ، وتداول الايدى على العراق علمتنا آمال كل قبيل من الأمم مهما تكتم أصحابها فى اخفاء أمورهم ، وبالغوا فى الايهام ، والذى نفهمه من مراجعة هذا التاريخ وتواريخ غيره نقطع فى خطة المغول فى الادارة وانها ليس فيها تدخل كبير ، وانما لاحظوا الاستعانة فى الضعف ، وهكذا مضى العثمانيون على تلك الخطة • وان بالغوا ظاهرا فى تقريع المغول وذمّهم فى سياستهم الا انهم راعوها بتبديل فى الشكل قليلا وتابعهم غيرهم فى حالتى الضعف والقوة ، فهذا الكتاب كشف نوعا عن رموز السياسة وضروبها ، وأبان عن نوايا المسيطرين وخطط حكوماتهم • ولكن الموضوع وصف التاريخ لا التدخل فى أصل الموضوع • ولا شك ان ادارتهم كانت من أفضل الادارات بعد الادارة الاسلامية ، فهى مدنية صرفة ، وليس فيها تضييق •

وفى سنة ٧٠٠ هـ أمر السلطان غازان فى تدوينه وكان فى أول الأمر كتبه (فى المغول خاصة) وسماه (التاريخ المبارك الغازانى) ، وفى الاثناء وقبل اكمال تبييضه مات السلطان غازان محمود فى ١١ شوال سنة ٧٠٤ هـ ، وجلس مكانه أخوه اولجايتو المعروف بـ (محمد خدابنده) ، فأمر باتمامه ، وطلب أن يضم اليه تفاصيل ما فى كتب التاريخ ووصف الأقاليم وأهليها • ففعل وأتمه • وكان المجلد الاول واسطة العلاقة ، والأصل المعوّل عليه فى تاريخ المغول ، وأما المجلدات الاخرى فانها عامة وان كان يدخل فيها الموضوع من وجه •• قدمه لهذا السلطان فأكرمه عليه اكراما عظيما ••• بل ان جائزته

كانت أكبر جائزة عرفت من السلاطين السابقين . ولم يعهد ان بذل ملك ما بذله هذا السلطان فى خدمة التاريخ . والآن صارت الجماعات العلمية تقوم بما يشرف فى خدمة العلوم والتاريخ . الا اننا نقول : ان الدولة المغولية قامت بمناصرة العلوم النافعة ، وحمت العلماء وسهلت أمر الثقافة ، فتجدد النشاط حتى بلغ حده . ومن المؤسف أن بذل الغرب كل مرتخص وغال فى سبيل التحقيق عن تاريخ هؤلاء وسائر تواريخنا ، ولكننا أهملنا شأننا وكأننا لم تعد لنا علاقة بتاريخ قوم ساروا على نهج معنا مدة .

وعلى كل حال كتب تاريخ المغول بالاعتماد على وثائقهم ، واخبار علمائهم ، وتوفر له ما سهل الأخذ ، والقيام بأمر التدوين مالم يتوفر ويسهل لغيره . فكان واضحا فى بيانه ، جامعا فى مادته صادقا فى افادته واستقائه ، مما يتعلق بأصل الموضوع دون التوجيه ، وهو ذو الأدب الجم والثقافة الراقية الا أن عربيته كانت ركيكة ، ضعيفة . وكان بالنظر للمغول فى توجيه سياستهم فى عهد الانتقال الى الاسلام وتأثرهم به أدى عملا كبيرا ، وصارت له مكانته فى التوجيه المطلوب .

واذا تجاوزنا حدود الحزبية وغضضنا النظر عن اعدائه وما نددوا به قطعنا بان الرجل عظيم ، ويعد من أكابر المؤرخين ، وله مكانة معروفة ، وعلم واسع ، ولا ينقص من قدر تاريخه ما رآه من المساعدات فهو أكبر من قام بالتنظيم التاريخى حتى أخرج تاريخه الى حيز الوجود والتاريخ مبناه النقل والتنظيم . فزاد معرفتنا فى تاريخ أمة المغول ، فدون ما كنا نجهل .

طبع الجلد الاول من جامع التواريخ فى باريس سنة ١٨٣٦ م ومصدر بمقدمة فيها تفصيل عن الكتاب وعليه تعليقات مهمة جدا والجلد الثانى طبع فى ليدن سنة ١٣٢٩ هـ ـ ١٩١١ م بتصحيح الاستاذ (بلوشة) فى مطبعة بريل وهذا أيضا تعليقاته مهمة وطبع ثانية بمطبعة طلوع فى طهران سنة (١٩٣٥) . وهو مصور الا أن طبعه ليس بالمتقن ويبحث فى تاريخ سلاطين المغول وطبع فى طهران (التاريخ المبارك الغازانى) وهذه الكتب باللغة

الايرانية • وان تاريخه العربى كان مجهولا وعثرت على نسخة مخطوطة منه وهى (التاريخ المبارك الغازانى) • فكانت أعز شىء وأعددته للطبع • وفى باريس المجموعة الرشيدية بين كتبها العربية أما الفارسية منها فهى كثيرة النسخ فى خزائن الكتب العامة ، باستنبول وغيرها •••

التواريخ قبله :

مر بنا ذكر جماعة من المؤرخين ، وهؤلاء لا يوجد بينهم مغولى كتب تاريخ قومه ، ولا هناك من سار سيرة تاريخية للتعريف بهم الا عطا ملك الجوينى ، وبعضهم كتب شاهنامه فلم ينجح ، ولعل أول من أدرك ذلك السلطان محمود غازان ، وأمر أن يدون تاريخ قومه خصوصا أنهم قبلوا الاسلام وتكون حادث انتقال ••

منهجه التاريخى :

الكتب التاريخية فى معاصريه مشهودة فى الآثار التى وصلت الينا ، وغالبها يعين الوقائع أو الحكومات وأعمالها ، والعلماء وتراجمهم • ولكن المغول دخلوا المملكة الاسلامية ، فلم تكتب عنهم الا بعض المشاهدات ، أو المدح والاطراء من جهة ، والذم والتنديد من جهة أخرى والحالة كانت حربية ، والتخذيل من أهم دعاياتها •• وأول من بحث الجوينى الا ان عمله فردى وناقص • ولم يراع فى التاريخ أصل القوم ، وما هو معروف عنهم فيما بينهم ، فقام المترجم فأحدث تبدلا فى التاريخ وقدم نهجا جديدا ، أو أنه طبق المناهج الاسلامية على المغول ، واستخدم العلماء الكثيرين من الاويغور والصين ، والرجال العارفين منهم فدون عن قبائلهم ، وحياتهم الماضية ، ورجالهم المشاهير • ولم يقف عند حدود ذلك من تسجيل أحوالهم الجاهلية وانما دون علومهم ، ونباتاتهم الطبية ، فخدم تاريخ الطب ، وتاريخ العلوم وعرف بقوم لا عهد لنا بهم من طريقة تاريخية لا ينقصها

أمر ، ثم عين تاريخ اسلامهم وما قاموا به قبل ذلك من فتح ونضال فقام بعمل لو قام به جماعة لم يوفوه حقه •

وكان هذا العمل كافيا أن يلهيه ، ويصرفه عن القيام باعباء الوزارة ، وعن العلوم الاخرى من فلسفة وطب ، ودين ، وتواريخ ، فان مكانته الطبية قدمته للوزارة وسهلت له فى الوقت نفسه مكانته التاريخية ، ومقدرته تظهر فى تاريخه ، وهو أعظم أثر له كما ظهرت مواهبه فى طبه وتجديده بل فتح فتحا موفقا لتاريخ الطب • واذا كان استخدم جماعة استعان بهم من العارفين ، ويعدون لجنة علمية تكونت بأمر السلطان ، وتولى رئاستها ، فهو قد كتبه بنفسه ، أما اولئك فاحضروا المادة وكانوا بمنزلة آلة ، أو قل مادة الكاتب ، ومرجع التاريخ المنوى عمله • فكان التوجيه ، والتأليف من عمله ، فهو المنظم المرتب بل هو المؤلف • والوقائع لا يد للمؤرخ فى ايجادها وتكوينها ، وانما دون ما جرى وسجل ما عرف ••

واذا كان كتب كثيرون ، فلم ينجح أحد قبله النجاح المطلوب ، ولا أعجبت الطريقة المسلوكة ، فلا شك أن تاريخ المغول بانتظار هذا الرجل فلم يبلغ أحد مكانته ، ولا أدرك غايته • فكان التاريخ نصيبه وحده ، ففاق فى أمر التفكير لاعداد أثر تاريخى مقبول ، فوجد نقصا فى تواريخ أسلافه من نواح عديدة • فاكملها •

ومما أورده من الاسباب فى التدوين انه رأى الدول الماضية فى العراق وايران أبقت أثرا مشهورا ، وعملا محسوسا فى التاريخ ، وسجلت أعمالها ، فكان لها الذكر المعلوم ، فليس من الصواب أن يبقى المغول بلا تاريخ فى حين أنهم أحدثوا دويا فى العالم الاسلامي وغيره ، وهزوا العالم هزة عنيفة بتيار كهربائى ، أو أنهم نبهوه من غفلة كانت قد اصابته ، أو غفوة انتابته •• فمن الضرورى أن يذكروا بين الملوك السابقين ، ويعدوا فى عدادهم •• قال : عملوا أكثر ، واشغلوا العالم فى كثير من أقطاره فلا يصح أن يهمل شأنهم •

نعم انهم ساروا بقسوة وحكمة معا ، فكل كان له محله من العقل والتدبير مما لم يكن مألوف الناس بل كانت القسوة غالبة ، ومعروفة ، واستولى الخوف والهلع على الاقوام ، فنالهم الرعب والرهبة .. وبعد ذلك قبلوا الاسلام ، فولدوا حدثا عظيما فصار لاسلامهم نشاط وجدة ، بل كان أثره أكبر من الفتوح ، وعد لملوكهم الأثر المرضى فى الاسلام فحادث هذا التبدل عظيم فى النفوس ، وتهم معرفته فكان جديرا بالتدوين ، قبل أن ينسى سواء فى جاهليتهم أو اسلامهم ..

قام مترجمنا بالمهمة ، فعرفنا بتاريخ امة كانت بعيدة عنا ، وليس لنا علاقة بها ، فدون ما عرف ، وذكر حوادثها ، فسد فراغا ، أو ثلمة كبيرة لم تستطع أن تقوم بها المؤلفات الاخرى ، وعلى كل للزمن حكمه ، وللثقافة التى تمكنت موقعها فظهر أمثال هذا الرجل ، فجاء أثره الخالد غرة فى جبين الدهر ، ولا يزال من خير ما كتب فى التاريخ الخاص .

ذيل جامع التواريخ :

ان (جامع التواريخ) جليل الفائدة ، انتفع به الناس لا يحصون ، وأصابه الحسد من آخرين ، وان عنايته لم تقتصر على اهتمام مؤلفه به وانما تجاوزته الى غيره ، ونال رغبة واهتماما من علماء عديدين حتى بعد سخط حكومته عليه وقتله وضياع أكثر نسخ تاريخه حتى ظن الكثير انه فقد ، وناله ما نال مؤلفه . ولكنه كتب له البقاء واكتسب التخليد .

و (ذيل جامع التواريخ) يتناول باقى أيام دولة المغول بذكر أحوال السلطان محمد خدابنده ، وابنه السلطان ابى سعيد ، وأتم مؤلفه عصر المغول الى آخر أيامهم . وهذه النسخة كتبت أيام شاهرخ بن تيمورلنك ، جعلت ذيلا على جامع التواريخ ، وبين مؤلفها انه كان نديم السلطان فى قصص الاخبار ، يسمر له فى التواريخ ووقائعها ، ويعتمد جامع التواريخ فأمره السلطان أن يكتب له ذيلا فى أحوال باقى سلاطين المغول المذكورين ،

ويؤسفنا أن عثرنا على جملة نسخ فقد شاهدت في مكتبة (فينة) نسخة برقم ٣٢٧ ، وليس فيها اسم المؤلف ، ووجدت أخرى في استنبول في خزانة كتب نور عثمانية برقم ٣٢٧١ قال مؤلفها رأيت أن اتم الحوادث ، ليكون ذيلا لجامع التواريخ ، وجمعت الحوادث من كتب متفرقة وانا وان كنت لست من رجال هذا الميدان الا ان ما شجع به الاخوان أكبر باعث ، وارجو اصلاح الخطأ والغلط مما لا يخلو منه امرؤ ... بدأ من حيث انتهى المترجم ، ففصل تفصيلا زائدا ، وذكر الملوك المعاصرين حتى انهى أخبار أبي سعيد ، وختم أخباره ، وبه أتم الكتاب وعدد أوراقه ٧٧ وخطه واضح ، والبحث مستوفى .. الا انه سمي بـ (جامع التواريخ) في حين انه ذيله .

وكنت قلت في تاريخ العراق ان الاحتمال مصروف الى ان المؤلف أحد نديمي الملك شاهرخ وهما (حافظ أبرو) و (شرف الدين اليزدي) . ومنهم من قال ان مؤلفه مسعود بن عبدالله ، وانه انتهى من تأليفه في رجب سنة ٨٣٧ هـ . وليس لدينا سند يعول عليه[1] .

ولم تمض مدة حتى زال الشك ، فتعين انه حافظ أبرو بظهور (ذيل جامع التواريخ) في نسخ أخرى في مختلف خزائن الكتب ، وسارعت ايران لطبعه في سنة ١٣١٧ ش . هـ - ١٩٣٩ في طهران طبعا متقنا ونفيسا ، نشره الاستاذ الفاضل الدكتور خنبابا البياني واعتمد نسخا كثيرة وعين مواطنها الا انه لم يتعرض لما ذكرت من نسخ وعلى كل حال جاء هذا الذيل مكملا للتاريخ المذكور . وهو من تأليف شهاب الدين عبدالله ابن لطف الله بن عبدالرشيد الخوافي المدعو بـ (حافظ أبرو) مؤلف (زبدة التواريخ) المتوفى في ٣ شوال سنة ٨٣٤ هـ وكان شاهد وقائع تيمور من سنة ٧٨٨ هـ ، ومن ذلك التاريخ اكتسب خبرة ، ومكانة ، وبصيرة ويعد من أفاضل المؤرخين وله تاليف عديدة في التاريخ . وذيل جامع التواريخ هذا ألفه سنة ٨٢٠ هـ .

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج١ ص٢٠ و٢١ .

ظهر لى من الافادة المنقولة عن الذيل الاول ان هذا الكتاب هو ذاك بعينه ، الا ان مؤلفه وصل لحوادثه ، والبيان متوافق ، واللهجة واحدة • وأيام السلطان عين تلك الايام الا انه أتم حوادثه ، واكمل ما فيه الى ان بلغ حوادث سنة ٧٨٨ هـ وأوضح ناشره النسخ وما وقفت عنده من الحوادث • فلم يبق ريب فى ان المؤلف عين المؤلف ، والاسباب الباعثة للتأليف عين تلك ، ولعل الايام تكشف الامر أكثر ، فيزول كل ابهام •

التواريخ بعده :

وجاءت آثار تاريخية بعده متأثرة بجامع التواريخ ، لخصت مباحثه وأخذت منه ، واتمت ما جاء بعدها حتى وصلت الى أيامها • ومن ذلك (تاريخ وصّاف) ، و (تاريخ گزيدة) و (شمس شهنامة) و (روضة الصفا) ، و(حبيب السير) • والتأثر بالاسلوب والمنهج مشهود وكذا المادة • وممن تأثر بهذا التاريخ ابو الغازى بهادرخان • اعتمده فى كتابه (شجرة الترك) • وكانت عنده نحو ثلاثين نسخة منه ليقابل الاعلام فيها ولكنه لم يستطع أن يعول على واحدة منها فى ضبط الالفاظ خصوصا ما يتعلق باسماء الجبال ، والاودية ، أو الارضين ، أو اسماء المغول أو الترك ، استنسخها عجم أو مستعجمون ممن لم يعرفوا اللغة ، قال : لو كررنا الالفاظ المغولية على هؤلاء مرات عديدة لا يستقيم لسانهم أن ينطق بصحة التلفظ بها ، فذهب أبو الغازى الى مملكة المغول الى(قالموق) ليدرس لغتهم ، ويتلقاها من أهلهالتكون خالية من المسخومن صعوبة النطق ، وقضى سنة لتعلمها ومعرفة عادات أهلها ، فكان قد عانى فى سبيل ذلك المشاق •

ومن هذا كله نعلم الاهتمام بـ (جامع التواريخ) ، وكان حادث ضياعه كبيرا لو لم نجد منه الا بعض النسخ ، ولعل العربية منه لا توجد منها الا بعض النسخ • الجزء الاول والثانى ، ولم نقف على بقية الاجزاء بعد ولكن النسخ الفارسية منتشرة فى خزائن الكتب •

ولن أمضى دون أن أشير الى درجة تاثير هذا التاريخ على المؤرخين العرب خارج العراق ، فقد أخذ العمرى صاحب مسالك الابصار عن الشمس الاصبهانى ، وهو شمس‌الدين الاصولى ، وكان ورد بغداد أربع مرات ، وقص تاريخها ، كما انه شرح هو ونظام‌الدين الحكيم أحوال رشيدالدين ، ووصفا تاريخه ، وعينا مكانته ، ونقلا عنه ما كان فى عصره ، واستمرا بالحوادث حتى أيامهما • ونقل ترجمة رشيدالدين عن الاربلى ، والشمس الاصبهانى ، وذكر أعماله ، وبين ان والده مات على اليهودية وهو أسلم وسر بمصرعه خلق ، وتوجع آخرون •

ومن ثم نرى العلاقة التاريخية ، والاتصال المستمر حتى فى هذه الايام التى كان التوتر بين المغول والمصريين بلغ أشده • وكان المؤرخون العرب ينقلون عن مؤرخى العراق أثناء الرحلات الدينية (الحج) ، والعلمية ، أو السفارات الى الشرق أو الى الدولة المصرية • فلم ينقطع الاتصال ، ويصح ان نعد من العراقيين ابا الخير سعيدا الدهلى ، فنضيفه الى من ذكر ، وربما صح ان نقول بوجه العموم ان تاريخ العراق لحقبة المغول نقله المصريون والشاميون عن العراقيين ويعد من هؤلاء شمس‌الدين الجزرى ، والبرزالى وابن فضل‌الله العمرى وابن رافع السلامى ، والتقى الفاسي ، والسخاوى صاحب الضوء اللامع • وفى التاريخ السياسى يعول على تاريخ رشيدالدين (جامع التواريخ) وعلى أمثاله ممن اعتمده أو أخذ منه • مثل الصفدى ، والنويرى ، وغيرهما وان كان تاريخ العراق قد أخذ خاصة عن عراقيين أمثال ابى الخير الدهلى ، والعاقولى وتولى تدوينه مصريون وشاميون • والاسباب معلومة والحالات واضحة فى النضال على السلطة الا اننا نقول ان هؤلاء مثلوا الآراء المتعاكسة ، والحزبيات وأصحابها ، وزاولوا امورا كان العراقيون متأثرين بها • وان تصحيح المجرى التاريخى يتعين من وجوه أخرى اهمها مقابلة هذه النصوص • ومطالعة الحالة بعد هدوء الزوابع •

النقـد الموجه عليـه :

لا يخلو كتاب من نقد ، ولا تنكر الفائدة في غالب الاحيان ، وليس من الانصاف أن نورد الآراء فيه أو ما قيل من نقد قبل أن نذكر نصا لابن الفوطى ورد في تلخيص معجم الالقاب طبعة الهند .

قال :

« كافي‌الدين ابو الفضائل عمر بن محمد بن محمود الخرسان الرخّي المستوفي الوزير . ذكره شيخنا الصاحب السعيد علاءالدين ابو المظفر عطا ملك بن محمد بن محمد الجويني في كتاب جهان‌كشا من تصنيفه الذى كتبه في سيرة المغول . وأين هذا الكتاب من كتاب (جامع التواريخ) الذى صنفه شيخنا الحكيم الفاضل والوزير الكامل رشيدالدين ابو الفضائل فضل‌الله ابن ابى الخير بن علي الهمذاني .

وكان كافي‌الدين كاتبا مجيدا . » اهـ[1] .

١ ـ قالوا لا يد له في مادته ، وانما استعان بعلماء وفضلاء من الصين والمغول وسائر أرباب الثقافات . وفساد هذا القول ظاهر ، فالمرء في مثل هذه الحالة لا يطلب منه أكثر من النقل الصحيح والتنظيم والترتيب ، وكفاه فخرا انه لم يزاول عمله أحد قبله الا وكان النقص باديا في أثره . بل كانوا زاولوا الامر الا انهم لم يقفوا على ما وقف عليه الرجل ، فلم تتيسر لهم من الوثائق ما تيسر له . والكسالى والمثبطون أرباب النقد كثيرون ، لم يخل منهم عصر ، والواجب على أمثال هؤلاء أن يكموا أفواههم ، ويستروا عوارهم .

٢ ـ التشنيع عليه بمثل ما مر لم يقلل من شأن أثره ، هناك من قال انه يهودى ولا يخلو من دس ، ولم يعينوا مكان الغلط أو الدس ، فالدين السابق لا يكون جريرة على المرء وهذا لا يقل تفاهة عما سبق ، اذ لم يوجد ما يستدعي الدعوة الى دين سابق .

---

(١) تلخيص مجمع الالقاب ج١ ص٢٩ طبعة الهند .

٣ ـ غلط الاعلام ، وهذا أول ما سمعناه من ابى الغازى بهادرخان فى كتابه (شجرة الترك) فتأثر به • وغلط مثل هذا قد تمكن الاستاذ ابو الغازى من اصلاحه • ولكن باب النقد العلمى غير البخس بالعمل والاستهانة به ، فالكتاب دخلته أغلاط نساخ ، ومن جهة أخرى الايرانى أو العربى لا يستطيع ان يلفظ الكلمة المغولية •• ويهمنا فى هذه الحالة ان ننظر الى اعلام المغول ، فنرى مؤرخينا اختلف نطقهم بها ، فكان النقل عنهم مختلفا ، بالاضافة الى اختلاف اللهجات فى اللفظ • وقد بذل المترجم فى التحقيق ، ووقف وقفة للمقابلات والتصحيحات •

٤ ـ السياسة التى نهجها ، ويقال عن هذه بالنظر لحكومته كانت خير سياسة وان كانت فى نظر العرب مضرة • وتأثر بها كثير من الفاتحين من جهات • ومع هذا كانت أفضل سياسة للامم التى تحت سلطان الاجنبى بعد ادارة الاسلام •

ولا يخلو الامر من هفوة فى قطع العلاقة بين مصر والمغول ولكن بعد مدة ادرك المغول خطأهم وما ولدوا من نفرة الاهلين •

٥ ـ نقص أحدثته الايام • وهو الاحتياج الى معرفة الوقائع بعده ، واطرادها لما تعاقب من الازمنة التالية • فظهر ذيل عليه مضى الى مدة تكاد تستغرق عهد المغول والدول المتفرعة منهم •

وعلى كل حال نال هذا التاريخ مكانة كبيرة وشهرة عظيمة • واعتمده الشرق والغرب فى تاريخ المغول والاسلام ••

وزارته :

وهذه جلبت عليه سخطا كبيرا ، بل اودت بحياته ، وقد مرت بعض النصوص عن حياته بالنقل عن مؤرخين عديدين الا اننا نقول هنا انه تقدم من طريق الطب ، وأسلم وعمره ثلاثون سنة أى قبل اسلام المغول حوالى سنة ٦٧٠ هـ • وعاش نحو ثمانين ، وكان قد تزود بالفلسفة وغالب اطباء

كانوا فلاسفة .. ولا شك انه تأثر فى الاشتغال بها والانهماك فيها بعد اسلامه لما حدث من تغير فى حياته ، فصار ينظر فى العالم وتكوينه . والفلسفة ومجاريها والآراء ومكانتها ، ثم انه وجد أعظم مفسر للحالات الاجتماعية والتاريخ وتياراته ، ومنه عرف السياسة ومجاريها . فكمل أنواع الثقافة فى اسلامه .

جلبت الوزارة السخط عليه ، وكان يفسر كل عمل من أعماله بما ينبىء عن يهوديته فيحمل على غير محمله ، أو يكون محل الشبهة ، فلم يؤخذ بالقبول ، أو يتلقى برضى تام حتى ما يتعلق بأعمال البر ، وبتفاديه فى سبيل الاسلام ، وفى توضيح مغازى الكتاب المحتاج دوما الى ثقافة شاملة لادراك أحكامه ..!

يعمل لصالح الاسلام ، فيؤول فى غير محله ، ويصرف الى غير نية الخير .. فكان للحسد ، وللتطلع الى المناصب التى نالها ، والحزبية القوية وتياراتها فاتخذت وسيلة للوقيعة به .

وهذا قطب الدين الشيرازى[١] وهو من أكابر العلماء فى الطب والفلسفة والكلام قد جاء من طريق المداعبة ، فكانت قسوته فيه مؤلمة ، ويعلم ان وراءه من يناصره ، وفى الوقت نفسه يظهر معاشرته على دخل ، وكان اخلاصه لغيره .. قال ابن الفوطى :

« وكان ـ القطب الشيرازى ـ دائم الفكر والكتابة ، لم يخل القلم من يده ، وكان الناس يجتمعون اليه ويقتبسون من فوائده ، وكان مزاحا طيب المحاورة ، لطيف المحاضرة ، كريم الاخلاق ولما عرف ان الخواجا رشيدالدين ... قد شرع فى تفسير القرآن المجيد قال لاصحابه :

---

(١) ترجمته فى منتخب المختار ص٢١٩ وفى السلوك ج٢ قسم١ ص٩٧ ، وفى شيرازنامة ص١٤٥ ، وكتاب الفلاكة والمفلوكين ص٧٣ وقائمة كتبه فى مجلة المقتبس ج٢ ص٣ .

ـ وانا اهتممت فى تفسير التوراة ! واخذ فى تحصيل ذلك •

ولما سمع بأنه كتب رسالة فى قوله عز وجل حكاية عن الملائكة (قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا) قال :

ـ يجب أن يقف على قوله تعالى « لا علم لنا» •

ولما عمر المسجد بظاهر تبريز ، واستدعاه مع جماعة من اصحابه ، وحضر مولانا أصيل الدين الحسن ابن مولانا نصيرالدين ، وكنت يومئذ فى خدمته سنة ٧٠٦ هـ وقد خسر على محراب المسجد جملة وافرة من المال ، واخذوا يصفون المحراب ، قال مولانا قطب‌الدين :

ـ ما فيه عيب الا ان قبلته منحرفة الى جهة المغرب

وكان ينكت بمثل هذه النكات وهو فى أوج عظمة ، مقرب عند السلطان الماضى غازان محمود بن أرغون بن اباقا بن هولاكو بن تولى بن جنكزخان ••• الى آخر ما جاء[1] •

ـ عاداه كثيرون لا ليهوديته ومحاسبته عليها ، وانما كانت لمناصبه الجليلة وشهرته الغظيمة ، ومزاحمته فى وزارته ، فاتخذت ديانته السابقة ذريعة لتضليل الرأى العام ، وتوجيه التيار عليه •! ولا يقصد الا ازاحته من منصبه • والاغراض أمراض ••

وعلى كل حال لم تخرج وزارته عن الوزارات قبله وبعده ، كانت عواقبها القتل والتدمير ، وكان هو وابنه شهداءها ، والمعارضات والحزبيات فيها قاسية جدا •

واكبر عامل للقضاء على الوزراء أمراء الدولة وزحامهم فيما بينهم • فكان نصيب هذا الوزير القتل ، اتهم بسم السلطان خدابنده •• قال

---

(١) منتخب المختار ص٢٢١ وفيه ورد غازان بن محمود وليس بصواب •

(حافظ ابرو) ، ولم تمض مدة سنة حتى أصاب المغرين بقتله حتفهم ، ونالوا عقابهم ، وان السلطان أبا سعيد حينما جعل غياث‌الدين محمد ابن الخواجة رشيدالدين ابدى أن شؤون الوزارة اضطربت بعد والدك فلم يكن من هو أهل لهذا المنصب ، وحصل عليه بجدارة • وكأنه يريد أن يقول : حرضونى على القتل فأخطأت بمتابعة رأيهم ، ولعل فى حوادث الخواجة سعدالدين • وحوادث تاج‌الدين علي شاه ما يبصر أكثر • وهذا من مباحث أصل تاريخ المغول ••

١٩ - ابو القاسم القاشانى

هو أبو القاسم عبدالله بن محمد القاشانى أو الكاشى ، مؤلف (تاريخ الجايتو محمد خدابنده) ويعرف بـ (تاريخ الجايتو) وبـ (زبدة التواريخ) ، وكان تأليفه أيام صاحب (تجارب السلف) ، ونعته بملك الافاضل ، وقدوة المؤرخين ونقل عنه بعض الاخبار[1] وتاريخه من خير التواريخ الفارسية لمعرفة المجرى السياسى فى عهد المغول ، وتاريخ ادارتهم وما داخلها من الحزبيات ••• وذكر حوادث تستحق العناية ، ولا يخلو من ميل الى بعض الحزبيات والانتصار لها • قدم مادة تاريخية وافرة ، وغزيرة لايضاح العهد ونعت المترجم كتابه بـ (تاريخ بادشاه سعيد غياث‌الدين اولجايتو سلطان محمد) •

والكتاب أشبه بجريدة سياسية تراعي أقصى حد ممكن من الدقة ، وملاحظة الاوضاع ، كتبه لعهد هذا السلطان ، فأبان عن قدرة وكفاءة فى البيان وفى تعيين الاتجاه وما يعاكسه ، ولا شك انه يعرف ذلك من بياناته •• فكان قدوة العصر التالى ، وصار عمدة (حافظ أبرو) وأمثاله من مشاهير المؤرخين ••

كتب تاريخه أيام الجايتو ، ولم يتمه الا فى أيام السلطان أبى سعيد وتعرض فيه لوقائع سنة ٧١٨ هـ ، ويصلح أن يعد ذيلا لجامع التواريخ ، قال

---

(١) تجارب السلف ص٣٢٥ •

الاستاذ م . شمس‌الدين فى كتابه (اسلامده تاريخ ومؤرخلر) ان نسخته الوحيدة فى خزانة أيا صوفيا باستنبول ، وان (شارل شه‌فر) استنسخها وهى الموجودة فى خزانة الكتب الاهلية فى باريس برقم ١٤٤٣ ودققها الاستاذ (بلوشه) فوجد فيها أغلاطا كثيرة نبه عليها فمن الضرورى الاستعجال بطبعه، وانقاذها من الضياع .[1]

وعلى كل حال ان الجدال بين وزراء المغول يتعين أكثر فى هذا الكتاب وبطل الحوادث الخواجة رشيدالدين .

٣٠ - ابن الفوطى

كانت له المكانة المقبولة بين رجال التاريخ وشاع النقل عنه ، وانتشرت آثاره فى حياته ، والعراق وان كان ظهر فيه مؤرخون أفاضل الا انه لم يحل احد محله . وبمثله اكتسب التاريخ نهجا مقبولا ، وطريقة متبعة ، الا ان المؤسف أن تواريخه ضاعت بسبب ما ألهى من الحوادث ، فحصلت غفلة عن آثاره . كغيره من مؤلفات السلف .

وفى العراق ظهر مؤرخون كانوا من أرباب القدرة العلمية والكفاءة اللائقة خلدوا آثارا عديدة ، والتاريخ فى رجاله ، وفى صفحاته المختلفة لا يصح أن يقتصر على واحد ، أو يقف عند نابغة ، أو عظيم من عظمائه ، فهو فى تحول وتجدد أبدا ، ولما كانت تصاريف الايام غير منقطعة ، وحوادثها دائبة ، فالحاجة مستمرة دائما وفى ضرورة قطعية الى مؤرخ ينهج على خطة جديدة ، ويبتدع طريقة قويمة تعدل فى المناهج والخطط . ونصيب العراق بسبب حوادثه كبير فى رجاله المؤرخين ، وغني فى تعدد أساليبهم ، ووافر المـادة .

لا نستطيع أن نحصر المواهب ، أو نقيد العقول ، فنقول وقف التاريخ عند فلان ، أو أن فلانا اكسب التاريخ وضعا لا يتغير ، فبابه لا يزال مفتوحا ، ويتولى النوابغ فيه بين حين وآخر .

---

(١) اسلامده تاريخ ومؤرخلر ص٣٠٠ .

ومما يؤسف له ان آثار الكثيرين ذهبت ضياعا ، أو لا تزال فى طى الكتمان مهملة ، ولم ينقطع تدوين التاريخ فى العراق ، ولا أهمل شأنه مادام فيه للأدب مكانة ، وللعلم قيمة ، وللحوادث أهمية وعصوره المختلفة تشهد بهذا التدوين ، الا أن القدرة تابعة دائما لثقافة العصر ، وقابليات ابنائه ٠

ومؤرخنا طبقت شهرته الآفاق ، ونال مكانة تغلبت نوعا على مكانة كثيرين ، ولو برزت آثاره لتجلت عظمته اكثر ، دعاه ابن كثير بـ (الامام المؤرخ) ، وسماه آخرون بـ (مؤرخ العراق) وجاء فى الشذرات مؤرخ الآفاق العالم المتكلم ، كمال الدين عبدالرزاق بن احمد بن عمر ابن ابى العالى محمد بن محمود بن احمد بن محمد بن أبى العالى الفضل ابن العباس ابن عبدالله بن معن بن زائدة الشيبانى المروزي الاصل البغدادي الاخبارى الكاتب المؤرخ الحنبلى ابن الصابونى المعروف بـ (ابن الفوطى[١]) ، وكان الفوطى المنسوب اليه المترجم جده لأمه ٠

ولد المترجم فى ١٧ المحرم سنة ٦٤٢ هـ بدار الخلافة من بغداد ، وسمع بها محى الدين ابن الجوزى ثم أسر فى واقعة بغداد ، وخلصه النصير الطوسى الفيلسوف وزير الملاحدة (كذا) ، فلازمه وأخذ عنه علوم الأوائل ، وبرع فى الفلسفة وغيرها وأمده بكتابة الزيج وغيره من علم النجوم ، واشتغل على غيره فى اللغة والأدب حتى برع ، ومهر فى التاريخ والشعر وأيام الناس ، وأقام بمراغة مدة ، ولى بها كتب الرصد بضع عشرة سنة وظفر بكتب نفيسه فيها ، وحصل من التواريخ ما لا مزيد عليه ، وسمع بها من المبارك ابن الخليفة المستعصم بالله سنة ٦٦٦ هـ ثم عاد الى بغداد ، وبقى بها الى أن مات[٢] ٣٠ المحرم سنة ٧٢٣ هـ ـ ١٣٢٣ م ٠

ولا يخلو كتاب معاصر أوتال من ذكره ، فكثير من المؤرخين تعرضوا

---

(١) جاء محركا نسبة الى بيع الفوط ، ومنهم من قال بالضم فالسكون نسبة الى الفوطة ٠ وهى معروفة تتلفع بها المرأة تستر بها جانبى رأسها وصدرها ٠ كذا فى (لسان العرب والتواريخ العديدة) ٠

(٢) الشذرات ج٦ ص٦٠ ـ ٦١ ٠

لذكره بالنقل منه ، أو بايراد ترجمته ، والكل أطنبوا فى الثناء عليه واتفقوا على قدرته العلميــة والتاريخية ٠ وان الاستاذ المؤرخ الذهبى طلب منـه أن يجيزه فى التاريخ فأجازه ونقل منه فى تاريخه الشىء الكثير ٠

وقال ابن كثير :

« ٠٠ أسر فى واقعة التتر ، ثم تخلص من الأسر ، فكان مشارفا على كتب المستنصرية ٠٠ وله مصنفات كثيرة ، وشعر حسن ٠٠ » اهـ[١] ٠

وقال صاحب عقد الجمان :

« الشيخ الامام الحافظ المحدث المؤرخ العلامة الاخبارى الأديب ٠٠ صاحب التصانيف ٠٠ وله شعر كثير بالعربى والعجمى ٠ أسر فى واقعة بغداد ، وسار الى النصير الطوسى واشتغل عليه بعلوم الاوائل وبرع فى الأدب والنظم والنثر ، ومهر فى التاريخ ، وكان قلمه سريعا مع خط بديع ٠٠ لهج بالتاريخ ، واطلع على كتب نفيسة ، ثم تحول الى بغداد ، وصار خازن كتب المستنصرية ، وأكب على التصنيف ، رحمه الله ٠ » اهـ[٢] ٠

ويطول تعداد ما قيل فيه ، وترجمته فى الدرر الكامنـة[٣] ، وفى تذكرة الحافظ وفى فوات الوفيات مثل ذلك ٠ وجاء وصف بعض مؤلفاته فى كشف الظنون ، وله خط بديع جدا ، ونظم مقبول ، وقدرة فى ترصيع التراجم ، وله بصر بالمنطق والحكمة ، ومواهب عديدة ٠

ومن مؤلفاته :

١ ــ تاريخه الكبير ٠ قال ابن كثير فى ٥٥ مجلدا ٠

٢ ــ مجمع الآداب فى معجم الاسماء على معجم الالقاب وتلخيصه ٠ يأتى الكلام عليهما ٠

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٤ ص ١٠٦ ٠
(٢) عقد الجمان ج٢٢ ص ٤٢٢ مخطوط ٠
(٣) الدرر الكامنة ج٢ ص٣٦٥ ٠

٣ – كتاب درر الأصداف فى غرر الأوصاف مرتب على وضع الوجود من المبدأ الى المعاد فى عشرين مجلدا ٠

٤ – كتاب المؤتلف والمختلف وهو المسمى (تلقيح الافهام عن تنقيح الاوهام) ٠

٥ – كتاب التاريخ على الحوادث من آدم الى خراب بغداد ٠

٦ – كتاب حوادث المائة السابعة الى أن مات ٠ والمطبوع ينسب اليه وهو المسمى الحوادث الجامعة ٠ وليس بصواب ٠ طبع سنة ١٣٥١ هـ – ١٩٣٣ م والنسخة الاصلية من كتب المرحوم الاستاذ احمد تيمور باشا فلا يصح بوجه نسبتها الى ابن الفوطى ٠ لم نر دليلا يدل على هذه النسبة ولم يذكر واقعة تدل على علاقته بها ولا تعرض لبعض الشخصيات التى لها صلة به ٠

وكل ما هنالك انه نقل عن ابن الساعى ، وعن الكازرونى ولم يبين رابطة بينه وبينهما وكل ما يمكن تفسيره انه جاء بعدهما ٠ ونراه قصر فى بعض التراجم البارزة فلم يتعرض لها ، ولم يذكر الحوادث المهمة منه وغاية ما نقوله انه لخصه وهو من أهل عصر تال ٠

٧ – كتاب الدرر الناصعة فى شعراء المائة السابعة ٠

٨ – معجم شيوخه ، وهذا الأثر يعين اساتذته الكثيرين ٠

٩ – ذيل تاريخ ابن الساعى ٠ كتب فيه الوقائع التالية له ، ألفه بأمر من عطا ملك الجوينى ٠

ولا يهمنا النقل عن مؤرخين عديدين ، ولا الاطالة فى تعداد كتبه أو تكرار مزاياه العلمية والادبية ٠ فهى أشهر من أن تذكر لما أحدثت من أثر طيب ٠ والمترجم اكتسب مزايا مؤهلة ، واخلاقا فاضلة ٠ ويصح أن يكون هذا أعظم وصف له ، كان مصورا يمثل الوقائع بدون تحسينات فلم

يكتب للارضاء ، ولا دون للمدح والاغراق • وانما تسلح بضروب الثقافات ، ليكون أهلا للحكم ••

وكنا نأمل أن نقف على جملة آثار له • تدعو الى المعرفة الصحيحة ، بل لو وقفنا على (معجم شيوخه) لعلمنا رجال العصر الذين أخذ عنهم ، وما زاول من معرفته ، ومن ثم تحصل لنا نتائج أكثر مما عندنا ، وكفى أن نعلم انه بعد أن أتم تحصيله مال الى العلم بكليته ، وتكاملت ثقافته فى خزانة كتب مراغة وفى الخزانة المستنصرية ولم يتجرد من الاختلاط بالعلماء بل ان مهمته قوت اتصاله بشخصيات عظيمة ربما عدلت فى آرائه كثيرا •

ويهمنا الكلام فى تلخيص مجمع الآداب فى معجم الالقاب خاصة لما له من الاهمية وهو من آثار ابن الفوطى قطعا ، والجزء الرابع منه نسخة فى الخزانة الظاهرية فى دمشق الشام ومصورها فى خزانة المتحف العراقي في بغداد الا ان هذه النسخة مشوشة الترتيب مبعثرة الاوراق فلا يوثق منهـا بسهولة • وهو من الكتب الجليلة يعرف برجال العراق وعلمائه وبعض حوادثه والأثر عظيم الفائدة ، كبير العائدة ، ولم يقتصر على عهد المغول الا انه يتعرض له كثيرا ، ويعتمد وثائق تاريخية كثيرة معاصرة ومن جملتها تاريخ ابن الساعى وتاريخ الكازرونى ، والمنشى النسوى ، وتاريخ أبى شامة •• وكتب لا تحصى •• مما يدل على اطلاع واسع ، وتتبع وافر ••

أتم التلخيص فى أواخر شعبان سنة ٧٢٢ هـ ، ولا شك انه لم يترك أثرا دون مطالعة ، ومعرفة بصاحبه وبالرجال المذكورين فيه ، فهو يحتاج فى تدوينه الى خزانة كتب بل الى خزائن كبيرة ويحتاج فى ترتيبه الى همة قعساء •• وفيه حكاية اتصاله بعلماء وادباء ، ورجال سياسة وفلسفة ، وكلام•• ولو كان موجودا كاملا لاغنى عن كتب عديدة ، فهو دائرة معارف تاريخية نافعة ، وكأنه بكتابه هذا أحضر المادة •• فهو مقطوع بأنه يعود لابن الفوطى والكتاب من أنفس ما عثر عليه من وجهة تاريخ العراق وان كان لا يقتصر على العراق

وحده بل يتناول الاقطار الاخرى • وأورد فى مواطن منه ذكر كتابه (نظم الدرر الناصعة فى شعراء المائة السابعة) •• والمؤلف لم يقتصر على الادباء وانما تناول الفقهاء والمتكلمين واشتمل على النصارى ، واليهود ايضا فقد ترجم جملة من هؤلآء كما انه عرف برجال المغول ••

وعثر فى الهند على مجلد من الاصل لا التلخيص ويبدأ بحرف الكاف والالف من (كتاب مجمع الآداب فى معجم الالقاب) طبع مفرقا فى مجلة Oriental College Magazine ويمضى فى اطراده الى ان تناول حرف الميم ابن ابى الحديد صاحب شرح نهج البلاغة منقولة من الاصل • ولا شك ان عمل مثل هذا الكتاب لا يتيسر لكل أحد فانه يحتاج الى مراجع كثيرة والى جلد وصبر لا مزيد عليهما • وهذه البقية الباقية من هذا الكتاب تحفة عظيمة خلدها الزمن • وتدل على قدرة مؤلفها وعلمه وكماله •

وجاء فى أولها انهـا تلخيص وفى أول البحث لا يذكـر التلخيص • والظاهر أنها الاصل •

أما مناقب بغداد فانه لم يعثر عليه فى قائمة كتبه • والكتاب معروف متداول فلا محـل للاطالة بذكـره لا سيما وقد جاء ذكـره فى كتب ابن الجوزى •

والحاصل ان فضيلة الرجل ظهرت فى أكبر الآثار وأجلها ، ونال مكانة فى التاريخ لا تجارى • ولا نغالى اذا قلنا انه من أكابر المؤرخين ، كشف عن صفحة من تاريخ العراق ، وابدى ما خفى مما تهم معرفته سواء كان بنقله من مؤرخين أو من مدونات ، فهو مؤرخ عظيم ، رفع رأس العراق عاليا بما خلده من آثار ، وفى الموجود دليل •• أخذ وقائع تاريخية عن اسـاتذته ومعاصريه ، فكان مدون الحوادث رأسا ، وأودعت اليه ولاية (كتابة التاريخ) بعد وفاة ابن الساعى المؤرخ •• وترجمته معروفة فى تواريخ عديدة •

٢١ - وصاف الحضرة

هو عبدالله بن فضل الله الشيرازى ، اشتهر بـ (وصاف الحضرة) من جراء أنه مدح السلطان الجايتو (محمد خدابنده) بقصيدة ، فلقبه بهذا اللقب ، فصار يعرف به .. وكان قد احتمى بالخواجة رشيدالدين ، فنال منه كل رعاية ، وبالتعبير الاولى استخدم أرباب المواهب أمثاله . وكان من الكتاب والشعراء عرف قبل أن يكتب تاريخه فكان من الرجال البارزين ، وقضى فى بغداد مدة طويلة اكتسب فى خلالها من الثقافة ما ساعد على ظهوره .

تاريخـه :

(تجربة الامصار وتزجية الاعصار) . وجاء فى كشف الظنـون انه (تجزية الامصار) . ويعرف بتاريخ وصاف .

وكان أثنى على علاءالدين وكتابه (جهانكشا) ونعته بصاحب القلم وادارة الملك ، وابدى أن أيام السلطان محمود غازان قد مضت بالعدل الشامل ، وعادت المملكة أشبه بجنة الخلد ، فرفع منار الاسلام ، وأزال الكفر والضلال، وأقام شعائر الدين وأسس المدارس والمساجد .. ولما انقضى من أيامه الى آخر شعبان سنة ٦٩٩ هـ ـ ١٣٠٠ م شرع فى تاريخه ، واستمر الى انتهاء أيامه فقص حوادث تستحق التدوين ، فصارت بمثابة تكملة لتاريخ الجوينى وفرغ من تأليفه فى شعبان سنة ٧١١ هـ ـ ١٣١٢ م الا أن المؤلف لم يقف عند حدود هذه السنة ، وانما استمر الى سنة ٧٢٨ هـ فزاد عليه . وختمه بمناقب السلطان ابى سعيد والدعاء له .

وفيه بحث مستفيض عن المغول فى ايران وتركستان وما وراء النهر ، فأظهر القدرة فى البيان ، والترصيعات الشعرية ، والاوصاف السلطانية ، فأبرز فيه من البلاغة ما يناسب عصره من سجع وتضمينات وأمثال وأبيات فارسية وعربية ، ويحوى أهم حوادث العراق ، كحادثة بغداد ، وبعض المخابرات السياسية والعلاقات الخارجية مما يخص أصل تاريخهم وغالب مؤرخى العراق

نقلوا منه حوادثه ، فهو مهم جدا ، وعندى نسخة خطية منه ، الا انهـا سقيمة الخط .

طبع فى بومبى على الحجر سنة ١٢٦٩ هـ – ١٨٥٣ م فى خمسة اجزاء ، وطبع الجلد الاول منه فى ايران ، ولكن المطبوع فى الهند لا يخلو من حواش لتفسير الفاظه ، وفى آخره (فرهنك لغات غريبه) أى حل اللغات الغريبة مرتبة على حروف الهجاء وغالبها مغولية وعربية .

ونال هذا الأثر عناية كبيرة من العلماء فمنهم من شرح الفاظه ، ومنهم من علق عليه ، ومنهم من ترجمه ، أو أجمل حوادثه ، أو نقل منـه بعض نصوصه فهو من الاهمية بمكان ، ولا يزال مرجعا من خير المراجع التاريخية، لا للعراق ، وايران ، بل للعلاقات الخارجية أيضا . ولم يكتبه للتاريخ وانما اتخذ التاريخ وسيلة فأبدى قدرة فى التحرير والبلاغة ولكنه مملوء فوائد تاريخية لا يستهان بها بوجه . فهو متقن من الناحيتين .

وممن أولاه هذه العناية (حسين أفندى آل نظمي[١]) البغدادي وكان من العلماء المعروفين فى أوائل القرن الثاني عشر الهجري . كتب اثرين على تاريخ وصاف :

١ – أوضح فيه لغاته المغلقة من عربية وفارسية وجغتائيـة ومغوليـة فترجمها الى اللغة التركية ، وفيه توضيح بعض البلدان العراقية ، ومنه نسخة فى خزانة أيا صوفيا باسم (ترجمة تاريخ وصّاف) برقم ٢١٥١ وعلاقته باللغة أكثر ، ومنه نسخة فى مكتبة (فينه) ، ويعد من علماء عصره فى اللغة ، ومن بيانه يعرف ما دخل العربية من الكلمات الدخيلة .

وهذه النسخة على ترتيب حروف الهجاء ، فهى لغة وصاف .

---

(١) كتبت فى لغـة العرب ج٨ ص٣٤٧ وما بعـدها ، تفصيلا عن مؤلفاته فى شرح تاريخ وصاف ..

٢ ـ ترجمة تاريخ وصاف ، وهذا منه نسخة رأيتها فى خزانة ولي أفندى باستنبول رقمها ٢٤٠٨ مجدولة فى مجلد ضخم يحوى ٤٥٦ ورقة بالقطع الكبير وسطور كل صفحة ٢٥ ، وفيه شرح عبارات وصاف على ترتيبها• اخذ كل جملة منه وترجمها الى التركية ، وأوضح مغلقها ، وبالغ فى هذا الايضاح ، ولو كان ترجم الكتاب رأسا لكانت خدمته أكبر •

وفى كتاب (عثمانلى مؤلفلرى) لم يتعرض الا للنسخة الاولى ، وذكر أن منها نسخة فى مكتبة بشير أغا ، والملحوظ أنه غلط فى الجمع بين مرتضى أفندى وحسين أفندى فجعلهما اسما واحدا فقال (نظمى زاده حسين مرتضى افندى) والحال ان مرتضى افندى أخو (حسين افندى) ، فعدد مؤلفات الاثنين فلم يعد يعرف ما يعود لكل واحد منهما وجاء فى (تذكرة سالم) بحث عن حسين افندى آل نظمى ، وعن ترجمة تاريخ وصاف • وممن اعتمد تاريخ وصّاف مرتضى آل نظمى صاحب (گلشن خلفا) فى حوادث بغداد •

هذا وقد استعنا به لتاريخ العراق السياسى والعلمى والادبى • ومن المؤسف اننا لم نقف على تاريخ وفاته ، وكأنه طوي ذكره بتاريخ انتهاء كتابه وكان كتب للارضاء ، ولكن الحوادث التاريخية لا شائبة فيها ، ويمكن تجريد الاطراء منه •

٢٢ ـ البناكتى

ان الثقافة العلمية أيام المغول نضجت فى أوائل القرن الثامن الهجرى، وتاريخهم ذو علاقة بنا وكذا بهم لتاريخ الاسلام والشرق ، وكان تدوين تاريخه متأخرا عن الخواجة رشيدالدين الهمذانى • وكل ما علمنا أنه (فخرالدين أبو سليمان داود بن أبى الفضل محمد البناكتى) •

وينسب الى مدينة من بلاد ما وراء النهر • وكان شاعرا مشهورا فى أيام السلطان غازان ولقبه (ملك الشعراء) ، ولم ينل المكانة لدى السلطان الجايتو وهو من المؤرخين المعدودين فى أيامه ،وكان عالما ، فاضلا ، أورد له

دولتشاه السمرقندى فى تذكرته مقطوعة من شعره ، واثنى عليه ، وأطنب فى ترجمته[١] • وذكر فى مؤلفات عديدة •

تاريخه :

(روضة أولى الألباب فى تواريخ الاكابر والانساب) ، ويعرف بـ (تاريخ البناكتى) ، وهو خلاصة تاريخ الخواجة رشيدالدين •

كتب تاريخه فى ٢٥ شوال ٧١٧ هـ ـ ١٣١٧ م ، وقدمه الى السلطان ابى سعيد وجعل المغول أربع طبقات ومضى فى تاريخه حتى جاء الى هولاكو ، وحكى استيلاءه على بغداد ، وفيه اتهم الوزير ابن العلقمى باشارة خفيفة استدلالا مما قيل (لحية الوزير طويلة) ، وحكى حكومة اباقا وحروبه مع الروم ، ووقائعه الاخرى ، ثم مضى الى السلطان أحمد تكودار ، ثم أرغون ، وفيه تكلم على شهادة شمس‌الدين الجوينى صاحب الديوان ، وهكذا مضى الى كيخا توخان ، وتكلم على عصيان بايدو ، ثم بحث فى السلطان غازان وجلوسه واسلامه ، وشهادة نوروز ، ثم التوجه الى بلاد الشام ووقائع أخرى وبين وفاته ، وذكر سلطنة محمد الجايتو ، وسلطنة أبى سعيد •• وفى الخاتمة ذكر مناقب أبى سعيد •

وعلى كل كان من الكتب المهمة لعصر المغول • ومنه نسخة فى مكتبة عاشر افندى باستنبول برقم ٢٥٤ وأخرى فى أيا صوفيا برقم ٣٠٢٦ ، وهـذه كتبت فى ٢٧ ربيع الاول سنة ٧٤٦ هـ وخطها جيد • وترجمت بعض أقسامه الى اللاتينية كما نقل الى اللغة التركية • وتوفي المؤلف فى سنة ٧٣٠ هـ ـ ١٣٢٩ م •

٢٣ ـ شمس الدين القاشانى

هو شمس‌الدين محمد القاشانى (القاساني) ، وجاء ذكره فى كشف

---

(١) تذكرة الشعراء : دولتشاه السمرقندى ص١٤٩ ـ ١٥٠ و (اسلامده تاريخ ومؤرخلو) ص٣١٤ ، وتاريخ مفصل ايران ص٥٢٠ •

الظنون ، وانه توفي نحو سنة ٧٣٠ هـ - ١٣٢٩ م .

وكتابه شمس شهنامة[١] . فى ما يناهز العشرة آلاف بيت . نظم بها الجلد الاول من جامع التواريخ ، وكان تدوين جامع التواريخ لهذا الغرض ليكون أصلا لنظم شهنامة فى مناقب الترك القدماء ، والمغول وسائر احوالهم يضارع الفردوسى .

أودع نظمها الى المترجم باسم (شمس شهنامة) . وقبلها كتب (الشهنامة المغولية) وصورها أبو الفضل أحمد بن بنجير نزيل الروم ، وفى كل ترجمة تخلص فى آخرها الى مدح السلطان هولاكو ، عرضها صاحبها اليه سنة ٦٦٠ هـ ، فقرر السلطان له المشاهرة الوافية ، قال ذلك فى تلخيص مجمع الآداب ، وان ابن الفوطي رأى هذه النسخة فى ثلاثة مجلدات بقطع النصف مصورة ، فى خزانة كتب الرصد فى مراغة .

وهذه الشهنامة ، وشمس شهنامة ، وظفر نامه لليزدى . كل هذه لم تنل الرغبة ولم تستطع أن تجارى الفردوسى فى شهنامته . لتحل محلها ولكنها تصلح أن تكون مرجعا تاريخيا .

٢٤ - ابو الفداء

ان العلوم والآداب لم تخل من تأثير على مختلف الطبقات ، وخير ما هنالك التأثير على الامراء والملوك فى مناصرة العلوم أو الاشتغال بها والملك المؤيد هو ابو الفداء اسماعيل ابن الملك الافضل على صاحب حماة ، وله تصانيف عديدة منها التاريخ المعروف بـ (تاريخ أبى الفداء) ، وهو عمدة فى اخباره الا ان اعلامه لم تضبط وقد لعبت بها ايدى النساخ . اعتمد تاريخ المنشىء النسوي المعروف بـ (سيرة منكبرتى) فى تاريخ المغول وعلاقتهم بخوارزمشاه ، فلخصه فى تاريخه وكان المرجع الوحيد الا انه قد عثر على اصله وهو (تاريخ

---

(١) تجارب السلف ص٣٢٥ .

المنشىء النسوى) ، فزال الخفاء وعرف الخلل وسد الفراغ ... ومباحثه مهمة وقد اعتمدناه فى تاريخ العراق بين احتلالين. وكانت بعض الاعلام شاغرة .. وتاريخ ابى الفداء مختصر من ابن الاثير ومن مؤرخين كثيرين .

وله (تقويم البلدان) من خير المراجع لأيامه ، وفيه مباحث جليلة . وعندنا المؤلفات فى البلدان قليلة منها معجم ياقوت وآثار البلاد وأخبار العباد للعماد القزوينى ، فأضاف شيئا عظيما فنال كتابه هذا المكانة اللائقة ، وطبع فى أوربا .

وللمترجم مصنفات أخرى مثل نظم الحاوي وغيره ، توفي سنة ٧٣٢ هـ - ١٣٣١ م وترجمته فى ابن كثير لهذه السنة وفى تاريخ ابن الوردى وفى ابى الفداء نفسه ص١٠٨ . وفى معجم المطبوعات .

تهيأ لمترجمنا ما تهيأ وتمكن من ناحية المباحث وقام بمهمة خلدت له صيتا أكثر من ملكه وفاقت حكمه وزادت فى عظمة بقائه ، وهى مؤلفاته الخالدة ..

٣٥ - قطب الدين الحلبى

هو قطب الدين عبدالكريم بن عبدالنور الامام الحافظ الحلبى المصرى الحنفى المتوفى سنة ٧٣٥ هـ وله مؤلفات فى التاريخ منها خطط مصر وجاءت ترجمته فى المنهل الصافي ، وفى النجوم الزاهرة ، وفى الوافي بالوفيات ، وفى العبر الذهبى ، ويقال له أبو محمد الحلبي وهو غير صاحب درة الاسلاك وذكره صاحب الاعلان بالتوبيخ . وترجمته جاءت مفصلة فى الدرر الكامنة ج٢ ص٣٩٨ ويعد من أعداء شيخ الاسلام ابن تيميّة والمحرضين عليه . تكرر ذكره فى منتخب المختار فى صحائف عديدة . وفى ذيل تذكرة الحفاظ لأبي المحاسن الحسينى ص١٣ وفى ذيل تذكرة الحفاظ للسيوطي ص٣٤٩ . ولم نشاهد كتابه لنقول كلمتنا فيه . ولعل الايام تظهره .

٢٦ - ابن حماد

هو حسن بن على بن حماد . ولم نقف على حياته ولا على تاريخ وفاته وكل ما علمنا من تاريخه أنه معاصر لدولة المغول ، وأدرك أيام انقراضها .

وتاريخه . (قوت الارواح وياقوت الارباح) رأيته فى الخزانة السليمانية فى استنبول برقم ٢٢٠٢ بين كتب أسعد أفندى أوله : الحمد لله الذى ابتدع العالم على غير مثال ... قال فى مقدمته :

« أحببت أن أؤلف كتابا يحتوى على فوائد منه للغرض جامعة ، وطرفا من طرف تواريخ الامم مفيدة نافعة .. » اهـ .

وهو أشبه بتاريخ البيضاوى يتكلم فى بدء الخليقة وفى الانبياء ، والخلفاء ثم يمضى الى الأمويين ويلخص فى آخر بحثهم جامع أخبارهم . ويذكر الخلفاء العباسيين ومنهم الناصر لدين الله ، ويبين أن له تأليفا سماه (روح العارفين) وقال : « وقف الكتب النفيسة المفيدة فى فنون العلم على الطلاب » وانتهى بآخر ملوك المغول بعد ان ذكر كل واحد ووزراءه وقضاته وقضاة بغداد أيضا فى أيام كل سلطان من سلاطينهم مما لم نجده فى غيره . وبين انه كانت للمؤلف صحبة أكيدة بدمشق بينه وبين الخواجة تاج الدين على شاه ولم يوضح فى خلال السطور أكثر من هذا .

٢٧ - شمس الدين الشبنكاري

هو شمس الدين محمد بن علي ابن الشيخ محمد بن حسين بن ابى بكر الشبنكارى . ولد فى حدود سنة ٦٩٧ هـ أحد أعمال شبنكرة ، واشتهر فى الاكثار من الشعر ، أيام وزارة الخواجة غياث الدين محمد ابن الخواجة رشيد الدين وكان فى كل سنة يقدم القصائد فى مدحه .

شرع فى كتابة تاريخه الفارسى فى سنة ٧٣٣ هـ ولم يتمه الا فى سنة ٧٣٦ هـ ، قدمه للخواجة غياث الدين محمد ليعرضه على السلطان أبى سعيد

الا أن السلطان أبا سعيد توفي قبل أن يصل اليه وانما فقد أثناء الغارة على الربع الرشيدى أيام الخواجة غياث‌الدين محمد ، فأعاد المؤلف تدوينه مرة أخرى فى سنة ٧٤٣ هـ فاضاف اليه فى هذه المرة وقائع أبى سعيد وحوادثه تنتهى بالسلطان طغاتيمور ، وسماه (مجمع الانساب) . وذكر أنه قدمه للسلطان بواسطة وزيره .. وان القسم السابق للمغول عول فيه على التواريخ المتداولة ، وأما القسم الخاص بعهد الجايتو وابى سعيد وملوك فارس وشبنكارة فقد احتوى مطالب مفيدة ومهمة ، وفيه سعة وعلاقته ظاهرة ، ويصلح أن يكون متمما للتواريخ التى سبقته .

رأيت منه نسخة فى خزانة السليمانية باستنبول سنة ١٩٣٩ م برقم ٩٩ من كتب (يكى جامع) ، وخطه تعليق ، والحقت به بعض الحوادث المهمة الى سنة ٧٥٩ هـ والظاهر أن هذا من اتمام المؤلف[١] ..

٢٨ ـ صدرالدين البصري

من رجال العصر السابع الهجرى ، وهو الشيخ العلامة ، شيخ الأدب ، وحجة العرب .. صدرالدين على ابن ابى الفرج بن الحسن البصرى . ولم اقف على تاريخ وفاته .

ومن مؤلفاته :

١ ـ المناقب العباسية ، فى تاريخ العباسيين منه نسخة فى باريس برقم ٦١٤٤ ، وهو فى تاريخ الخلفاء الى آخر أيام المستعصم ، وبعد ذلك ذكر المستنصر الثانى الخليفة بمصر . وقد بويع بالقاهرة سنة ٦٥٩ هـ . ذكر لنا ذلك الاستاذ الدكتور مصطفى جواد .

٢ ـ الحماسة البصرية . وقدمها مؤلفها الى الخليفة المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين سنة ٦٥٤ هـ أى قبل سقوط الخلافة بسنتين ، وهذا الأثر مملوء حماسة ، فهو كاسمه . ومما جاء فيه قول ابى عطاء يسار السندى :

---

(١) تاريخ مفصل ايران ص٤٩١ و٥٢١ و(اسلامده تاريخ ومؤرخلر) ص٣٢٩ .

ويوم كيوم البعث ما فيه حاكم
ولا عاصم الا قنـــا ودروع
حبست به نفسى على موقع الردى
حفاظا وأطـراف الرماح شـروع
وما يستوى عند الملمات ان عرت
صبور على مكروههـا وجـزوع

ورأيت نسخة قديمة العهد ، ولعلها المقدمة الى الخليفة فى خزانة كتب راغب باشا باستنبول ومنها فى خزانة أحمد باشا تيمور .

٣٩ ـ ماركو بولو

رحال ايطالى مشهور ، ولد فى البندقية(ونديك) سنة ١٢٥٤ م (٦٥٢ هـ)، وساح فى ربوع المغول ، وكانت مهمته فى الذهاب الى ديارهم سياسية ، ولم تكن مصروفة الى الرغبة فى التدوين عن حياة الامةالمغولية وأحوالها الاجتماعية والسياسية ووصف بلدانها وسائر أحوالها ... والسياسية طغت بسيل طام نطى على أمثال هـذه .

كانت لتدويناته عن المغول قيمتها التاريخية . ومثلها العلاقات السياسية ، وهذه تبصر بضرب من ضروب حياة هذه الامة وما تضمر من أطماع . وفوائد هذه الرحلة لا تنكر بل تدعو الى الالتفات الكبير .

وفيها ما يزيد على المعرفة التاريخية شيئا جديدا وهو الروابط السياسية ، وهذه من أبرز ما فى الرحلة وان كنا لم نقف على تدوين معاهدة . وانما المعروف بعض رسائل فى روما . ونسخة من نقد لهم وهو (البالش) من الورق (الكاغد) ، نجده فى المتحف البريطانى ، ولا تزال نقودهم محل نظر الباحثين . والتعريف بها لم يكن من الأمور السهلة ، واذا كنا لا نجد فيها أكثر مما بينه مؤرخونا فاننا لا نحرم من فائدتها .

ويؤسفنا أنها لم تنقل الى لغتنـا لنعرف قيمتها التاريخية ولكنا رأينـا

بحثاً مدققاً فى هذه الرحلة وصاحبها كتب بمناسبة مرور سبعمائة عام على وفاته فى سنة ١٣٢٤ م (٧٢٤ هـ) لاستاذ معروف هو (ش فكتور) نقل كتابه الى اللغة الايرانية بقلم الاستاذ (م • عباسى) وطبع سنة ١٣٣٤ فى طهران ونقل الى لغات كثيرة لما نال من شهرة ونجاح •

٢ ـ الجلايرية :

من سنة ٧٣٩ هـ ـ ١٣٣٨ لى الى ٨١٤ هـ ـ ١٤١١ م

لا تزال فى هذا العهد بقية باقية من العلماء والمؤرخين السابقين ، بل كانت الثقافة مستمدة منهم غير منقطعة عنهم ، ولا تزال سوق العلم رائجة .

وهنا يصح ان نقول ان السياسة لم تتبدل الا فى أشخاص السلاطين ولكن ضعف السلطة وتوزعها يعد بدء انحلال ، وما ذلك الا لتقلص العلاقات الاقتصادية وانحسار الصلات كما انه حدث النضال بين المتغلبة فأدى الى فتن لم يخب شرها الا بعد حين •

ثم ظهر تيمور فصال على الممالك التى تنازعتها السلطات المتفرقة ، وتمكن من القضاء عليها أو على اكثرها فغير فى الوضع السياسى تغيراً مشهوداً ، وبسبب قدرته وقوته حمى العلماء ، وراعى جانبهم ، وأنعم عليهم بانعامات كبيرة فلم يغير من الوضع الا بقدر ما هاجم ، واستقرت دولته ، واسفرت عن ملك واسع ، وسياسة ناضجة • فاستعاد العلماء والمؤرخون مكانتهم • ومن أهم ظواهر هذا العهد تمكن اللغة الايرانية فى العلوم والتاريخ •

وظهرت المؤلفات الكثيرة ، وقلت فى العراق وبالتعبير الأصح ذاب المغول فى ايران فصارت تربيتهم ايرانية ، وتذوقوا منها على يد مربيهم • وعادت المقدرات بيد رجال ايران مما دعا أن تتكامل العلوم ومن بينها التاريخ •••

فقد تكاملت فى هذا العهد فى الاقطار العربية الاخرى فى الشام ومصر والحجاز واليمن ، ومع هذا فالعراق غاص بمدارس ويتغذى دائما بمخلدات أسلافه ، وان كان يؤسفنا ان لم نجد مثل ابن الفوطي ولا مثل ابن الساعي،

واضرابهما . لان سوق العرب لم ترج ، ولم يكن لبضاعتهم شارٍ . وانما استخدمهم تيمور لبث الثقافة فى أصل بلاده ، وتولوا ثقافة الاقطار الاخرى العربية والاسلامية ، ومهما كان الأمر فاننا صرنا نلتمس وقائعنا بالرجوع الى مثل هذه الآثار ومن هنا نحاول التنبيه الى ما جرى تدوينه ...

هذا ، ولا شك ان الدخول فى البحث فعلاً يقرر المراد .

١ - صفى الدين عبدالحق

صلة التاريخ بالبلدان كبيرة وتعَد من أكبر ظواهر الحضارة ، وتكونها من أهم الاحداث التاريخية ، واذا كان ظهر عندنا فى أواخر العهد العباسى ياقوت الحموي ، وفى عهد المغول العماد القزوينى ، وأبو الفداء فان ابن عبدالحق من المعروفين أيضا فى كتب البلدان وعاش الى ايام الجلايرية .

ويعرف بابن شمائل . وهو ابو محمد صفي‌الدين عبدالمؤمن بن أبي محمد كمال‌الدين عبدالحق البغدادي ، الأديب الفرضي الفقيه من مشاهير العلماء ، ونعته المؤرخون بـ (عالم بغداد) كان أبوه خطيباً بجامع فخرالدولة ابن المطلب ، ونشأ هو فى الاشتغال بالعلم وكان يعرف الهيئة والحساب معرفة جيدة ، وينسخ سريعاً ، ولي تدريس البشرية ، وعيّن لتدريس المستنصرية ، وهو متعين فى مذهبه ، قرأ عليه خلق ، الفقه والفرائض وغير ذلك من العلوم العقلية والنقلية . وكان عالماً زاهداً متواضعاً حسن الأخلاق ، طارحاً للتكلف على طريقة السلف ، وكان يضرب به المثل فى الفرائض ، وكتب الخط المنسوب ، وكانت كتبه مبذولة للطلبة ، وحدث بغالب مسموعاته وببعض مصنفاته ، وكتب بخطه قبل موته خمسين دائرة ، وفوائد عزيزة ، ووقف جميع ذلك مع كتبه على المدرسة المجاهدية .

اشتغل فى أول أمره بعد التفقه بالكتابة والأعمال الدنيوية مدة ثم ترك ذلك ، وأقبل على العلم ، فلازمه مطالعة وكتابة وتدريساً وتصنيفاً وافتاء الى حين وفاته وصنّف تصانيف كثيرة أورد غالبها صاحب منتخب المختار ، والتاريخية منها :

١ ـ منتهى الرسوخ فى ذكر من أروى عنهم من الشيوخ ، وهو فى مشيخته ، ولا شك أنه تاريخ العلماء الذين أخذ عنهم ، فهو قد عرف باساتذته ...

٢ ـ مختصر تاريخ الطبري ، لم أره ، واذا كان كمختصر المعجم فيه زيادات واضافات فيعدّ قيّماً جداً ..

٣ ـ مراصد الاطلاع فى الأمكنة والبقاع ، وهذا يصلح أن يكون تعليقات على معجم البلدان ، واختصاراً لمباحثه ، وجعلها جغرافية صرفة ، فهو مهم جدا فى الايضاح عن بعض المواطن وزيادات فيه مما لا نجده فى غيره .. وكنا نود أن يكتب منه ما يعود الى العراق من مواطن وأمكنة للعلاقة بها أكثر . والنسخة المهمة منه فى خزانة ولي أفندي كتبت سنة ٦٩٩ هـ أى قبل وفاة مؤلفها بنحو أربعين سنة بخط جميل متقن وتجليد نفيس فهي صالحة أن تكون اصلاً للطبع .

طبع فى ليدن وفى ايران طبعة حجرية سنة ١٣١٥ هـ ، وهى سقيمة ، وبمصر طبعة جديدة نفيسة الا أنها لم ترجع الى تلك النسخة الفريدة المشار اليها .

ويهمنا أن نقول ان المترجم بآثاره هذه زاول التاريخ ، ويعدّ من أجل المباحث التاريخية ويعيّن الاتصال العلمى والأدبى بالاساتذة المعروفين ..

ولد فى بغداد فى ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٦٥٨ هـ ـ ١٢٦٠ م وتوفى فى منتصف صفر سنة ٧٣٩ هـ ـ ١٣٣٨ م ، وترجمته فى منتخب المختار ص١٢٢ وفى الدرر الكامنة ج٢ ص٤١٩ والشذرات ج٦ وفى التنبيه والايقاظ لما فى ذيول تذكرة الحفاظ ص٢١ ، وفى البدر الطالع ص٤٠٤ وتواريخ عديدة .

٣ ـ ابن الجزري

لولا التاريخ لطويت أعمالنا فى هذه الحياة ، وزالت مآثرنا ، ولعدنا نلمس الآثار الصامتة ، فلا نتبين الا علاقة ضئيلة ، نستنطق بها جماداً

لا يبوح بما في نفوسنا ، ولا يعرب عن مكنونات سرنا ، فالاشارة لا تميط اللثام عن عقائدنا ومجتمعنا وآدابنا ، ودرجة ارتباطنا بالحوادث • ولولاه لتقول كثيرون بما شاؤا ، الا اننا نتطلب من التاريخ أن لا يميل مع الاهواء بل يدوّن الحوادث كما هي ، ويعين ميول الحياة في هدوئها واضطرابها ، أو ما أصابها من تهيج ، فنلتمس بغيتنا منه • وكفاه مكانة انه يدون ما نعمل ، فيقوم بمهمة المصور ، فكان موضع اهتمام الاكابر والاصاغر وتستوحى به جلية الماضى •

وان قومنا انجبوا مؤرخين اعاظم ، ساروا بهذا التاريخ سيرة مهمة فى تصوير الحياة • ومن مشاهيرهم مترجمنا • كان عظيماً فى تاريخه صارماً فى لهجته ، عدلاً فى بيانه ولا يهمّه ان اغفلت الايام ذكره مدة ولم تتداول تاريخه •••

وهو شمس الدين محمد بن ابراهيم بن أبي بكر ابراهيم الدمشقى ، اشتهر بين مؤرخي الشام اشتهاراً فائقاً ، وعرف بالتاريخ ، وكتبت ترجمته فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ج١٩ ص٥٢٤ ومجمل ما أقول هنا انه جزرى الاصل • توفي فى ليلة الاثنين ١٢ ربيع الاول سنة ٧٣٩ هـ - ١٣٣٨ م ومولده ١٠ ربيع الاول سنة ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م وكان من كبار العدول • أخذ عن شيوخ أفاضل • وذهب الى القاهرة والاسكندرية وسمع من مشايخهما واطراه المؤرخون فى أخلاقه وصلاحه •

وأطنب البرزالي فى ترجمته وبيان محاسنه وهو أعرف به وكان مرجعاً لمؤرخين كثيرين وينقل عن أكابر علماء بغداد وأفاضلها ، وجاء فى الشذرات: « جمع تاريخاً كبيراً ، وذكر فيه أشياء حسنة لا توجد فى غيره • » اهـ[١] •

وجاءت ترجمته فى تواريخ عديدة منها (التنبيه والايقاظ فى ذيول تذكرة الحفاظ)[٢] •

---

(١) الشذرات ج٦ ص١٢٢ •

(٢) التنبيه والايقاظ فى ذيول تذكرة الحفاظ ص٩ •

وقال ابن كثير :

« •• محمد بن ابراهيم الجوزي (صوابها الجزري) جمع تاريخاً حافلاً كتب فيه أشياء استفاد منها مثل المزي والذهبي والبرزالي ، كثيراً عنه واعتمدوا نقله ، وكان شيخاً جاوز الثمانين وثقل سمعه ، وضعف خطه ، وهو والد الشيخ ناصرالدين محمد وأخوه مجدالدين • » اه [١]

وفى العبر للذهبي « – فى سنة ٧٣٩ هـ – مات شمس‌الدين الجزرى الدمشقي صاحب التاريخ الكبير فى وسط السنة وله ٨١ سنة وله دين وكان ساكناً وقوراً » اه •

وكتب فى الحديث •• وكان محباً لفن التاريخ •• ولا يعرف له غير تاريخه ومنه يتجلى مقدار علمه وتتبعه •

وهذا يسمى (حوادث الزمان وانبائه ووفيات الاكابر والاعيان من أبنائه) على ما قاله الحافظ الشمس بن طولون حيث نقل عنه فى المجلد الاول من الفهرست الاوسط له • قال ابن حجر ، جمع تاريخاً مشهوراً وله شعر وسط ، وخرج له البرزالي مشيخة • قال الذهبي كان حسن المذاكرة سليم الباطن ، صدوقاً فى نفسه لكن فى تاريخه عجائب وغرائب اه • والقطب اليونينى كثير النقل عن تاريخه فى ذيله على مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي •[٢] ، ونسبته دائرة المعارف الاسلامية للبرزالي غلطاً •• وهو من مؤلفاته ، ومنه نسخة مخطوطة فى خزانة كوپريلي ، وكان منشأ التوهم من مرتب فهرس هذه الخزانة ، فوقع فى ذلك بروكلمن المستشرق المعروف وقبله وقع صاحب تاريخ (التين اردو) أى الفيلق الذهبى •

ينقل من تاريخ البرزالي ويقصد به تاريخ ابن الجزري وطبع هذا الكتاب سنة ١٩٤١ م مترجماً الى التركية من المرحوم الاستاذ اسماعيل حقي

---

(١) البداية والنهاية ج١٤ ص١٨٦ •

(٢) ذيل تذكرة الحفاظ للحسينى الدمشقى ص٢٢ •

الازميري ، راجعت فهرس الخزانة للاطلاع على هذه النسخة ورقمها ١٠٣٧ والتي ذكرت باسم البرزالي المؤرخ لما له من المكانة المعتبرة ، فوجدتها تبتدىء من سنة ٧٢٦ هـ وتنتهي سنة ٧٣٨ هـ ، وهي قديمة منقولة عن نسخة المؤلف بخط عبدالله بن أحمد بن يوسف البيري أصلاً ، الدمشقي مولداً ، الشافعي مذهباً كتبها سنة ٧٣٩ هـ – ١٣٣٨ م .

وأول هذه النسخة « قال البرزالي .. » فأوهمت أنها تأليفه ، وبعد مطالعتها لم يبق ريب في أنها لابن الجزري ، وينقل أحياناً كثيرة عن البرزالي ويصرح باسمه وهو القاسم بن محمد البرزالي ، وكانت بينهما مودة وصحبة أكيدة ، وأن البرزالي له خبرة تامة بأحواله وما كان عليه من صلاح وتقوى ، ورغبة في التاريخ ، كما ان ابن الجزري ينقل عن البرزالي أحياناً ، ويقول : « كلما أقول ذكر فهو من تعليق الشيخ الحافظ علم الدين البرزالي فسح الله في مدته .. لئلا يضيع تعبه .. » اهـ ، فلم يبق اشكال في انه للجزري .

وترجمة الجزري في الوافي بالوفيات وذكره النويري بأنه (تاريخ حوادث الزمان وانبائه ووفيات الاعيان من ابنائه) .

وقال السخاوي : « للمعدل .. ابن الجزري (تاريخ كبير) . شهير بخطه في المحمودية ، فيه عجائب وغرائب » اهـ[1] . ولعل الايام تكشف عن وجودها ..

وان التاريخ المذكور مجلد واحد ولا شك انه أحد اجزائه ، والحال ان الكتاب متعدد الاجزاء ، وكانت ولا تزال التدقيقات عنه ناقصة .

قال الاستاذ احمد تيمور باشا في (كتاب اليزيدية) :

« وعندنا من تاريخ ابن الجزري جزء مصور بالشمسي فيه من سنة ٦٨٩ هـ الى سنة ٦٩٩ هـ » اهـ .

وهذا مصور من نسخة باريس برقم ٦٧٣٩ وأوراقه ٢٩٩ وجاء في

---

(١) الاعلان بالتوبيخ ص١٤٨ .

الكتاب فى حوادث سنة ٦٩٣ هـ ذكر وفاة والده وترجمه وبين أنه ذيل مرآة الزمان فى حين أنه يبدأ من أول القرن السابع ، ومختار الجزري يدل على ذلك .

ومن ثم نرى النقص بادياً .. وفىهذا رأيته يتوسع فى بعضالحوادث ، ويعدّ صفحة كاشفة عن أيام المغول فى العراق ينقل عن علماء بغداد ، ومنهم أبو الخير الدهلي العالم المعروف ولا شك ان الايام ستجلو عن باقي أجزائه .. وجاء فى لغة العرب المجلد السابع منها ص ١٨١ ان الاستاذ حبيب الزيات طبع جزءاً منه نقله من نسخة باريس ، طبعه بمطبعة المحامى فى زحلة (لبنان) بقطع الثمن . وسماه :

بـ « حوادث الزمان وانبائه ، ووفيات الاعيان من ابنائه » .

المختار من تاريخ الجزري :

ثم انى عثرت أيضاً على نسخة مخطوطة من كتاب (المختار من تاريخ الجزري) ، وهى من اختيار الذهبي ، وبخطه ، وعندي نسختها المصورة ، وفيها نصوص مهمة عظيمة الفائدة لا يستغنى عنها . وهذا المختار أصله فى خزانة (كوپريلي) برقم ١١٤٧ قال الذهبي : وهذه نبذة فوائد من تاريخ المولى شمس الدين . وتبتدىء من بقية سنة ٥٩٣ هـ ، وأمتدت ، فوقفت عند سنة ٦٩٨ هـ ، جعله كالتتمة لما نقح من المذيل على الروضتين ..

والحاصل ان هذا التاريخ احتوى على نفائس .. وكان غالب المؤرخين فى عصره متصلين به .

٣ ـ البرزالي

هذا عمدة المؤرخين ، كشف صفحة غامضة من تاريخ الشام ومصر والعراق بل العالم الاسلامى فى عصره ، وكانت الصلة العلمية والسياسية بين مصر والشام غير مقطوعة[١] وذكره ابن الفوطى فقال :

---

(١) ذكرت ترجمته فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ج٢٠ ص٥١٩ وورد ذكره فى كتاب الرد الوافى ص٦٤ .

علم‌الدين القاسم بن محمد بن البرزالى نزيل دمشق المحدث ...
وأنشد له :

يتعاطى كل شيء وهو لا يحسن شيا
فهو لا يزدادرشداً انما يزداد غيا[١]

جعل تاريخه هذا ذيلاً على (تاريخ أبي شامة) المعروف بـ (ذيل الروضتين) . وذيله يعرف بـ (تاريخ البرزالى) : واستمرت حوادثه الى سنة ٧٣٨ هـ - ١٣٣٦ م فكان معول مؤرخين عديدين مثل ابن رافع ، وابن كثير ، وابن حجي ، والعيني ... وذيل عليه ابن رافع السلامى ، مؤلف الذيل على تاريخ ابن النجار المسمى المختار ، وذيل على السلامى أحمد ابن حجى بن موسى الحسبانى الدمشقي[٢] المتوفى سنة ٨١٦ هـ - ١٤١٣ م . وممن اختصره وأضاف حوادثه الى تاريخه ابن كثير ، ومن مراجعة تاريخ ابن كثير يعرف ذلك ، وجاء فى فهرس مكتبة برلين ص ٥٥ و٥٦ ما خلاصته:

١ - تاريخ مختصر المئة السابعة وما بعدها .

٢ - النصف الثانى المنتخب من تاريخ علم‌الدين البرزالى وجاء فى آخره :

« هذا آخر ما أرخ شيخنا الحافظ علم‌الدين البرزالى فى كتابه الذى ذيل به على تاريخ الشيخ شهاب‌الدين أبى شامة المقدسى . وكانت وفاة البرزالي فى العام القابل وهو المحرم . وقد ذيلت على تاريخه الى زماننا هذا . وكان فراغى من الانتقاء من تاريخه فى يوم الاربعاء ٢٠ من جمادى الاولى ، (ورد فى المطبوع : من حمادي الآخرة) سنة ٧٥١ هـ . كتبه اسماعيل بن كثير ..[٣]

---

(١) تلخيص مجمع الآداب ص٦٨ و٦٩ .
(٢) ترجمته فى الضوء اللامع . والرد الوافر ص ٣٨ - ٤٠ . والمؤرخون الدمشقيون للدكتور صلاح‌الدين المنجد ص٦٠ .
(٣) ابن كثير ج١٤ ص١٨٣ .

وأعتقد أنه لم يبق ريب فى أن ابن كثير لخصه وأدرجه فى تاريخه ، وفى كشف الظنون ما يؤكد ذلك قال :

« والمشهور أن تاريخه ـ ابن كثير ـ انتهى الى آخر سنة ٧٣٨ هـ وهو آخر ما لخصه من تاريخ البرزالى ، وكتب حوادث الى قبيل وفاته بسنتين انتهى ، ولخصه البدر تماماً ، واختصره أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ هـ » اهـ .

وعلى كل حال ان ما ذكره الاستاذ (بروكلمن) عنه غير صحيح ، وانما هو تاريخ ابن الجزرى ، وفى منتخب المختار نقول عديدة عنه[١] . ومن هذا نعلم سلسلة الاتصال التاريخى من جهة ، والوثوق والاعتماد من جهة أخرى . قال ابن كثير :

« .. البرزالى مؤرخ الشام الشافعى ولد سنة وفاة أبى شامة سنة ٦٦٥ هـ ، وقد كتب تاريخاً ذيل به على الشيخ شهاب‌الدين من حين وفاته ومولد البرزالى الى أن توفي فى المحرم من هذه‌السنة (٧٣٩ هـ ــ ١٣٣٨ م). وسمع الكثير من أزيد من ألف شيخ ، وخرج له المحدث شمس‌الدين ابن سعد مشيخة لم يكملها ، وقرأ شيئا كثيرا ، وأسمع شيئا كثيرا ، وكان له خط حسن ، وخلق حسن ، وهو مشكور عند القضاة ، ومشايخه وأهل العلم . وسمعت العلامة ابن تيمية يقول (نقد البرزالي نقر فى حجر) وكان أصحابه من كل الطوائف يحبونه ويكرمونه .. وكان شيخ حديث بالنورية، وفيها وقف كتبه بدار الحديث السنية ، وبدار الحديث القوصية ، وفى الجامع وغيره وعلى كراسى الحديث وكان متواضعا محببا الى الناس ، متوددا اليهم . توفي عن ٧٤ سنة رحمه‌الله .. » اهـ[٢] .

وفى سنة ١٩٣٩ م قبيل الحرب عثرت على نسخة في خزانة (طوپقپو)

---

(١) منتخب المختار فى علماء بغداد والواردين اليها .

(٢) ابن كثير ج١٤ ص١٨٦ .

برقم ٢٩٥١ • فى مجلدين كتبا فى حياة المؤلف ، وصححا فى مقابلته فكانا خير تحفة بقى مطمورا ، فلم يقف عليه أحد ليلفت الانظار الى طبعه والى تكثير نسخة ، فانه يستحق العناية من كل وجه ، فمؤلفه فخر الشام وسماه « المقتفى لتاريخ ابي شامة » • وأوله : الحمد لله مبدي العالم ومبيده •• الخ• جعله ذيلا على تاريخ ابى شامة المعروف بـ (الذيل على الروضتين) ، ابتدأ به من سنة ٦٦٥ هـ ، ومضى الى سنة ٦٩٨ هـ فى مجلد ضخم ، وفى المجلد الثانى أكمل هذه الحوادث وانتهى سنة ٧٢٠ هـ ، وكتبت هذه النسخة فى ٥ ربيع الآخر سنة ٧٢١ ، وقوبلت مع جامعها فى ٨ ربيع الأخر من هذه السنة ،وهو لا يزال لم يدوّن بعد بقية السنين ، اد لما يصل بعد اليها ••

وهذه النسخة من أجل الأثار ، وفيها ما يكشف عن تاريخ مصر والعراق ، ونحن فى أشد الحاجة الى اثارة ما هنالك من تواريخ •• وان نسترشد بجهود أسلافنا لا أن نهملها ، وكفاه مكانة قول شيخ الاسلام ابن تيمية فيه « نقد البرزالى نقر فى حجر » ، وقال الذهبى « كان رأسا فى صدق اللهجة والأمانة ، صاحب سنة واتباع ولزوم للفرائض • » (وزاد) : « هو الذى حبب الى طلب الحديث » • وهكذا نقل صاحب البدر الطالع عن الصفدى •

وذيّل على هذا التاريخ ابو بكر تقىالدين ابن قاضى شهبة المتوفى سنة ٨٥١ هـ ــ ١٤٤٧ م فى مجلدات كما جاء فى صفحة ١٤٧ من الاعلان بالتوبيخ • وفى كتاب (المؤرخون الدمشقيون) الدكتور المنجد فى ص٦٤ انه فى ثمان مجلدات ثم اختصره فى مجلدين ثم اختصره فى مجلد •

٢ ــ معجم شيوخه :

وهو تاريخ العلماء الذين أخذ عنهم ، وقد نقل العلماء عنه كثيرا وبين هؤلاء صاحب منتخب المختار ، وتكرر ذكره فيه •

٣ ــ معجم البلدان والقرى :

لا نذكر له نسخة فى خزائن الكتب ولعلها شذت عنا ، ونرجو أن ينبه الى ما هو موجود منها من النسخ ، وهذه النسخة كانت موجودة أيام المؤرخ شمس الدين محمد بن علي بن احمد بن طولون المتوفى سنة ٩٥٣ هـ .(١)

هذا . ويلاحظ أن المترجم كانت له زوجة فاضلة اسمها (دينا بنت حسن بن بلبان) الدمشقية . قال فى الدرر الكامنة :

« زوج العلم البرزالى . ولدت سنة ٦٧٨ هـ ، وسمعت من يوسف ابن الغسولى ، وغيره ، وسمع منها شيخنا العراقى ، وأرخها ابن رافع فى جمادى الاولى ، وشيخنا فى جمادى الآخرة سنة ٧٥٩ هـ(٢) » هـ .

٤ ـ الذهبى

ان المؤرخين الذين نالوا شهرة كبيرة قليلون وكان من أفذاذهم الذين لا يكادون يتجاوزون عدد الاصابع والذهبى يعد من بينهم نال مكانة معروفة. وأن المرء ليعجز عن ابداء فضله ، فقد أتعب من جاء بعده .

وهو شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد الذهبى التركمانى الدمشقى الفارقى الشافعي . ملأ خزائن العرب من الآثار التاريخية لخص وجمع ، واستخلص وتبسط ، نقل الآثار الاسلامية قبله ، فأودعها تآليفه . فكانت خدماته جلىّ . كان ابن الجزرى شوقه الى الحديث . ولا شك انه رأى استاذه من المشتغلين فى التاريخ فمال اليه ميله ، والاتصال مكين بينهما . وهذه أشهر مؤلفاته :

١ ـ تاريخ الاسلام . وهذا من أجل الآثار ، أودعه آثاراً عديدة وجمع تراجمه ، ووحدها ، وهكذا فعل فى حوادثه . رأيت مجلدات عديدة منه

---

(١) اللمعات البرقية فى النكت التاريخية ، طبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٤٨ هـ .

(٢) الدرر الكامنة ج٢ ص١٠٢ .

فى خزانة الاستاذ السيد نعمان خيرالدين الآلوسى ، وفى خزائن كتب استنبول أيضا وكانت هذه مفيدة جدا لانها تحوى حوادث المغول ، وعليها المعول فى تاريخ العراق السياسى . نقل عن الموفق البغدادى حوادث لم نجدها فى غيره خصوصا أن تاريخه انعدم ، واختصر ابن خلكان فأودعه تاريخه وهكذا فعل فى الكثير من الآثار كابن الساعى والكازروني والفوطي ووحدها وكان موفق التنسيق وطبع منه خمسة مجلدات ولو تم لأغنى عن كتب كثيرة.

٢ - تذكرة الحفاظ ، وهذه من أجل الآثار التاريخية ، وهى مختصرة الا أنها متن متين ، طبعت فى الهند . ورأيت نظمها فى خزانة كتب (كوبريلى) برقم ٢٤٣ لابن برداس الحنبلى ضمن مجموعة . وجاءت ذيول تذكرة الحفاظ لعلماء عديدين مكملة لها وهى :

(١) لتلميذه الحافظ الشمس أبى المحاسن محمد بن على ابن الحسن الحسيني الدمشقى المتوفى فى شهر رمضان سنة ٧٦٥ هـ .[١]

(٢) لابن فهد المكى .

(٣) لجلال الدين السيوطي .

وفى هذه ما يغنى عن وصفها وقد طبعت .. كما أن (كتاب التنبيه والايقاظ لما فى ذيول تذكرة الحفاظ) لفضيلة الاستاذ المعاصر الشيخ أحمد رافع الحسينى القاسمي الطهطاوي الحنفىطبع فى مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٤٨ هـ .وهو استدراك وتعليق على هذه الذيول .. فكان لمجموعها فوائد تاريخية عظيمة .

٣ - ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ، من الآثار المهمة . وطبع فى الهند سنة ١٣٠١ هـ ، وفى مصر سنة ١٣٢٥ هـ ، وهو فى نقد رجال الحديث وفيه تعريف بالكثيرين من أئمة الاخبار . ألفه بعد كتابه المغني وزاد عليه زيادات حسنة .

---

(١) ترجمته فى الرد الوافر ص٢٨ .

٤ - مختصر دول الاسلام ، تاريخ عام فى مجلدين . وهذا الكتاب يعد متنا فى التاريخ الا انه مختصر جدا ، وصل به الى سنة ٧١٥ هـ وطبع فى حيدر اباد فى الهند سنة ١٣٣٣ هـ وعليه ذيول منها :

الذيل للسخاوى ، وتمتد حوادثه الى سنة ٨٧٥ هـ وهذا هو المسمى (وجيز الكلام فى الذيل على كتاب الذهبي دول الاسلام) ، رأيت الجلد الاول منه فى كوپريلى ابتدأ بسنة ٧٤٥ هـ وانتهى بسنة ٨٧٥ هـ وهو موجز على نمط تاريخ الذهبى :

٥ - تجريد اسماء الصحابة ، لخص أسد الغابة . طبع فى حيدر آباد سنة ١٣١٥ هـ .

٦ - المختار من تاريخ الجزرى . اختاره من تأريخ شمس الدين الجزرى ، ومنه نسخة فى خزانة (كوپريلى) وعندى تصويره .

٧ - تذهيب الكمال فى أسماء الرجال ، وقد طبع تهذيب التذهيب فى مصر .

٨ - رسالة فى الرواة الثقات طبعت فى مصر سنة ١٣٢٤ هـ ضمن مجموعة .

٩ - المشتبه فى اسماء الرجال ، ويقصد رجال الحديث ، طبع فى ليدن سنة ١٨٨١ م .

١٠ - سير النبلاء طبع بمصر الجلد الاول بتحقيق الدكتور المنجد .

١١ - كتاب العبر . وهذا أوسع من مختصر دول الاسلام ويعد متوسطا بالنظر اليه ، فهو من الكتب التى تعرف بالوفيات وتراجم العلماء وبمجمل الوقائع ، فهو مفيد للغاية . نال اعتمادا وثقة ، واشتهر بين العلماء لصغر حجمه ، وزيادة فائدته ، فيكاد يحيط بمشاهير العلماء ، باختصار ، عندى نسخة مصورة منه . ومنه نسخة مهمة فى خزانة (كوپريلى) برقم ١٠٩٨ مع الذيل للذهبى نفسه وفى خزانة السلطان أحمد الثالث نسخة منه برقم ٣٠٣٠ تنتهى بحوادث سنة ٧٤٠ هـ .

وممن ذيل عليـــه :

١ ـ الحافظ الشمس ابو المحاسن محمد بن على الحسينى الدمشقى المتوفى سنة ٧٦٥ هـ ومن هذا الذيل نسخة فى استنبول رأيتها فى خزانة با يزيد العامة وكان قد وصل به الى آخر سنة ٧٦٤ هـ ، وعليه ذيل لابنه شمس الدين محمد ومضى به الى سنة ٧٨٥ هـ وتوفى سنة ٧٩٢ هـ .

٢ ـ الحافظ العراقى ، وهو زين الدين عبدالرحيم المتوفى سنة ٨٠٦ هـ كتب ذيلا الى سنة ٧٦٢ هـ .

٣ ـ أتمه ابن ابنه الحافظ ولي الدين احمد وانتهى به الى سنة ٧٨٦ هـ ، والظاهر انه بخطه فى خزانة فيض الله من مكتبة (ملّت) برقم ١٤٥٢ .

والحاصل ان المترجم من المؤرخين المعترف بفضلهم ، وهو من رجال الحديث ، والنقاد فيه ، وسعة علمه لا تنكر ، تناول مؤلفاته التاريخية كثيرون من المؤرخين ، فذيلوا عليها وأكملوا ما جاء فيها من مباحث فكانت الصلة التاريخية مشهودة ، ويهمنا تاريخ العراق ودرجة الارتباط به ومقدار ما هنالك من علاقة . ولا يسع المجال التوغل فى كـل أثر له ، وكان قد أضر فى سنة ٧٤١ هـ .

توفي فى ٣ ذى القعدة سنة ٧٤٨ هـ ـ ١٣٤٧ م فى دمشق وترجمتــه فى ذيول تذكرة الحفاظ ، وفى فوات الوفيات ج٢ ص ١٨٣ والدرر الكامنة ج٢ ص٩٦ ، وشذرات الذهب ، والمنهل الصـافى ، وطبقات السبكى ج٢ ص٣٩٥ والفوائد البهية ص١٢ وجلاء العينين ص٢١ ومفتاح السعادة ص٢١٦ وغير هذه ، وقد جاء فى معجم المطبوعات ذكر الكثير من آثاره المطبوعة .

وتناوله السـخاوى ، قال : « على أن الاهواء قلما تتغلب على المزى والبرزالى فى تراجم الناس بخلاف الذهبي ، وانتقد خطته فى تراجم الناس انتقادا مرآ الحافظ ابن المرابط الغرناطى والتاج السبكي ، ونسباه الى التعصب المفرط ، لا سيما فى تراجم الحشوية ومخالفيهم لبعده عن المعقول والعـلوم النظرية واكتفائه بالرواية والسماع .. وقال ابن الوردى فى تاريخـــه :

واستعجل قبل الموت فترجم فى تواريخه الاحياء المشهورين بدمشق وغيرها ، واعتمد فى سير الناس على أحداث يجتمعون به وكان فى أنفسهم شيء من الناس ، فآذى بهذا السبب فى مصنفاته أعراض خلق من المشهورين . » اه .

ولا أقول فى هذا الا أنه كان أعرف بأهل بلده ، ورجال العلم المعاصرين ، أما العلوم العقلية فهذا محل نظر ، فان العلم تغيرت وجهته اليوم ، وتبدلت الفكرات فلا تترك المنقول لمعقولات واهنة ما أنزل الله بها من سلطان . ماتت قيمتها اليوم وظهر أن الحق كان معه ومع شيخ الاسلام ابن تيمية فيما ذهبا اليه وثبت أن الفلسفة القديمة زالت قيمتها . وكذا ما يستند اليها من علم الكلام ، وأوضحنا ذلك فى تاريخ العقيدة الاسلامية فى العراق .

٥ ـ ابن فضل الله العمري

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد الكرمانى العمرى الدمشقى المعروف بابن فضل الله الكاتب الدمشقى ولد فى دمشق ، ومن اساتذته شمس الدين الاصولى الاصبهانى وهو من أعظم من كتب عن تاريخ العراق فى عهد المغول والجلايرية ، نقل عن علماء بغداد ، وأخذ عنهم ، فمثل ما هنالك فى كتابه مسالك الابصار وفيه عن :

١ ـ صفى الدين الارموى .

٢ ـ شمس الدين الاصولى الاصبهانى .

٣ ـ نظام الدين بن الحكيم .

وغيرهم وكان كاتب السر فى الديار المصرية .. كاتب السر فى دمشق ، ثم انصرف للتأليف ، وتاريخه من أجل التواريخ ، لا نجد فى غيره ما وجدناه فيه فهو خير أثر .. فى التاريخ والخطط والتشكيلات الادارية . ونسخة منه فى خزانة أيا صوفيا من رقم ٣٤١٥ الى ٣٤٣٩ وفى مكتبة البلدية فى الاسكندرية وبعض أجزائه فى خزانة باريس الاهلية ، طبع المجلد الاول منه فى مصر . وكتب ابنه شمس الدين محمد الكرماني ذيلا عليه . فاقتفى

آثار أبيه • ومن آثاره المهمة فى التاريخ (التعريف بالمصطلح الشريف) فهو من أجل الآثار وقد طبع •

وترجمه الصلاح الصفدى ، وصاحب فوات الوفيات ج١ص٧، وصاحب حسن المحاضرة ص٢٧٣ ، وذكره الأسدى فى طبقاته ، وكذا صاحب الفوائد البهية ص١٨ والوجيز للسخاوى فى حوادث سنة وفاته ••[١] وتوفي سنة ٧٤٩ هـ - ١٣٤٨ م •

٦ - ابن الوردي

ان المؤرخين أشبه بالمدرسين مثلوا مختلف الميول ، فكتبوا المبسوطات والمختصرات ، والمتوسطات تبعا لهذه الرغبة •• وابن الوردى مؤرخ معروف ومقبول المنزلة فى صدق اللهجة والعناية ويعد من فقهاء حلب وادبائها وعلمائها المعروفين وكان شافعى المذهب وهو الشيخ زين الدين عمر ابن الوردى ، ولا محل للاطناب فى ترجمته[٢] ••

تاريخه :

ويسمى (تتمة المختصر فى أخبار البشر) ، اختصر به (تاريخ ابى الفداء)، ولا شك أنه مثل الرغبات العامة فهو موجز • ولا يخلو من أغلاط مطبعية أو أخطاء نساخ ، وفيه تثبيت لبعض الاعلام المشتبه بها مما ذكره أبو الفداء فى تاريخه • وكان ما زاده قد فصله بقوله (قلت) وأنهى كلامه بقوله (والله أعلم) ، ويبدأ من حوادث سنة ٧٠٩ هـ • - ١٣١٠ م الى آخر الكتاب ، هذا فى حين انا نرى حوادث ابى الفداء فى تاريخه المطبوع تمتد الى ما بعد وفاة المؤلف حتى نهاية سنة ٧٤٩ هـ - ١٣٤٥ م ، واما المترجم فقد ذيل بعض الحوادث وأتمه الناشر الى تاريخ الطبع •• طبع فى مجلدين فى بولاق

---

(١) مخطوطة كوبريلى رقم ١١٨٩ •

(٢) فوات الوفيات ج٢ ص١١٦ ، وبغية الوعاة ص٣٦٥ ، وطبقات السبكى ج٦ ص٢٤٣ ، وجلاء العينين ص٢٤ ، والدرر الكامنة ، وأعلام النبلاء •

سنة ١٢٨٥ هـ وتمتاز فى حسن طبعها الا انها مغلوطة كثيرا ، فلم يعتن فى التصحيح • ولا روعي الاتقان فيه ، ولا روجعت المصادر فى تحقيق بعض المطالب • وللمترجم آثار عديدة فى الفقه والأدب ، وتوفى سنة ٧٤٩ هـ ـ ١٣٤٨ م •

٧ ـ شمس الدين الاصبهانى

ويعرف بالشمس الاصولى وهو ابو الثناء محمود ابن ابى القاسم عبدالرحمن بن احمد بن محمد الاصبهانى الشافعي الصوفي ، وهذا غير شمس‌الدين الاصولى[١] ، ومترجمنا يعد من أكابر العلماء ، وهو الذى قص تاريخ المغول لابن فضل‌الله العمرى ، وكذا أخبار بغداد ، فاستقى منه كما أخذ عن غيره من علماء بغداد وأكابر رجالها ، وأودع ذلك مسالك الابصار ، دخل بغداد أربع مرات ومنه ومن أمثاله جرى تدوين تاريخنا • كما ان العمرى لم يكن الوحيد فى نقله تاريخ بغداد وحوادثها ، وانما نقل الذهبي ، والصفدي ، وابن الاكفاني ، وابن الجزرى والبرزالي ، فكتبوا تاريخ العراق عن عراقيين عديدين منهم ابو الخير الدهلي ونظام‌الدين بن الحكيم كما أخذوا عن آثارهم كابن رافع السلامي الذى أخذ عن العراقيين رأسا • وللمترجم الفضل فى بيان تاريخ ايران والعراق • وينقل عن الجوينى ، وعن الخواجة رشيدالدين ، ويذكر سائر مؤلفاته ، قص ما شاهد ، وذكر ما رأى ، وله تفسير يسمى (الحقائق الربانية)[٢] •• وجاء ذكر مؤلفاته الاخرى العديدة فى منتخب المختار ، مع تفصيل حياته وبيان شيوخه ، وذكره صاحب الدرر الكامنة[٣] •• ومن النصوص المنقولة عنه يتكون تاريخ لا بأس به ، أو أن المعلومات المنقولة عنه تجعله فى صف المؤرخين تجول فى مصر والشام وتكاد تكون شهرته عالمية •

---

(١) فوات الوفيات ج٢ ص٣٣٠ •

(٢) تاريخ التفسير : جودة بك •

(٣) الدرر الكامنة ج٤ ص٣٢٧ •

ولد سنة ٦٧٤ هـ – ١٢٧٦ م ، وتوفى سنة ٧٤٩ هـ ١٣٤٨ م فى مرض الطاعون وأوضحت عنه فى تاريخ العقيدة الاسلامية .

٨ – ابو الخير الدهلى

هو الحافظ المفيد الرحال نجم‌الدين ابو الخير سعيد بن عبدالله الدهلى[1] من العلماء المعروفين فى الحديث والعلوم الاخرى ، وله اطلاع واسع فى التاريخ ومكانة مقبولة ، سمع من علماء أفاضل كما انه أخذ عنه علماء كثيرون ، وله رحلة ، فأخذ عن علماء الشام ، ومصر ، ونقلوا عنه ، فكان كامل المعرفة ، ونال مقاما رفيعا ، أخذ عنه شمس‌الدين الجزرى وغيره حوادث بغداد وأودعوها آثارهم . فكانت نظراته مفيدة ، والمدونات عنه نافعة جدا ..

واذا كان اشتهر بالحديث ، فلا شك انه يعدّ من أعاظم مؤرخى العراق سواء بما نقل عنه ، أو ما كتبه من الآثار . والكل أثنى عليه ، وأطراه بما يليق بـه .

وله من المؤلفـات :

١ – عدة الطائعين وعمدة السامعين أربعون حديثا ،خرجهـا عن اسـاتذته .

٢ – كتاب التاريخ ، وكتابه هذا تراجم كثيرة فى أعيان بغـداد ودمشق ، فأوضح عمن كانت لهم مكانة . ذكره فى الاعلان بالتوبيخ[2] . وغالب المؤرخين ذكروا أثره هذا ، ونقلوا منه رأسا ، وهذا الأثر كان يعد ضائعا كآثاره الاخرى الا أنه علم وجوده ، جاء وصفه فى مجلة المقتبس الدمشقية للمرحوم الاستاذ محمد كرد علي من كتب الشيخ طاهر الجزائرى. فلا يبعد ان تكون نسخته فى الخزانة الظاهرية أو خزانة أحمد تيمور باشا . فلم تعـدم .

وشاهدت نسخة لدى الأستاذ ابراهيم الدروبى منقولة على ما حكى لى من خزانة آل النائب ولكننى لم اتمكن من استقصائها .

---

(١) نسبة الى دهلى مدينة فى الهند كان قد ولد فيها .

(٢) الاعلان بالتوبيخ ص١٥٣ .

٣ ـ تفتيت الاكباد فى واقعة بغداد • ذكره السيوطى فى ذيل تذكرة الحفاظ صفحة ٣٥٦ •

والرجل من علماء بغداد المعروفين ، وتجول فى الشام ومصر ، واتصل بالعلماء ، وفى تاريخ الجزرى نقل منه من حوادث بغداد والمغول •• ما قصه له •• او سمعه منه ، فلا ريب انه دوّن عنه صفحة وكتب قسماً كبيراً ••

وترجمته فى تواريخ عديدة فى منتخب المختار ص٥٧ وفيه تفصيل شيوخه والآخذين عنه • ولد سنة ٧١٢ هـ ـ ١٣١٢ م ، وفى الدرر الكامنة ج٢ ص١٣٤ ، وفى ذيل تذكرة الحفاظ لشمس الدين الحسيني ص٦٥ وفى ذيل التذكرة للسيوطى ص٣٥٦ • وتوفي فى طاعون سنة ٧٤٩ هـ ـ ١٣٤٨م •

٩ ـ المستوفي القزويني

من مؤرخى ايران وادبائها المشهورين الخواجة حمدالله احمـــد ابن تاج الدين ابى بكر بن نصر المستوفي القزويني من أسرة قديمة فى قزوين وولد فيها سنة ٦٨٠ هـ ، وكان لهذا البيت سعي بليغ فى استئصال آل الجويني، وكان من أخص كتاب الخواجة رشيدالدين صاحب جامع التواريخ • وفى سنة ٧١١ هـ بعد قتل سعدالدين الساوجي نال بعض المناصب المهمة ، ولما قتل الخواجة رشيدالدين لازم ابنه الخواجة غياث الدين محمداً ثم انقطعت عنّا أخباره ، كان شاعرا وكاتبا بليغا وله اطلاع واسع على اللغة الفارسـية وأما التاريخ فيعد من أكابر رجاله تخرج على الخواجة رشيدالدين فنال حظا وافرا من العلوم فى أيامه ••

وهو من مؤرخى المغول والجلايرية معا ، أقام فى العراق مدة طويلة ، وكتب عن معرفة •

وله من المؤلفات التاريخية :

١ ـ تاريخ گزيدة : من أجل الآثار التاريخية قدمه الى الخواجة غياث الدين

---

(١) الدرر الكامنة ج٤ ص٣٢٧ •

محمد وكان اعتماده على جامع التواريخ وكتب تاريخية أخرى ومن أهم ما فيه بيانه فى آخر كتابه هذا عن العلماء والأئمة والفضلاء ، وأوضح عن قزوين ايضاحا جغرافيا كافيا ، أتمه سنة ٧٣٠ هـ .

وألحق به محمود كيتي مبحثا جليلا ، عن (آل مظفر) ، كتبه سنة ٨٢٣ هـ تكلم فيهم من ابتداء ظهورهم سنة ٧١٨ هـ الى ان انقرضوا عام ٧٩٥ هـ ، وعندى منه نسخة مخطوطة قديمة معتنى بها الا أنها ناقصة الاول قليلا ، وكذا الآخر وفيها تصحيحات مهمة والنسخة المطبوعة فى لندن وان كانت تمثل الاصل القديم لا تخلو من أغلاط فاحشة جدا .

وترجمته الى التركية فى خزانة نور عثمانيه ، نقلها يعقوب باشا بأمر السلطان بايزيد . وأتمها فى ٢ شهر رمضان سنة ٩٥٥ هـ ، وأولها : « الحمد لله الذى تحيرت فى ادراك ذاته عقول العقلاء وعجزت عن وصف صفاته ألسنة الفضلاء الخ » اهـ .

والنسخة المطبوعة بالزنك من مشروع جب فيها تاريخ (آل مظفر) .

٢ ـ ظفرنامه : تاريخ منظوم يبتدىء من أيام العرب ، ويتكلم على سلاطين ايران وحكومة المغول ، وأهم ما فيها ، أيام المغول .. وهى فى ٧٥ الف بيت بارى فيها الفردوسى أولها :

ظفر نامه كن نام اين نامه‌را

بدين تازه كن رسم شهنامه‌را

ونظم منها خمسين ألف بيت فى خمس عشرة سنة ثم تركها وكتب تاريخ گزيدة وبعد أن أتمه عاد اليها وأتمها سنة ٧٣٥ هـ ومنها نسخة فى المتحفة البريطانية برقم ٢٨٣٣ بين الكتب الفارسية .

٣ ـ نزهة القلوب : وهذه فى الجغرافية وفيها مطالب عن العراق وايران لا يستهان بها . أتمها سنة ٧٤٠ هـ وطبعت فى الهند سنة ١٣١١ هـ وطبع فى ليدن قسم المقالة الثالثة منها سنة ١٣٣١ هـ ـ ١٩١٣ م وقد نقلت الى الانكليزية وتهم كثيرا فى معرفة التشكيلات الادارية للمغول والتركمان .

والمؤلف ذو علاقة بالعراق وبياناته وافرة وموثوقة .. وتهم كثيرا ويكملها ما في مسالك الابصار ، وتوفي سنة ٧٥٠ هـ - ١٣٤٩ م .

١٠ - نظام الدين بن الحكيم

هو نظام الدين يحيى بن نورالدين عبدالرحمن الحكيم الطيارى الجعفرى، من نسل جعفر بن أبى طالب ، وهو بغدادى ، سكن فى دمشق مدة . ذكر حوادث بغداد مرارا ، ونقل عنه المقريزى فى تاريخه السلوك وترجمته فى (منتقى معجم الذهبي) لابن قاضى شهبة ، وكان استاذا لا يجارى فى الموسيقى ، خلف الشيخ احمد السهروردى ، فاكتسب منزلة أذعن له بها العام والخاص ، وشهد له فيها رجال الفن فى مختلف الاقطار ، أخذوا منه الموسيقى كما أخذوا عنه الخط ، وبرع فى التصوير والخرائط ، وكان النقل عنه فى المطالب التاريخية خلد له خير ذكريات وأجل أثر عن العراق.

وترجمه الصفدي فى أعيان العصر وأعوان النصر وكذا صاحب مسالك الابصار ، أوردت ذلك فى كتاب الموسيقى العراقية[1] . والملحوظ أنهما نقلا عنه حوادث تاريخية مهمة تخص العراق وصرحا فى مواطن عن هذا النقل وشهد له ابن فضل‌الله العمرى بالقدرة التاريخية وتوفي سنة ٧٦٠ هـ - ١٣٥٩ م .

١١ - الصلاح الصفدي

هو صلاح‌الدين أبو الصفا خليل بن ايبك بن عبدالله الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤ هـ - ١٣٦٣ م . كان من أكابر رجال عصره وشهرته الأدبيـة والتاريخية لا تجارى ، أودع الخزائن العربية من المؤلفات ما أغناها ، وزاد فى مجموعها جليل الآثار ، ويهمنا الكلام فى آثاره التاريخية . وبلغت من الشهرة والكمال ما يعد ذخيرة نافعة . وفى حالته هذه لم ينس العراق ، ولا ترك التدوين عنه .

---

(١) الموسيقى العراقية فى عهد المغول والتركمان ص٤٤ وما بعدها .

وممن أخذ المترجم عنه نظام الدين بن الحكيم ، والمجد اسماعيل بن محمد ابن ياقوت السلامي المتوفى سنة ٧٤٣ هـ أو سنة ٧٤٤ هـ وكان يتردد بين العراق والشام ومصر وتؤخذ عنه أخبار العراق ، ويعد من الافاضل .

ومن أشـهر كتبـه :

١ ـ الوافي بالوفيات في التاريخ : طبعت منه ثلاثة مجلدات وعندي الجلد الاول منه مخطوط والكتاب يقصر القول فيه ، ولا يفي بما يستحقه من اطراء رأيت مجلدات عديدة منه في نور عثمانية ، والظاهر أنها بخط المؤلف لما أبقى فيها من فراغ في بعض الصحائف بقصد املائه ويذكر في تاريخه هذا عراقيين كثيرين ونقلت منه ما يخصهم ، رتبه على حروف الهجاء وبينهم المعاصر وغير المعاصر ، ينظر الى دقائق حياة الرجل فيبدي ما عنده .

٢ ـ تحفة ذوي الألباب (أرجوزة) تاريخية ، وعليها شرح له ورد ذكرها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (ج٥ ص٤٤٥) ، ومنها نسخة في خزانة المرحوم الاستاذ احمد تيمور باشا وفي المجمع نسخة مصورة منها وجاء كامل اسمها (تحفة ذوي الالباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب) طبعت في المجمع العلمي العربي بدمشق بتحقيق الاستاذ الفاضل الدكتور صلاح الدين المنجد ، وكنت تكلمت في منظومات وارجوزات تاريخية ذكرتها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج٢٦ ص٦٢١ وما بعدها بعنوان أرجوزة علي بن الجهم وبمناسبتها ذكرت هذه الارجوزة وكذا قصيدة محمد ابن عبداللطيف السبكي المتوفى سنة ٧٤٤ هـ وجاءت في مجموعة عمر رمضان وطبقات السبكي (ج٥ ص٢٤٣) .

٣ ـ أعيان العصر وأعوان النصر : وهذا عظيم الفـائدة للتعريف بالمعاصرين . وجاء فيه ذكر عراقيين عديدين ، أطنب في تراجمهم ، ولا يمل القارىء ما ينطق به في كتابه عن دقائق أحوالهم . وغالبهم من شاهده أو قرأ عنه في بعض الآثار ، أو نقل .. فلا يترك النادرة ، ولا يمضي عن النكتة الدقيقة . ويؤسفنا انه لم يطبع لحد الآن ..

والمنقول عن السبكى أنه قال : أشرت اليه بعمله ، ثم استعان بي فى أكثره وهذا لا يحطّ من قيمة الكتاب ، والتاريخ مبناه النقل ، والاستعانة ضرورية ، والرجوع الى من هو دون السبكى واجب لازم فمن الاولى الرجوع اليه ..

٤ ـ نكت الهميان فى نكت العميان : طبع فى مصر . منه نسخة مخطوطة كتبت سنة ٧٧٤ هـ فى خزانة المتحف العراقي فى بغداد .

٥ ـ تاريخ على السنين : فى مكتبة الاحمدية فى حلب جزء منه ، وفيه ذكر المستنصرية ، نقل بحثه عن ابن الساعي المؤرخ . ذكر ذلك الاستاذ محمد راغب الطباخ الحلبي فى (مجلة المجمع العلمى العربى ج٤ ص٤١) .

٦ ـ جواهر السلك فى الانتصار لابن سناء الملك : فى اللغة والادب انتصر لابن سناء الملك فيما رد به الصفى الحلى وابن بشارة فى كتابيهما للاول العاطل الحالى والمرخص التالى[1] . وللثانى نظم الدر فى نقد الشعر . وعندى مخطوطة جواهر السلك وكتبت لخزانة ابن فضل الله العمرى . ويليها تكملة بعنوان (علاوة وتلاوة) .

٧ ـ كتاب غوامض الصحاح للجوهرى : منه نسخة فى الاسكوريال ج١ ص١١٤ .

٨ ـ تصحيح التصحيف : منه نسخة فى أيا صوفيا برقم ٤٧٣٢ .

٩ ـ الغيث المسجم فى شرح لامية العجم : طبع فى مصر أكثر من مرة ورد عليه الميدانى وعندى مخطوط منه . وكل هذه مهمة فى تاريخ الأدب العربى .

وحياة الرجل معروفة وذكر مؤلفاته بل الاتصال بها رأسا مما يهم كثيرا .. وجاءت ترجمته فى طبقات السبكي ج ٦ ص ٩٤ ، وطبقات الشافعية للاسدى ورقة ٨ والدرر الكامنة فى مادة خليل بن ايبك ، وفى مفتاح السعادة وفي دائرة المعارف الاسلامية ،

---

(١) طبع فى المانيا حديثا بتحقيق المستشرق هونرنباخ .

وفي معجم المطبوعات ص١٢١٠ وفيه ذكر المطبوع من آثاره وتعرض لذكر الوافي بالوفيات خاصة .

١٢ - تاج الدين السبكي

من علماء الشافعية مصري أقام بدمشق وولي قضاء القضاة ، وطبقاته الكبرى متداولة ومطبوعة . وهو تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين علي ابن عبدالكافي . ويعد من مشاهير العلماء ومن المؤرخين المعروفين تعرض في مقدمة طبقاته الكبرى لحوادث المغول . فهو مرجع مهم ، وعندي بخطه طبقاته الصغرى و (معيد النعم ومبيد النقم) وعندي (عقيدة السبكي) منظومة مهمة ومخطوطة عليها تصحيحه بخطه . ونسخة اخرى . رد فيها على آراء شيخ الاسلام ابن تيمية ضمنا ولم تكسب نجاحا وتعرض له في مواطن من طبقاته وأبوه كتب ردا على شيخ الاسلام في كتابه (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) . ورد عليه ابن عبدالهادي في كتابه (الصارم المنكي في الرد على السبكي) ، والمترجم من العلماء ومؤرخ فاضل وترجمته في كتاب (المؤرخون الدمشقيون) ص٥٣ وفي معجم المطبوعات ومؤلفات تاريخية كثيرة لا سيما في كتاب « بيت السبكي » . وطبقاته تهم التاريخ العلمي أكثر ومن طبقاته نسخة في خزانة الآثار وهو المجلد الاول وفيه بعض النقص ، ويحتاج في طبعه لمراجعة نسخ عديدة كما يجب أن تراجع طبقاته الاخرى والا فالطبعة الموجودة مغلوطة كثيرا . وتوفي سنة ٧٧١ - ١٣٧٠ م .

١٣ - ابن كثير

هو عمادالدين اسماعيل بن عمر بن كثير البصروي ثم الدمشقي ، الفقيه الشافعي ، ولد سنة ٧٠٠ هـ وتفقه بجماعة ، وانتهت اليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير .

وقال فيه ابن حجي وهو من تلامذته :

« أحفظ من أدركناه لمتون الاحاديث ، وأعرفهم بجرحها ورجالها

وصحيحـها وسقيمها ، وكان اقرانه يعترفون له بذلك ، وما أعرف انى اجتمعت به على كثرة ترددى اليه الا واستفدت منه .. » اهـ

وكانت له خصوصية بشيخ الاسلام ابن تيمية ، ومناضلة عنه .. وان شيخ الاسلام أثنى على تفسيره وكان فى سن الشباب ، ومدحه كثيرا ورجحه على سائر المفسرين فكيف به وقد عاش بعـد ذلك نحـو نصف قرن .. وجاءت ترجمة ابن كثير فى الرد الوافر ص٤٨ .

وأطنب السخاوى فى تاريخ ابن كثير (البداية والنهـاية) وتعرض لذكر ما ذكره قبل الاسلام والاسرائيليات ، ومكانتها فى التاريخ وأشار الى انه تعرض لموضوعها فى كتابه (الاصل الاصيل) فى تحريم النقل من التوراة والانجيـل .

وسبق أن ذكرت أنه اعتمد أبا شامة ونقل ملخص تاريخه لما يخص أيامه ، الى سنة ٦٦٥ هـ ، ثم نقل عن البرزالى لما بعد ذلك ، ولخص ما ذكره في كتابه (المقتفى لتاريخ أبي شامة) .

والمترجـم من أكابر المؤرخـين ، صادق اللهجـة ،كامـلاً ..[1] وملاحظاتنا عليه انه يتعرض للحوادث وما اتصل بها من رجعة الى الماضى كما فعل بالفاطميين ، وبجامع دمشق وحادث احتراقه وتقلبات يد الزمن عليه ، وفى استطراداته ولفتاته هذه فوائد لا تنكر ، وتعد من أكبر مزايا الكتـاب .

ولا تسقط مزاياه بالعثور على (تاريخ البرزالى) المسمى (بالمقتفى) ولا بالاطلاع على ذيل الروضتين ، أو طبع الروضتين نفسها ، فان المؤلف له وجهته الخاصة .. وأوضحت فى تاريخ البرزالى وفي تاريخ ابن الجزري ما يعين العلاقة ، ويؤدى الى معرفة الزيادة ..

وهذا ما قاله السخاوى :

« مات فى شعبان ـ سنة ٧٧٤ هـ ـ ١٣٩٢ م ـ عن ٧٤ سنة ، بدمشق

---

(١) الاعلان بالتوبيخ ص ١٥٠ .

الحافظ العمدة المؤرخ المفسر .. ابن كثير .. القيسى البصروى ، ثم الدمشقى ، صاحب التفسير ، والبداية والنهاية ، وغيرهما .. وسارت فى كافة البلاد ، وانتفع بها الناس ، وكان كثير الاستحضار ، حسن المفاكهة ، أثنى عليه الأئمة ، وأضر فى آخر عمره وهو القائل فى خاتمة سنة ٧٦٨هـ :

تمر بنا الأيام مراً وانما
نساق الى الآجال والعين تنظر
فلا عائد ذاك الشباب الذي مضى
ولا آيل هذا المشيب المكدر
ومن بعد ذا فالعبد اما منعم
كريم واما بالجحيم يسعر » اهـ[1]

وعلى كل حال كان من مشاهير مؤرخى العالم الاسلامى ، اشتهر بصدق اللهجة والتدوين للتاريخ ، فلم يدار احدا ، ولا كتب لرغبة ملك أو أمير . فهو من أجل رجال العلم .

تاريخه (البداية والنهاية) :

من خير الوثائق . وطبع فى ١٤ مجلدا على نسخة بايزيد وخير ما فيه ما جاء بعد تاريخ البرزالى بل ان البرزالى لم يعرف تاريخه كله ، فقد حفظ لنا بقاياه فيما اذا لم نطلع عليه ، أولا يمكن العثور عليه ، وهو أيضا من خير الوثائق المعاصرة ..

ولا شك ان استفادة تاريخ العراق منه لا تنكر ، وهو مما يعول عليه ونقل عمن اعتقد انه ثقة ، وكان جليل الاختيار ، عارفا بالرجال .. فلأخباره مكانة خاصة . والمرء فى هذه الحالة يجب أن يراعى المقابلات التاريخية فينبغى أن لا نهمل المؤرخين الآخرين مثل ابن الجزرى والبرزالى وغيرهما فى الحوادث والايضاح عنها .

---

(١) وجيز الكلام : للسخاوى . مخطوط .

والعراق متصل بالشام وعلمائه سواء من طريق الحج أو العلاقات العلمية والأخذ بها ، وهناك الهمس فيما لا يستطيعون الجهر به ، فيكتب الشاميون ما عندنا ، أو نكتب عنهم •• فاذا لم يذكر المنقول عنه الخبر فهذا سببه ، أو ذكر فان التاريخ لا ينشر فى ساعته ، ويسير خبره فى حينه فينسى تأثير الواقعة •• وحينئذ لا مانع أن تعرف ••

انقرضت حكومة المغول ، وظهرت وثائق ، فانكشف أمرها ، ونشر ما كان يخشى من نشره ، أو يحاذر العلماء أن يبوحوا به لأحد •• وارادة الله غالبة والتكتم يزول ، وتحصل اثارة المعرفة ، وأعمال الحكومات والامم تدون ، والسياسة المكتومة تفضح يوماً ما • وصلاح الدولة فى أن تدوّن عنها خير الأعمال ، وتسجل أفضل الوقائع ، وتعلن خير ما يحب •

هذا • وكل ما أقوله انى رأيت من تاريخه هذا قبل طبعه ثلاث نسخ فى خزانة محمد الفاتح باستنبول منها نسخة جليلة تصلح للطبع •

والملحوظ ان تدوين التاريخ كان فى الشام ومصر تكاثرت الرغبة فيه وزالت فكرة ان التاريخ يجب أن يؤخذ من ايران عن المغول خاصة • فلما رأينا الآثار الجليلة قطعنا بان العرب لم يهملوا تاريخ المغول •• ومع هذا أمكن الجمع لمعارضة النصوص ، ومقابلتها ، وتصويب الاعلام وما ماثل من تفاصيل بعض الوقائع ، فلا يستغنى بواحد عن الآخر ••

وترجم الاصل الى التركية محمد بن محمد بن دلشاد • قال ابن قاضى شهبة وقفت عليه بخطه •• ووقفت على مختصر منه لخصه بعض أصحابنا • قال : وهو ممن جمع بين الحوادث والوفيات ، وأجود ما فيه السير النبوية وقد أخل بذكر خلائق من العلماء • لخصه من تاريخ البرزالى وغيره وكتب الى قبيل وفاته بسنتين •• ولخصه العينى فى البدر تماما ، والحافظ ابو الفضل ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ هـ •

هذا ما جاء فى الاعلان ص١٤٣ وفى كشف الظنون ••

الذيول على تاريخه :

١ ـ ذيل عليه ابنه • فى مجلد •

٢ ـ انباء الغمر فى أبناء العمر يصلح أن يكون ذيلا • ابتداه سنة مولده ويوافق تكميل حوادثه •

٣ ـ ذيّل عليه ابن حجى • ومات عنه وهو مسودة • وجاء فى تاريخ آداب اللغة العربية للاستاذ جرجى زيدان ج٣ص١٩٤ ان شهاب الدين ابا العباس احمد ابن حجى السعدى الحسبانى المتولد سنة ٧٥١ هـ والمتوفى سنة ٨١٦ هـ ود ذيل على تاريخ ابن كثير وان أثره فى خزانة برلين العربية ورقمه ٩٤٥٨ واسمه (عبر الابصار وخبر الامصار) •

٤ ـ اخذ هذه المسودة التقى ابن قاضى شهبة فبيضها وزاد عليها ولعله الذى ذكره صاحب تاريخ آداب اللغة العربية •

٥ ـ الصلاح محمد بن شاكر الكتبى الدمشقى المؤرخ •

١٤ - ابن رافع السلامى

كانت بغداد عاصمة الخلافة والثقافة معا من سنة انتقال الدولة اليها سنة ١٤٨ هـ (٧٦٥م) ، وبقيت محافظة على تكامل هذه الثقافة الى ما بعد زوال الخلافة العباسية ظهر فيها أكابر فى السياسة والعلم والأدب والنحل والمذاهب الدينية والشرعية والفنون •••

كتب الخطيب البغدادى أحوال هؤلاء الى عصره فى كتابه الخالد (تاريخ بغداد) ، ولم يقف أمر التدوين عند رجال العراق ونسائه وانما توالوا ، وزادت التدوينات عنهم بما كتب من ذيول على كتاب الخطيب • وكان من أشهر هذه الذيول (تاريخ ابن النجار) ، وهذا أيضا توالت الذيول عليه • ومن آخرها (المختار المذيل به على تاريخ ابن النجار) ، وهذا تاريخ ابى المعالى محمد بن رافع السلامى • وهو مترجمنا •

أكمل هذا الفاضل السلسلة فى رجال بغداد ونسائها من أرباب المواهب منها ومن الواردين اليها ، فكان عمله عظيما وخدمته فائقة الا أن الايام بخلت به ففقد كما فقدت ذيول تاريخ الخطيب وابن النجار ولم يبق الا بعض أجزاء منها متفرقة مبعثرة . ولم تتأهب الهمم لاحيائها ، ومن دواعى الاسف بقاء الموجود منها مهملا وضياع القسم الآخر .

عثرت على مختصر من تاريخ ابن رافع فلم أتردد فى نشره . طبعته سنة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م . وهذا المختصر هو (منتخب المختار) المذيل به على تاريخ ابن النجار ، ويحوى ٢٠١ من التراجم ، انتخبه الاستاذ تقى‌الدين محمد بن احمد الفاسى المكى مؤرخ الحجاز المشهور المتوفى فى شوال سنة ٨٣٢ هـ ، فكشف عن صفحة من تاريخ العراق لعهد المغول والجلايرية، فكان خير تحفة جلا بها عن تاريخنا .

ولابن رافع مؤلفات أخرى منها (الوفيات) ذيل بها على (تاريخ البرزالى) ، واعتقد ان التقى الفاسى اختصرها ومنها نسخة فى خزانة الاوقاف العامة بين كتب الاستاذ نعمان خيرالدين الآلوسى ، وذكر الاستاذ الدكتور صلاح‌الدين المنجد فى كتابه (المؤرخون الدمشقيون) ان أصل (الوفيات) منه نسخة فى دار الكتب المصرية وأخرى فى بانكبور فى الهند . ومعجم شيوخه مفقود .

وتوفى ابن رافع سنة ٧٧٤ هـ . وترجمته فى الشذرات ، وفى الرد الوافر ، وفى الاعلان بالتوبيخ ص١٦ و١١٢ و١٢٤ وفى وجيز الكلام للسخاوى والضوء اللامع والدرر الكامنة وذيول تذكرة الحفاظ ص ٥٢ وص ٣٦٦ والملحوظ أن اصحاب هذه المؤلفات نعتوه بأفضل النعوت ، وكان والده من العلماء وحياته‌معروفة ، ذكره صاحب غاية النهاية(ج١ ص٢٨٢) .

١٥ - ابن بطوطة

ان الاتجاهات التاريخية لا تحصى بالنظر الى مخلفات أسلافنا ومعرفة ما قاموا به من أعمال للحضارة ، فاذا كان التعريف برجال الامة ، أو العلاقة

بوقائعها ، أو ببلدانها وعماراتها ، أو مشاكلها الاجتماعية والدينية والاقتصادية ضروبا للمعرفة ••• فلا شك أن ما أبقته الامة أو تركته مما يوصل الى معرفة الحضارة يعدّ أكثر فائدة أو يوضح الواحد الآخر ، ومثله الاتصال بالاهلين وادراك نفسياتهم مما لا تلتفت اليه الحوادث العامة والخاصة كثيرا وانما يلاحظ من حيث المجموع وتفكيره أو ضروب معرفته •

ومثل هذا لا تدون وقائعه اليومية ، وانما يعرف من تراكم المعلومات والمتروكات ، ومعرفة المجتمع توضح فى نظرة السائح اليهـــا فيتبصر بها مجموعة ناطقة بلسان حالها ، وباوضاعها المشهودة بادية للعيان لا يحتمل فيها تردد النظر الصادق بخلاف الخبر فانه يحتمل الصدق والكذب • وهذا محل المظنة من السائح •

وهذه دوّنها أرباب الرحلات أحيانا ، وسجلوا ما رأوا ، ويضاف اليها ما شاهدوا من أقوام ومجتمع ، وحياة نراها بادية للعيان • ولا شك أن ما يقصه الرحالون فى ذلك مما لا يحتوى فيه هذه الأمور فيكون فيه قد أهمل بصره وبصيرته ، وهذا مستبعد نوعا ممن أهب نفسه لمثل هذا ، والرحلات المهمة معدودة ومحدودة •

وأما النقل من أفواه الناس فانه تابع لمعرفة المنقول منه أو جهله ومن ثم يقع الرحالون أحيانا فى أغلاط كهذه كثيرة ••• وفيها الحالة مائلة تنطق أكثر مما يعمل الشخص الواحد فهو حال المجموع •

كتب رحالون عديدون عن أحوال قطرنا ، وخلدوا ما يدعو الى الالتفات ويعد لونا خاصا من ألوان التاريخ أو وجها من وجوه الجغرافية الاجتماعية أعنى به (عمل الامة للحضارة) وللمجتمع معا ومن هؤلاء رحالنا الاشهر ومؤرخنا (ابن بطوطة) وهو محمد بن عبدالله اللواتى ، ولد بطنجة سـنة ٧٠٢ هـ ـ ١٣٠٤ م • وبدأ رحلته سنة ٧٢٥ ـ ١٣٢٥ م ودامت الى سنة ٧٥٤ هـ طوّف فى أقطار عربية واسلامية عديدة • ورد العراق ، وكان أنهى الحج فى ذى الحجة سنة ٧٢٦ هـ وسار مع الركب العراقى قطـع مراحل فوصل الى المدينة المنورة ، ومنها عيّن مراحل السير الى نجد وهكذا

حتى انتهى الركب الى مشهد الامام علي رضى الله عنه (النجف) •

بيّن طريق الحج وعدّد منازله ، وبين رؤساء عشائر العرب فى الطريق • وهم من طيء ، ثم وصل الى النجف وذكر حالتها ، وبعد ذلك سار الركب العراقى الى بغداد ، وسار هو الى البصرة من طريق واسط رفقة عشيرة خفاجة ، وكانت لها آنئذ مكانة • وذكر ما مرّ به فى طريقه ، ورأى بعض القرى ، و(المعادى) قطاع الطريق ، ثم وصل الى واسط ووصفها ، وذكر قرية (أم عبيدة) ومشهد أحمد الرفاعى وكان قصد زيارته ، وكان قطان تلك الانحاء من بنى أسد ذهب بصحبتهم ثم عاد الى واسط ، ومنها سار الى البصرة وذكر المراحل التى مر بها ، ثم وصف البصرة وما رأى فيها ، وقال ليس فى الدنيا أكثر نخلا منها ، وذكر مشاهدها ، ووصف الأبلة وما شاهد فيها من خراب • ومنها ذهب الى عبادان ، وهكذا مضى فى طريقه • قال :

« ومن عادتى فى سفرى أن لا أعود على طريق سلكتها ما امكننى ذلك • وكنت أحب قصد بغداد العراق ، فاشار عليّ بعض أهل البصرة بالسفر الى أرض اللور ، ثم الى عراق العجم ، ثم الى عراق العرب فعملت بمقتضى اشارته ••• » اه

وذكر ما رأى فى طريقه من مواطن ومن بين ما مرّ به من البلدان مدينة (تستر) وذكر جسرها وانه له قوارب كجسر بغداد والحلة ، وذكر ما رأى من قرى حتى وصل الى أصفهان (فى جمادى الأخرة سنة ٧٢٧ هـ) وفيها أخذ الطريقة السهروردية وأورد مشايخ هذه الطريقة ومن أخذ عنه ، وعلق على ذلك ابن جزى (ج١ ص١٢٦) ، ثم سافر الى شيراز بقصد زيارة (الشيخ مجدالدين) • وقال انه عاد لزيارته فى ربيع الثانى سنة ٧٤٨ هـ عندما رجع من الهند ••• وكان آخر العهد به ، وزار مشهد الشيخ سعدى

الشيرازى ومدرسته ومشاهد أخرى • وكان الشيخ صفىالدين الاردبيلي رآهم أحياء واخذ عنهم الطريقة •

ثم مضى فى طريقه الى أن ورد الحويزة ، ومنها مضى الى (الكوفة) ، ومنها سار الى برملاحة ثم الى الحلة • ومنها الى كربلاء ثم بغداد واطنب فى وصفها وذكر سلطانها وهو ابو سعيد فى موكبه وترتيبه وأوضح عمن قبله وعن المتغلبين على الملك بعد موته فجاء ذكر ذلك سابقا لاوانه ثم ذهب الى تبريز وعاد الى بغداد بأمل الذهاب الى الحج • ويتخلل ذلك مطالب مهمة تاريخية ومشاهدات ثمينة••• ورأى ان له مجالا من الوقت للذهاب الى الحج، عزم على رؤية مواطن اخرى فذهب لمشاهدة الموصل وديار بكر فقص ما شاهد وحكى ما رأى فكانت لبياناته قيمتها ، ثم عاد الى بغداد فوجد الحاج على أهبة الرحيل (ج١ ص١٥١) فسار مع الحاج الى الكوفة ومنها الى مكة المكرمة • فى سنة ٧٢٨ هـ •

ثم انه بعد الحج قصد اليمن ، وهكذا مضى الى ممالك عديدة أودعها رحلته • والمهم أنه لم يقصد مملكة أو بلدا بعينه ، وانما كان هدفه ان يسيح فى الارض ، فيدون مشاهداته ، وكل مملكة أو قطر يستفيد من مهمات مدوناته فى رحلته لمعرفة ماضى العهد ، ولم يكن أملنا أن نلخص رحلته • وانما نريد بيان قيمة رحلته وفائدتها لتاريخ العراق ، طوف فى البلاد الكثيرة برا وبحرا ، ثم عاد الى شيراز ورأى فيها مجدالدين المذكور ثانية فزاره وكان قد كف بصره ، ثم سار منها الى أصفهان حتى وصل الى (تستر) فالحويزة فالبصرة ، ومنها الى مشهد الامام علي (رض) ، فالكوفة ، والحلة ومنها الى مدينة بغداد وصل اليها فى شوال سنة ٧٤٨ هـ • وكان السلطان فى بغداد والعراق الشيخ حسن الجلايرى ، وهكذا مضى من طريق الانبار الى أن وصل الى دمشق ، وعدد مراحل سيره ، وهذه الرحلة حررها ابن جزي •

وفى خلال سفراته فى الانحاء العراقية وايران دوّن مطالب مهمة

تتعلق بدولة المغول وبالجلايرية والامراء المتغلبة الآخرين وذكر المشاهد ووصف البلدان التى طرقها ... فكان وروده الى العراق فى سنة ٧٢٧ هـ ، وفى سنة ٧٤٨ هـ ، وفى رحلته هذه أوضح عن العراق كثيرا . أتم ما ذكره ابن جبير أو بين ما تغير من معالم أو أوضح من احداث جديدة ، وتعد من خير ما كتب عن العراق من مشاهدات ، وجاءت مكملة أيضا لرحلة الهروى فى كتاب (الاشارات الى أماكن الزيارات) ، وطبع سنة ١٩٥٣ م طبعة متقنة طبعها المعهد الفرنسى للدراسات العربية بدمشق .

وطبعت رحلة ابن بطوطة فى باريس سنة ١٨٥٣ م ثم فى مطبعة وادى النيل سنة ١٢٨٧ هـ .

وترجمته فى معجم المطبوعات وفى (رحلة ابن بطوطة) للاستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة . طبعت فى القاهرة من لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر .

وفى كتاب (الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى) للاستاذ الدكتور زكي محمد حسن وطبع سنة ١٩٤٥ م بمطبعة دار المعارف بمصر ، وفى (اسلامده تاريخ ومؤرخلر) ص٣٣٠ ، وترجمت رحلة ابن بطوطة الى التركية وطبعت فى ثلاثة مجلدات مع تعليقات فى استنبول .

ولرحلة ابن بطوطة ذيل كتبه محمد جواد ، وطبع باستنبول وهذا الذيل عربيته سقيمة وفيه أغلاط كثيرة ، ومع هذا نافع فى ايضاح مطالب فى الفتوة ، وتوفي ابن بطوطة سنة ٧٧٧ هـ ـ ١٣٧٥ م .

١٦ ـ ابن حبيب الحلبى

هذا المؤرخ يغلب عليه السجع ، ولكنه صاحب نفوذ قوى على الحوادث واجمالها ، واستخلاص زبدتها ، وفيه ما يرغب فى الاخذ ويشوق على قراءة الأثر ..

وهو أبو محمد بدرالدين الحسن بن عمر بن حسن بن حبيب الدمشقي

الحلبي الشافعي المتوفى سنة ٧٧٩ هـ ـ وترجمته جاءت في الدرر الكامنة ، وأعلام النبلاء ، وفي ذيل تذكرة الحفاظ ، وفي الرد الوافر ص٥٠ وفي معجم المطبوعات ، وفي (اسلامده تأريخ ومؤرخلر) •

والمشهور من آثاره :

١ ـ درة الأسلاك في دولة الاتراك • وهذا الكتاب في تاريخ المماليك بمصر من سنة ٧٤٨ هـ الى سنة ٧٧٧ هـ وفيه مباحث مهمة عن بغداد وحوادثها وأخبار رجالها • وأكمله ولده زين‌الدين أبو العز ظاهر المتوفى سنة ٨٠٨ هـ • وصل به الى سنة ٨٠٢ هـ ، ولم يخرج عن أسلوب والده في مراعاة السجع ، وانه يريد أن يبدى قدرة في البيان ، طبع مع التكملة ، بأعتناء (فايرس) و (مرد سنغ) الهولنديين •

٢ ـ نسيم الصبا ، في الأدب • طبع مرارا كما في معجم المطبوعات •

٣ ـ تذكرة النبيه في أيام المنصور وأبيه •

٤ ـ جهينة أخبار ملوك الامصار • مخطوط في خزانة كوپريلي باستنبول برقم ١٠٦٩ كتب سنة ٨١٥ هـ بخط واضح وجلده بديع الصنعة ، ذكر فيه الانبياء ، ثم دولة الفرس ، ودولة القبط واليونان ودولة اليمن ، وملوك الحيرة (والملحوظ أن المؤلف وصف أمراءهم بما لخص به عن هؤلاء ، بكلمات بديعة جامعة ••) ، وملوك الشام ، ثم ملوك الحجاز وبعد ذلك ذكر النبي (ص) ، والخلفاء الراشدين ، وبين ملوك بني أمية ، واستمر في بني العباس ، وأهل الاندلس ، والدولة الفاطمية ، وأوضح دولا أخرى الى ان ختمها بدولة هولاكو •

١٧ ـ عزيز بن اردشير الاسترابادي البغدادي

كانت حوادث العراق المزعجة في تلك الايام بعثرت رجالنا ، ولم ينسوا تعلقهم بوطنهم كان اديبا بالعربية والفارسية ، ورأى ان يكتب بما يصح فهمه في ديار الترك ، فأعلن فضل العراق ،ونوه بمكانته فكان يعد أول من

ولد علاقة سياسية بين العراق وسائر الاقطار بما نشر من أثر جليل .

جاء فى صباه الى بغداد ، وقضى شبابه فيها ولما ورد تيمور بغداد فى ٢٠ شوال سنة ٧٩٥ هـ وضبطها فرّ المؤلف والسلطان أحمد الى انحاء النجف ثم ألقي القبض على المؤلف وجاؤا به الى الحلة وسلموه الى (ميران شاه) ابن الأمير تيمور فانعم عليه بحياته فبقى مدة عنده ، ولم يقف الجيش عند بغداد فتوجه نحو ديار بكر فانتهز الفرصة ليلا من بين ماردين وآمد وفر الى صور ومنها الى سيواس فوصل اليها فى ١١ شعبان لسنة ٧٩٦ هـ — ١٣٩٤ م فنال كل رعاية من السلطان برهان‌الدين السيواسى وقدم اليه كتابه تاريخ « بزم ورزم » وبقى عنده الى سنة ٨٠٠ هـ ، وان ابن عربشاه رجح هذا الكتاب على تاريخ العتبى ، الا انه لم يتعرض للصلة بينه وبين السلطان أحمد الجلايرى فى حين انه يشير الى ان السلطان أحمد بعد ان جلس على تخت السلطنة قتل من أمرائه المعروفين ومن هم تربية السلطنة وأعيان رجال الدولة الواحد بعد الآخر واتصل بجمع من الاجلاف وأصحاب السفاهات والدنايا فكان نديمهم ، اتخذ أمراء من الاوباش ومن لا يعرف ، فاضطربت الاحوال وتشوشت الامور . هاجم (تاختامش) تبريز سنة ٧٨٧ هـ — ١٣٨٦ م فى ذى الحجة فدمرها وقتل منها خلقا عظيما ثم هاجمها بعد تسعة أشهر فاتح آخر هو تيمورلنك بجيوشه فكان‌سيل تقدمهم‌جارفافخربوا ايران ، وأضروا بالخلق اضرارا بالغا فاضطر السلطان احمد ان يترك تبريز فالتجأ الى بغداد ، ولكنه وهو فى هذه الحالة لم يتنبّه وانما استمر فيما كان فيه من سوء الحالة ومصاحبة الاشرار والانذال ولم يعتبر بما جرى فكان المؤلف يأسف لما وقع منه ... وكان فى نيته أن يأتى الى السلطان برهان‌الدين ، ولم يرض عن سوء ادارة السلطان أحمد وانما كان من المتذمرين الناقمين .

هذا هو أثره الخالد (بزم ورزم) . وفيه ظهرت مواهبه ، مطالبه مهمة عن العراق فى القرن الثامن الهجرى وجلا عنه الغموض وكان نديم السلطان أحمد الجلايرى .

ثم ان المترجم بعد ذلك سار الى مصر ، وعاش فى القاهرة بعد ان ذاق من المصائب ضروبا ومن الأرزاء أنواعا ، واثنى عليه ابن عربشاه وعده من عجائب الدهر ومثله فى كشف الظنون قال ابن عربشاه فى عجائب المقدور :

« ثم ان الشيخ عبدالعزيز (عزيزاً) هذا بعد لهيب هذه النائرة انتقل الى القاهرة ولم يبرح على الابراح ومعاقرة راح الاتراح حتى خامرته نشوة الوجد فصاح وتردى من سطح عال فطاح ومات منكسرا ميتة صاحب الصحاح » اه

واما مرتضى آل نظمى فانه أشار الى انه كان مقبولا عند الاكابر ، ومرغوبا لدى الافاضل فمضى أوقاته بهذه الصورة الا انه كان مبتلى بالشرب ، وان له ديوانا عربيا وآخر فارسيا .

والكتاب يبين عن خبرة واطلاع فى الادبين العربى والفارسى نثرا ونظما وانه كان ذا قدرة على البيان وبين ما أورده من الشعر ما هو من نظمه سواء كان عربيا أو فارسيا وكان أول وروده الى السلطان برهان‌الدين مدحه بقصيدة عربية ، وان تحصيله كان عربيا ونشأته فى العراق فكانت تغلب عليه العربية أكثر من الفارسية واهتمامه بها أزيد الا ان القوم لا يعرفون العربية وكانوا أقرب للتأثر بالآداب الفارسية فاضطر أن يكتبه بالفارسية وبها كانت معاملات القوم ومحرراتهم ، ولم يشر المؤلف الى انه كان يعرف التركية ، ولكن التأليف يشعر بقدرة واتقان علمى أدبى ، وهكذا كانت معرفته بالفلك ، وتعبير الرؤيا وانه مختص بهما أما التصوف فنجده متأثرا بالقسم الغالى منه ، يطرى جلال‌الدين الرومى ، ويثنى على الشيخ محي‌الدين ابن عربي .

•

وطبع تاريخه فى استنبول سنة ١٩٢٨م فى مطبعة الاوقاف ، على نسخة أياصوفية المرقمة ٣٤٦٥ مع مقابلته بنسخ أخرى خطية وهذه النسخة مكتوبة بخط خليل بن احمد الخطاط المشهور الذى كتب بخطه ديوان القاضى برهان‌الدين

ومنه نسخة فی المتحفة البريطانية ونسخة فی مكتبة (الاندرون) فی استنبول ، وأخرى فی مكتبة أسعد ، ونسخة فی مكتبة راغب باشا ، وبرز بوضعه الصحيح ونال تدقيقا زائدا ، وهو وان كان يخص غير العراق فما ذكره عن العراق كان عمدة فيه ، وصاحب خبرة ومعرفة .

ولو كنا عثرنا على ديوان عربی وفارسی للمؤلف لعلمنا شيئا كثيرا عن قطرنا المحبوب كما علمناه من ديوان سلمان الساوجی ولاطلعنا على وقائع تأثر بها الرجل تدعو لكشف المجهول . ولعل التنقيب والتتبع يؤديان الى الغرض .

ورأيت فی متحف الاوقاف الاسلامية فی استنبول (ديوان السلطان أحمـد) .

١٨ - ابن خلدون

التاريخ عندنا من أوائل تدوينه دخله البحث العلمی فنوقش فی متنه وفی ترتيبه ، وتناولته الآراء ولحقته التدقيقات ، وروعيت علاقاته بـ (علوم الحديث) ، وبـ (اصول الفقه) ، و (آداب البحث) فی صحة الخبر أو بطلانه ، وغالب المؤرخين محدثون وفقهاء ، وفی أطواره كلها لم نر الا ترجيحا فی الأساليب أو جمعا للمادة التاريخية ، وما زالت الآراء فی اتصال بالعلوم وتقدمها ، وفی احتكاك دوما وفی تماس وتعارض . والمشاكل التاريخية كثيرة والمناقشات لا تحد ، وهذا ما أدى الى اتقان علمی أو الى انتباه ... وكل تاريخ من تواريخنا المهمة يصلح للبحث فی نهج مؤلفه والهاماته وفی توجيهه للتاريخ ، ومن مجموعها تتكون ثروة تاريخية عظيمة ...

وابن خلدون هو ابو زيد عبدالرحمن بن محمد الاشبيلي الحضرمي المتوفى ٢٦ شهر رمضان سنة ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦ م . كان قد اتصل بممالك كثيرة وملوك عديدين وتولى مناصب مهمة من أجلها منصب (قضاء القضاة) ، فظهر بين مؤرخين كثيرين فكان يعد من أكابرهم ، شاع أمره فی الاوساط

التاريخية ، واكتسب شهرة فائقة جدا . وأكثر ما عرف فى (مقدمته التاريخية)، ومن المؤسف أن لم نعثر على آخر نسخة منها ظهرت

بدت الآراء فى هذه المقدمة كما ظهرت فى تاريخه واشبعت بحثا من علماء كثيرون ولم يتنازع أحد فى تقديم ما عنده ، ومن المهم أن لا تقف الآراء عند حد ، ولا مانع أن يلقي المرء دلوه فى الدلاء ... للاستفادة منها .

كتب ابن خلدون رحلته وحياته بقلمه ، وكذا ترجمه علماء عديدون فلا تتوغل فيها هنا ، وانما جلبت (مقدمته) الانظار أكثر ، وتوجه عليها النقد كما توجه على تاريخه . ولا تزال العلاقة مشهودة ولم تنقطع الى اليوم ، وما ذلك الا لما ولد فى النفوس من آراء متعاكسة مما دعا الى التحقيق العلمى، ونرى العلماء دائبين فى التدوين فى موضوع (كيف يكتب التاريخ) ؟.

أقوال المؤرخين فيه :

فى هذه الحالة نستنطق آراء علمائنا من معاصريه ومن جاء بعدهم ، بالرغم من ان هذه الصلة لا تقبل الا بتحوط ، فلا ينكر التأثر بمن سبق ، فمن الاولى أن نراعى ما هو الاجدر بالاخذ بقدر الامكان لما أننا نعلم ان تضارب الآراء وسيلة للانكشاف وتوضح أدلة كل امرىء بلا خفاء .

ولا نزال نرى بعض الناس يتعصب له ، ويناضل أكثر بالرغم من تباعد العصور ولكننا نحمل ذلك على رأى المتأخر ، وجل أملنا أن ننظر الى ما قيل ، فنقدم بعض الآراء :

١ ــ ان مؤرخنا تأثر بمؤرخين عديدين كانوا فى العهد العباسى ، أو فى عهد المغول وما تلاه ، فلا يحتمل أن يكون بنجوة منهم ، ومن أهم هؤلاء ابن فضل‌الله العمرى ، والصلاح الصفدى والخواجة رشيدالدين وهو من أعاظمهم، وعطا ملك الجوينى وابن الفوطى والبرزالى والذهبى ... كما لا ينكر اتصاله بمؤرخى الامير تيمور ... والتوجيه لمثله تكفى فيه الاشارة ، كما لا ينكر اتصاله بمؤرخين مصريين وشاميين آخرين ...

وكل هؤلاء أو جماعة منهم ومن غيرهم ممن لهم مباحث أكثر فى مقدمته ، وان كان دونها قبل الاتصال بهؤلاء فلا شك انه عدل فيها وبدل • كما أن التاريخ الثقافى ذو تأثير أكبر ، ومادته أعظم • وهكذا يقال فى تاريخه مما عدا المقدمة • ونحن لا نزال فى حاجة الى استقصاء عن المؤرخين المعاصرين ، ومن جاء بعدهم ••• الا اننا فى امكاننا أن نقدم نماذج ممن تأثر به •

٢ ـ ابن عمار ، وكان من الآخذين عنه ، قال السخاوى : انه بالغ فى تقريظه فقال : « حوت مقدمته جميع العلوم ، وجلت عن محجتها السنة العظماء فلا تروم ولا تحوم • » اهـ • فقال السخاوى :

« ولعمرى ان هذه من المصنفات التى سارت القابها بخلاف مضمونها • » اهـ وبهذا نراه لا يسلم بما قال ابن عمار ولا يعين وجوه النقص فيها مع ان أكبر نقص من ناحية التاريخ ، فان المؤرخ لا يملى عليه النهج ، ولا يسير وانما يرى ما لديه وانه يتكلم عن معرفة فيدونها واذا كنا لا نحرم من تنبيه فالتوجيه الحق مقبول • ونقص المقدمة فى العلوم ظاهر •

٣ ـ التقى المقريزى ، وهو صاحبه ، قال فى مقدمته : « لم يعمل مثلها أحد ، وعزيز أن ينال بمهمته منالها ••• » واستمر يبالغ ، فهو كسابقه •

٤ ـ ابن حجر العسقلانى ، قال السخاوى : لم يوافقه الا فى بعض دون بعض وحقق انه لم يكن مطلعا على الاخبار على جليتها لا سيما أخبار المشرق ، وهو بيّن لمن نظر كلامه • وهذا صحيح جدا ، رأيناه اثناء تدقيق (تاريخ العلوم) يقول فى العلوم والخط ان هولاكو دمّر بغداد ، ومال من بقى الى انحاء الشام ومصر ، ولم يبق فيها أثر أو ما هذا معناه فى حين ان العلوم وكذا الخطوط تقدمت فى بغداد تقدما عظيما ، وان الثروة العلمية ، وكذا الخطية اقتبستها الاقطار من بغداد ومصنفات عهد المغول قد طفحت فى بغداد وصارت غذاء الاقطار • ومثل ذلك يقال فى المغرب فقد ذكر (تاريخ علم الفلك) بصورة مغلوطة وغير مدققة نقلا عن اصل تونسى دون علم

بالمجارى العلمية ، فلا تصلح مقدمته للاخذ بتاريخ العلم فقوله ابن اسحق من منجمى تونس وكذا ابن الكماد مما لا يأتلف وحقيقة تاريخ علم الفلك ، وقد وقع كثير فى هذا الغلط ، وجل ما فيها ان طبق علوم الحديث على التاريخ وهو معلوم من علمائنا • ومع كل هذا لا ينكر فضله فى تلخيص تاريخ الثقافة •

٥ ـ النور الهيثمى ، وهذا كان يبالغ فى الغض من ابن خلدون • لكونه بلغه أنه ذكر الامام الحسين بن علي رضي الله عنهما فى تاريخه وقال : قتل بسيف جده ، قال ذلك السخاوى وأوضح ابن حجر العسقلاني انه لم توجد هذه الكلمة فى تاريخه وكأنه ذكرها فى النسخة التى كان رجع عنها كما فى الاعلان بالتوبيخ •

وعلق الاستاذ احمد تيمور باشا أن ابن خلدون نقل هذا عن أبى بكر ابن العربي ولم يكن قوله فالتشنيع عليه ليس بمحله •

٦ ـ أحمد باشا تيمور • قال : لا جدال ان ابن خلدون لم يصب فى بعض المواضع من مقدمته ولكنه لم يكن فيها الا كغيره من البشر فى عدم العصمة من الخطأ ، فالتمسك بهذا القليل لطمس حسناته الكثيرة ليس من الانصاف فى شىء ، وعد قول النور الهيثمى تحاملا •

واقول باب النقد مفتوح فلا مانع أن ينقد من الطريق العلمى ، ويناقش فلا يقبل القول من كل قائل الا بحجة بينة • وهنا المدح والاطراء للمقدمة لا ينكر الا انها لا تقبل كحقيقة قطعية • وقوله فى التاريخ عند العرب كما قال الاستاذ عبدالله عنان : أخبار وروايات • ولا يقول أحد اليوم ان الاخبار تهمل وكذا الروايات فأنها مادة التاريخ وقد أوسع العرب فى علوم الحديث فى الوسائل التى تتحقق بها صحة الخبر وكذا ترجيح الاخبار كما موضح فى كتب اصول الفقه •••

ومن المهم ذكره ان حالة المجتمع ، ووضع اقتصادياته فى زمن ••• تفسر فى بعض الوقائع لا أنها تنفيها • وهذا تابع لفلسفة التاريخ لا للوقائع

التاريخية ، ولذا نرى ابن خلدون لا يتعرض للمنقول ، وانما يعارض فى صحة بعض حوادثه لاسباب اجتماعية أو اقتصادية أو أحوال بينة ... وهذا تابع للمعرفة الكاملة . وفى التاريخ الثقافى تراعى آثار المؤلفين وتوالى أزمانهم ، وصحة المعرفة فى هذه الثقافة ، ولذا نراه اخطأ فى تاريخ العلوم فى العراق ، ولم يركن الى نصوص قطعية أو اطراء فى الثقافة ، وانما غشته الدعاية العظيمة التى أبداها العرب ضد المغول ، وكانوا في حالة حرب ...

هذا ، وان ابن خلدون استفاد من علوم الحديث ومن التراجيح فى اصول الفقه فى الاخبار فهو كغيره من باقى العلماء ، والمعـرفة متساوية ، ويفضل فى أنه وجه توجيها حقا للمؤرخين الذين ليس لهم اشتغال فى الحديث وعلومه ولا الفقه واصوله ، فقرر ما كان معلوما ، وفى (مصطلح التاريخ شرح لما بينه ابن خلدون بالاستقاء من معينه بالرجوع الى (علـوم الحـديث) أو (مصطلحـه) وأغفل (التراجيـح) فى الاصول ، وتوضـح (صحة النقل) آداب البحث والمناظرة أيضا ، ولذا يقولون (ان كنت ناقلا فالصحـة) .

وكل ما أقوله ان تاريخه أقل قيمة من (جامع التواريخ) لانه أوضح عن أمة فاتحة كبيرة اكتسحت أعظم البلاد الاسلامية والعربية ، وان هـذا التاريخ فى مراجعه وجه المؤرخين ودعا الى التدوين بالوجه الذى أوضحه وربما الهم الاستاذ ابن خلدون ما كتب فى مقدمته كما وجه مؤرخين كثيرين فى اعادة النظر فيما كتب بل كتب مؤرخون فعلا ... وهو يدعو الى الابداع بخلاف ابن خلدون .

ولا ريب أن التاريخ يجب أن يكون تدوينه خاليا من التعصب ، وفى صحة الخبر ما يحقق ذلك وكذا فى الشهادة وقبولها . والآراء ونقلها ... فمن الضرورى أن نعرف ما يحف بالخبر وما يتصل من نفسيـات ... وآراء أرباب النحل مشوبة بنفسياتها فى الخلق ... والمهم ان يكتب التاريخ مجردا عنها بقدر الامكان . ولكن يجب أن نفرق بين من يتحامل أو يكذب ،

والتحامل أمر نفسي يشعر بالكره أو البغض فاذا كان كتب أحد بحنق فهذا لا يدل على انه كذب ... وقل ان نرى التاريخ مجردا حتى انه لو كتبه الغربي عن الشرقي لا يخلو من تأثر به ...

وأمر آخر نلحظه اعني الحالات الاجتماعية ، والاوضاع الاقتصادية ، والبيئة مما له تأثير على الحياة في تسيير التاريخ ، وهذا مهم جدا ولكننا نرى المؤلف لم يراع ذلك فى تاريخه بل ان التدوين تابع للمادة والتوجيه مستمد منها . وكل ما يقال انه نبه ووجه الى هذه المطالب .

والمقدمة دعت الى تولد آراء متضاربة ودعت الى مناقشات كان لهـا مكانها ... وان تاريخه لم يتغير وضعه ، وانما حافظ على المنقول وان كان زاد فى البيان عن البربر ببسط أكثر ... بخلاف الخواجه رشيدالدين فقد أوجد تاريخ المغول وان كان مسبوقا بغيره الا ان نهجه فيه يدعو الى الاهتمام والنظر ... ونقل تاريخ ابن خلدون بل بعض أقسامه الى اللغات الغربيـة كما أن مقدمته نقلت الى أكثرها الى التركية وطبعت ، وله مؤلفات أخرى منها لباب المحصل اختصر به المحصل فى اصول الدين للفخر الرازى واضاف اليه من تحصيل المحصل للخواجة الطوسى فى بعض الاماكن منه . طبع فى تطوان سنة ١٩٥٢ م ...

ومن المراجع :

نفس التاريخ والمقدمة ، ودراسات عن مقدمة ابن خلدون . طبعـة دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٣ م للاستاذ العلامة ساطع الحصرى ، و (اسلامده تاريخ ومؤرخلر) ص٣٤٨ ـ ٣٦٠ طبع سنة ١٣٤٢ هـ باستنبول ومعجم المطبوعات فى تاريخ طبعاته ونقله أو اقسامه الى اللغات الغربية ورحلتـه وتاريخ حياته بقلمه ، ومصطلح التاريخ وفيه شرح لاقواله بالاستناد الى مصطلح الحديث (علوم الحديث) وتطبيقها على التاريخ . للاستاذ قسطنطين زريق . ودقائق وحقائق فى مقدمة ابن خلدون طبع سنة ١٩٥٥ م للاستاذ السيد محمود الملاح وكذا نظرة ثانية فى مقـدمة ابن خلدون ورحلته للاستاذ الملاح أيضا ورسالة الاستاذ عبدالله عنان ومحاضرته .

٣ ـ الجغتائية (تيمور واخلافه)

تزكات تيمور :

كان العهد السابق متصلا بالعراق اتصالا زائدا . فكتب المؤرخون عن هذه الصلة سواء كانوا ايرانيين أو تركا ، وكذلك الاتصال بالاقطار العربية وثيق جدا ، وهكذا لم يخف أمر العراق ، ولاجهلت حوادثه الا ان التدوينات كانت على يد عراقيين وعرب وايرانيين معا ...

وأعظم وثيقة تاريخية دونها الامير تيمور نفسه ما يسمى (تزكات) تبين خططه الحربية والسياسية أو هي أشبه بالمذكرات ، أملاها باللغة المغولية وترجمها الى الفارسية ابو طالب ومن الفارسية نقلها الى الفرنسية المستشرق المعروف الاستاذ (لانگله)[1] وهذه موجودة فى مكتبة جامعة (جنوة) وطبعت سنة ١٧٨٧م ومنها ترجمة مصطفى رحمي الى التركية باسم (تيمور وتزوكاتي) طبعت عام ١٣٣٩ هـ وقد عولنا عليها وعلى النسخة الفارسية المطبوعة فى بمبى للمرة الاولى فى مطبعة (فتح الكريم) بتاريخ ٢٩ شعبان سنة ١٣٠٧ هـ وهذه طبعت على نسخة (كلارن) فى لندن سنة ١٧٨٣ م .

وموضوع هذا الاثر الجليل يتضمن ما سار عليه تيمور من القوانين وما عمل بمقتضاه من الدساتير العلمية ، وما ألهمه من الحوادث اليومية والتجارب الشخصية ، فأوصى أن تكون هذه الاعمال خطة أولاده واخلافه من ذريته لتعينهم فى حياتهم السياسية والحربية ... وهى اشبه بما مضى عليه جنگيز من (اليا سا) .

وهذه فى الحقيقة نتائج أعماله فى ادارته وما زاوله من المهام فى حياته فهي التاريخ الصحيح المجمل والوقائع الجزئية امثلة لها وتطبيقات لما قام به . وقد تحرينا تعريبا لهذه فلم نعثر عليه مع انها من الوثائق المهمة للتحقيق عن

---

(١) لانكله مستشرق افرنسى ولد فى بيرون سنة ١٧٦٣ م وتوفى عام ١٨٢٤ م درس اغلب اللغات الشرقية وصار استاذا للفارسية فى مدرسة اللغات الشرقية بباريس ، وعين استاذا فى اكاديمية الرقم وامين المخطوطات الشرقية فى مكتبة باريس . وله مؤلفات أخرى

حياته الصحيحة ولتأييد النصوص الاخرى الواردة عنه أو الطعن فيها ... وينطوى تحتها الاستفادة من الآراء ، والاستعانة بالشورى والحزم والاحتياط فى ادارة المملكة ، وتدبير الامور فى السياسة الخارجية ، والاهتمام بامور الجيش وحسن تدريبه وادارته ... ومنها نرى انه لم يضيع حزما ، ولا تهاون بفكرة بل راعى ما أمكنه من التدابير الصائبة .

وفى هذه وغيرها مما يفهم من مطاوى الكتاب ما يبصر بانه لم يضع حزما ولا فرصة ، ولا توانى عن تسجيل ما رأى وشاهد ، أو صادف بما يعود الى التفكير بما وقع . وبهذا يكذب اعداءه والطاعنين به من ان همه السفك والنهب والقتل أو أن غايته شفاء غليله من البشرية باتخاذها مجزرة له .. وانما راعى المصلحة ونصب الغاية أمام عينيه فلم يتحاش من الركون الى الواسطة مهما كانت قاسية ، وتمسك بالتدابير رغم فظاعة الآلة .. وفى كل هذا لم يضع رشده ، ولم يدع الفرصة ، ولا تأخر عن العمل بها عند سنوحها بلا تهاون أو توان بل لم يعرف التوانى . وانما يحاول بكل ما اوتي من قدرة لادراك مواطن الضعف فى خصومه ، والتطلع الى أحوالهم والتبصر بشؤونهم حتى الشخصية منها ليعرف قوة العلاقة بالاعمال العامة وان كانت ترى لاول وهلة انها ليس لها مساس بشؤون المملكة خارجا وداخلا .

وعلى كل كانت هذه الاوضاع أمامه بارزة .. فاذا غلب ناحية مال الى الاخرى أو غلب هو على امره من جهة ركن الى غيرها حتى يتم الفوز ما دام هو فى الحياة .. وولعه بالشطرنج يعين خطته أكثر ويفسر مذكراته هــذه ...

ففى عهد الامير تيمور ، وأيام صولته ولد اضطرابا واحدث فى النفوس ما احدثه المغول من صولة فاعاد الى الاذهان ذكريات هجوم المغول الماحق ، وأمله أن يكون فتحا كأحدهم ومن هنا داهم البلاد الخطر وارتبكت الاحوال . وان التاريخ كتب فى عهد هذه الصولةوبعدها من علمائنا كما نطقوا به ، ودونه المجاورون ، وجاءت حوادث التاريخمنسلسلة ، مبسوطة بسعة . لانها صادفت

أيام انتباه فى مصر والشام . ولم يخل الامر من تدوين من الايرانيين ، فلم تخف الحوادث المهمة ، والوقائع المشهورة الا ان الخصوصيات فى العراق قد انعدمت ، والتفصيلات التى تهم العراقيين قلّت أو فقدت ، ولم يبق غير القليل منها ، والحاجة ملحة الى هذه المعرفة .

راجعنا وثائق عديدة ويهمنا المعاصر منها ، ولا شك انه أوضح وان كان ممن هو بعيد عن العراق ، وغير عارف بأحواله كما هو المطلوب ، وهنا نعين التواريخ التى كتبت ، ولها علاقة بالعراق .

والملحوظ أن الكلام فى التاريخ ورجاله والا فهناك وسـائل أخرى للمعرفة من مخلدات علميةوأدبية ، ومباني ونقود . وخطوط وتجليدوتذهيب واسلحة وحلى وعمارات مما لا محل لتفصيله .

وهذا العهد يعد من أيام الجلايرية وان كانت له خصيصة قائمة بنفسها فهو فصل من فصوله وفى هذه الحالة استمر فى تواريخ آل تيمور لما بعـد اتصالهم بالعراق ، ودوام ملكهم فى الانحاء الايرانية وما قاربها .

وهنا غالب التواريخ تراعى الدعوة لآل تيمور ، ولا تخرج الوقائع فى غالب أحوالها عن التفسير ، والتأويل لصالحه ، ولكنها لا تغير وجه الصواب ، ولا تراعى غير الصحة فى ايراد الحوادث ، والحب والبغض يغير اللهجة ، ولا يتجاوز التاريخ حدود الواقع . ولم يعهد أن استخدم للسياسة .. وان مزايا الكاتب أن يصدر تأليفه باسم الملك أو الأمير لينال جائزته ، ويراعي حالته فى مدحه وتقديمه . ولكن لا يغير ما جرى أو يسكت‌عما يخل بسمعته . والمبالغة تعرف والتواريخ الاخرى تعدّل والبحث العلمى يكشف الامر ، ويجلو عن الحالة ولا يصح فى هذه الاعتماد على وثيقة دون الاخرى ، والنتائج الحربية معلومة وكذا العلمية .. وانما المهم ان يقابل‌بين الحوادث فى البيان ويتبع التمحيص العلمى ، ولا توجد حادثة وقف عندها قلم جانب دون أن يتعرض لها الآخرون ، وان تيمور وأخلافه كانوا فى نزاع مع المجاورين وربما كان الصواب ان نرجع الى مؤرخي آل تيمور فى الدرجة الاولى

وان نحترس كثيرا من أقوال اعدائهم المملوءة حنقا ، والحوادث تميط اللثام عن وجه الصواب .. حول الكتاب توجيه الافادة ، وتأويل النص لا أكثر .. وهناك اناس موثوق بصدقهم ، فكان لسانهم عذبا ولهجتهم أدبية ، وقولهم صدقا فلم يكتبوا للارضاء ، ولا راعو الرغبة ، وقد مر فى العصور السابقة من هذا شأنهم ..

١ - نظام الدين الشامى

هذا أول بغدادى استقبل تيمور حين وروده بغداد ، بأمل فتحها ، ولم يتعرض بالاهلين فى بغداد ، سوى انه أخذ (مال الامان) ، وأسر بعض الاولاد والنساء للسلطان أحمد ، وقبض على ابنه علاءالدولة ، وأخذ من بغداد كل من كان من أرباب الفضل والصنائع النفيسة مثل الخواجة عبدالقادر المراغى وكثيرين منهم مترجمنا نظامالدين الشامى .

كتب تاريخ تيمور بأمر منه وسماه (ظفرنامه) ، فأوضح وقائعه ، وشاهد دخوله بغداد ، أوضح فيه عن قبائل الجغتاى ، وأحوالهم التاريخية ، ويحتوى وقائع تيمور الى سنة ٨٠٦ هـ أى قبل وفاته بسنة .

ومنه نسخة فى المتحفة البريطانية برقم ٢٩٨٠ أو ٢٣٩٨٠ وان المؤرخ المذكور هو نظامالدين الهروى المعروف بـ (شنب غازانى) .

وتفصيل حياته ، وبيان تاريخه مذكور فى :

١ - حبيب السير ج٣ جزؤ ٣ ص١٧٧ . ومنه استقى صاحب (دانشمندان اذربيجان ص٣٨٠ .

٢ - مطلع السعدين وهو تاريخ فارسى معروف .

٢ - عجم الكرمانى

نظم وقائع تيمور بعنوان (جوش وخروش) . وهو الشيخ محمود زنكى الكرمانى ، وقبيل اتمامه ، سقط فى النهر من قنطرة تفليس فمات سنة ٨٠٦ هـ - ١٤٥٣ م ، وهذا التاريخ لم ينشر كما ذكر صاحب حبيب السير

ولم يعرف موطن وجود هذه النسخة .

وهنا نقول : ان التواريخ المكتوبة فى أيام تيمور من رجاله ، كل ما يصح أن يقال فيها انها ذكر مناقب شخصية ومفاخر ، وان كانت تعين وقائع مشاهدة واتصالات عظيمة ، وحوادث مفصلة .

٣ - صفى الدين الختلانى

من علماء سمرقند ، كتب طرفا من وقائعه باللغة التركية . كما جاء فى كشف الظنون ، ولم يصفه ، ولا بين مباحثه ، والظاهر أنه لم يشاهده .

٤ - اولغ بك

كتب (مغز الانساب) أيام شاهرخ من أولاد تيمور وبأمر منه وهذا التاريخ بين كثير من المؤرخين انه لم يعرف اسم مؤلفه كتبه فى رجب سنة ٨٣٧ هـ . وأكمل به جدول الانساب من جامع التواريخ ، ومنه نسخة فى دار الكتب فى باريس وان مؤلفه فى الحقيقة أولغ بك ، وكانت الاوهام مضطربة فى مؤلفه حتى علمنا من تاريخ حياة اولوغ بك أنه من تأليفه فزالت الظنون والاوهام عنه .

٥ - حافظ ابرو

هو نورالدين بن لطف الله المتوفى سنة ٨٣٤ هـ - ١٤٣٠ م ، وكان هذا المؤرخ قد انتهى بكتابه (زبدة التواريخ) الى سنة ٨٢٩ هـ ، اختصر جامع التواريخ ، ومضى به الى ما بعده فصار مكملا له ، وأصلا يرجع اليه فى اطراد الحوادث ، وفى تاريخ هذه الحكومة شرع فى تأليفه سنة ٨٢٦ هـ ، وسماه (تاريخ مبارك بايسنقرى) ، كتبه لاحد أبناء (شاهرخ) وهو بايسنقر المتوفى فى حياة والده شاهرخ سنة ٨٣٧ هـ . وان المؤلف من العلماء الادباء المعروفين فى هذه الدولة ، وترجمه صاحب حبيب السير ج٣ جزء ٣ ص ٢١٠ .

ونقل الى التركية . ومنه نسخة فى نور عثمانية ، ولا يزال مخطوطا .

ومن مؤلفاته (ذيل جامع التواريخ) .

أحيا (جامع التواريخ) بعد أن كادت تنعدم نسخه ، وكتب (ذيل جامع التواريخ) لشاهرخ ، وقال فى مقدمته انه كان نديم السلطان فى قصص الاخبار ويسمر له فى التواريخ ووقائعها ، ويعتمد جامع التواريخ فالتفت السلطان الى ذلك فأمره أن يكتب له ذيلا فى أحوال السلطان محمد خدا بنده وابنه السلطان أبي سعيد ، ففعل وأتم عصر المغول الى أواخر أيامهم ، وشاعت هذه النسخة .

شاهدت منه أكثر من نسخة ، ولم يذكر اسم مؤلفها ، فتحريت فلم أظفر بطائل ، حتى رأيت نسخة منه فى خزانة (فينة) برقم ٣٢٧ وليس فيها اسم المؤلف ، وأخرى فى خزانة نور عثمانية برقم ٣٢٧١ وجاء فيها : رأيت أن أتم الحوادث ليكون ذيلا لجامع التواريخ المذكور وجمعت الحوادث من كتب متفرقة ، وانا وان كنت لست من رجال هذا الميدان الا أن ما شجع به الاخوان كان أكبر باعث ، وأرجو اصلاح الغلط والخطأ مما لا يخلو منه امرؤ بدأ به من حيث انتهى الخواجة رشيدالدين ، وتكلم على اولجايتو محمد خدابنده فعدد وقائعه وفصلها تفصيلا زائدا ، وذكر الملوك المعاصرين له ، ثم مضى الى أبي سعيد بهادرخان وفصل ايضا أحواله ، وختم أخباره . وبه تم الكتاب والنسخة الموجودة فى نور عثمانية ٧٧ ورقة وخطها واضح ، والبحث مستوفى جدا ، وهو من الكتب المعتبرة فى بابه ، وسمي بـ (جامع التواريخ) غلطا فى حين أنه ذيله .

والاحتمال مصروف الى أن المؤلف المذكور أحد نديمى الملك شاهرخ وهما حافظ أبرو ، وشرف الدين على اليزدى الا أن كثرة النسخ من هذا الأثر والتحري عن اسم مؤلفها لا بد ان يطلعنا يوما ما على صاحبه . ومنه نسخة فى باريس وأخرى فى أيا صوفيا برقم ٢٣٧١ وتوهم بعضهم أنها لمسعود عبدالله ، وانه انتهى منها فى رجب سنة ٨٣٧ هـ .

ولم تمض الا بضع سنوات حتى رأيناه قد طبع فى ايران بعد أن وقف القوم على عدة نسخ منه ، فعلم من مجموع ذلك أن هذا الأثر ألفه الاستاذ

حافظ أبرو ، وجاءت النسخة المطبوعة منه تامة ، وتمضي فى حوادثه الى ظهور تيمور ، فكانت أكمل نسخة ، وان ما يخص المغول منها كان قسما ، والظاهر ان المؤلف اتم القسم الاول ، وانتشر بين القراء ، ثم مال الى أن يتمه الى أيام الامير تيمور .

ومن ثم تحقق ما كنت توقعته فى تاريخ العراق بين احتلالين فى الجلد الاول منه صفحة ٢٠ من أن المؤلف ثانى اثنين ظهر أحدهما وهو الخواجة حافظ أبرو صاحب المؤلفات العديدة ، والمشهور فى الاوساط التاريخية ، فزال الشك .

والظاهر أنه بعد أن أتم (ذيل جامع التواريخ) الى أيام تيمور لنك بدا له أن يلخص تاريخ المغول وتاريخ آل تيمور فى مؤلفه المذكور أعلاه أعنى (زبدة التواريخ) ولا شك ان تاريخ تدوين الزبدة متعين ، وأن الذيل المذكور سابق للزبدة لانه لا يستمر فى الحوادث ، فنعلم تاريخ اشتغاله ، وتطوره ، وذلك انه كتب ذيلاً فى اكمال تاريخ المغول ، ثم أتمه الى أيام تيمور ، فجاء الذيل كاملا ، ثم وجد ضرورة فى تلخيص التاريخين جامع التواريخ وذيله ، والاستمرار بحوادثهما الى ما انتهى اليه تاريخ الزبدة فراعى فى هذا كله الرغبات أو رغبة بايسنقر ميرزا خاصة .

٦ - شرف الدين اليزدي

هو الاستاذ شرف الدين علي اليزدي[١] توفي سنة ٨٥٠ هـ - ١٤٤٦ م وكان أمره ابراهيم ميرزا ابن شاهرخ أن يكتب تاريخ تيمور ، فأمتثل الأمر وكتب تاريخه المسمى بـ (ظفرنامه) ، وجعل لها مقدمة سماها (تاريخ جهانكير) ويقصد بها (تاريخ تيمور) ، أوضح فيها أنساب الجغتاى وقبائلهم ومجمل الوقائع أيام تيمور حتى أيام ابراهيم ميرزا ، أمره بتحريرها سنة ٨٢٢ هـ ، وأتمها سنة ٨٢٨ هـ . منها نسخة فى خزانة بايزيد العامة ، برقم

---

(١) ترجمته في تذكرة دولتشاه السمرقندي .

٤٩٧٥ وفى الفهرست سميت (عالم آرا) وليس بصحيح ومن الذيول عليها (ذيل التاج السليمانى) ويحتوى وقائع السنين من المحرم ٨٠٧ هـ الى سنة ٨١٣ هـ واشتمل على وقائع (شاهرخ) و (اولغ بك) •

أما ظفر نامه فانها منظومة تعرف بـ (ظفر نامة شرف‌الدين يزدى) الا انها لم تضارع الشهنامة للفردوسى ، ولم تكتسب نجاحا وشيوعا • ولما كانت طبعت فى الهند فلا أرى مجالا لوصفها • اذ الوصف فى الحاضر لغو ، وترجمها الى التركية حافظ‌الدين محمد بن احمد العجمى ، واعتمد عليها الغياثى فى أخبار تيمور •

٧ ـ هاتفى

هو المولى عبدالله ابن أخت المولى عبدالرحمن الجامى المعروف بـ (هاتفى) المتوفى سنة ٩٢٧ هـ ـ ١٥٢١ م • وله (ظفر نامة هاتفى) نظمت باللغة الفارسية ، جاء فى كشف الظنون ، نظمها متين ، كتبها فى مقابلة اسكندرنامه من (خمسه نظامى) فى مدة أربعين سنة لانه كان كثيراً ما يخرج بعض الابيات التى لا يجدها مستحسنة ويبدلها بغيرها ومثل الكشف ما فى كتاب (لغات تاريخية وجغرافية) • ومنها نسخة فى أيا صوفيا برقم ٣٢٨٤ مجدولة ونفيسة جداً كتبت على هامش الكتاب • وبين صاحب حبيب السير ترجمنه[١] وقال : لم يتم كتابه هذا وتوفي فى المحرم سنة ٩٢٧ هـ •

حصلت على نسخة قديمة منها الا انها ناقصة الآخر قليلا ، وخطها جميل جدا ومكتوب على كاغد حرير ، وهى من نفائس الآثار •

٨ ـ كمال الدين السمرقندي

هو كمال‌الدين عبدالرزاق بن جلال‌الدين اسحق السمرقندى المتوفى سنة ٨٨٧ ـ ١٤٨٢ م وتاريخه المسمى (تاريخ مطلع السعدين) وأوله : حسن مطلع أنوار أخبار درافتتاح مقال ، ولطف مظهر آثار أخيار در ايضاح مبدأ

---

(١) حبيب السير ج٣ جزء ٣ ص٣٠٤ •

ومال ... ألفه لابى المغزى السلطان حسين بهادر المعروف بـ (حسين بايقرا) من آل تيمور ... وكتب فى منتصف جمادى الآخرة سنة ٨٧١ هـ - ١٤٦٦م فى مجلد ضخم مرتب على السنين ، وهو مهم جدا ، ودون باللغة الفارسية . منه نسخة فى دار كتب أيا صوفيا برقم ٣٠٨٦ وفى مكتبات أخرى ... ولا يتعلق بانحاء العراق منه الا ما حصل استطرادا ، وهو مهم للعلاقة بالمجاورة ، ومؤلفه من رجال العلم والثقافة ، وقد انتدب لمهمات ذات شأن كسفارته الى ملك الصين فكتب بذلك رسالة ، ترجمت الى اللغة التركية وطبعت باسم عجائب اللطائف[١] .

وهنا أشير الى ان الاستاذ المرحوم محمد شرف الدين بك من علماء الجامعة باستنبول الذى اسند اليه منصب (ديانت ايشلري رئيسى) أى رئيس الشؤون الدينية وتعنى (شيخ الاسلام) فى الجمهورية التركية كتب الي فى ٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨ هـ يخبرنى بأن مطلع السعدين المذكور قد ذكر واصف افندى فى كتابه محاسن الآثار أن المرحوم قوجه راغب باشا قد ترجم مقدار ربعه الى اللغة التركية ، ذكر ذلك فى النسخة المطبوعة فى مصر سنة ١٢٤٦هـ فى صفحة ١٤٤ ويبين أنه رآه بخط الوزير راغب باشا .

٩ - ميرخواند

هو الخواجة حميدالدين محمد مير خواند ابن السيد خوارزمشاه البلخى المتولد سنة ٨٣٧ هـ - ١٤٣٤ م فى بلخ وكان له ولع فى التتبعات التاريخية من صغره ، ثم انه ضاقت حاله ، ورماه الزمان فمال الى مير علي شير نوائى وزير حسين بايقرا حاكم خراسان ومازندران وركن الى خزانة كتبه المشهورة فى العالم آنئذ ، فصار يتردد اليها وينتفع بها ، وبسبب الانتساب الى هذا الوزير تعرف بفطاحل العلماء أمثال عبدالرحمن جلبي . وشيخ أحمد السهيلي والخواجه عبدالله مرواريد ، والخواجه افضل الدين محمد ، والوالى

---

(١) اسلامده تاريخ ومؤرخلر ص٣٩٧ ونفس التاريخ .

الخواجة آصفى ، ودولتشاه السمرقندي وغيرهم من أكابر العصر وصفوتهم • اتصل هذا المؤرخ بهؤلاء مما دعا أن يزيد فى التتبع ، ويقوى نشاطه ، فصار يجهد بشوق ورغبة لا مزيد عليها • وانصرف للتاريخ فاقام فى تكية من تكايا هراة براحة وطمأنينة •

سعى سعيا حثيثا لاكمال تاريخه وقبل ان يشرع فى الجلد السابع منه وافاه الأجل على حين غرة عام ٩٠٤ هـ ــ ١٤٩٨ م • عن عمر ٦٧ فى مدينة هراة وجاء فى أحسن التواريخ انه توفي فى ٢ ذى القعدة سنة ٩٠٣ هـ ــ ١٤٩٨ م • فلم يتم تأليفه (روضة الصفا) وانما كان ذلك نصيب ابنه (غياث الدين خواندمير) •

وجاء فى مقدمته ان جمعاً من اخوانه التمسوا تأليف كتاب منقح محتوٍ على معظم وقائع الانبياء والملوك والخلفاء ثم دخل صحبة الوزير مير علي شير وأشار اليه أيضا فكتبه مشتملا على مقدمة وسبعة أقسام وخاتمة فالقسم الخامس منه فى ظهور جنگيز وأحواله وأولاده والسادس فى ظهور تيمور وأحواله وأولاده والسابع فى أحوال سلطان حسين بايقرا ، فالاقسام الاخيرة منه فيها تفصيلات مهمة عن الترك والمغول والتتر ومن يليهم وأوضح الوقائع بكل سعة حتى زمان السلطان بايقرا ، فهو من الكتب الجامعة المستوعبة لتواريخ كثيرة سبقته • وعلى كل هو خير أثر لعصرنا الذى نكتب عنه وللعصور التالية له الى أواخر أيامه وخلاصة لما فيها من حوادث ، ويعد من أفضل المراجع التى عولنا عليها ، ولا يكاد يصدق ان امرءاً واحداً قام بهذا العمل الجليل ، ولا يوجه عليه لوم من ناحية أنه كتب عن الحكومة الجلايرية باجمال فهو بعيد عنها ومع هذا نجد فيه بعض المطالب التى لا نجدها فى غيره • والمؤلف كما يفهم من أسلوب كتابه نهج منهج جامع التواريخ ، ومؤلفات المغول التاريخية الاخرى فاتخذها أساسا ولكنه هذب ونقح ، ورتب أى انه عدل فى الأساليب •• واختصر وحذف الفاظ المدح الزائد والثناء الكثير •

اعتني الهنود والايرانيون بطبعه عدة طبعات والاوربيون زاد انتباههم

اليه أكثر من غيره فترجموا غالب أقسامه الى لغاتهم فكان له أكبر وقع فى نفوسهم • وهو فى الحقيقة يبصر بالوقائع السابقة ويفصل القول فيها بكل سعة[١] ، وعندى بضعة أجزاء مخطوطة منه •

وأول ما رأينا هذا الأثر وأمثاله لمؤرخين ايرانيين أو من كتبوا فى اللغة الفارسية أعجبنا بها واعتقدنا أنها المرجع الوحيد ، ولكن هذه الفكرة زالت بعد اطلاعنا على المؤلفات العربية فأمكن الجمع بينهما وزادت الاستفادة أكثر •••

١٠ ـ خواندمير

هو غياث‌الدين خواند مير بن حميدالدين مير خواند وهذا ممن نشأ على يد الوزير على شير النوائى ودرس عليه وتخرج من مدرسته (مشيخته) ، ولد عام ٨٨٠ هـ ـ ١٤٧٦ م نبغ فى شبابه واشتهر فى حياة أبيه وحصل على مكانة لائقة •

ان الوزير ساعد هذا الشاب أن يحضر المجالس العلمية ، والمناقشات التى تجرى فى المواضيع المختلفة لما رآه فيه من الكمال والأدب الجم والعلم الواسع ولما له من علاقة صحبة مع والده ، برهن المترجم على كفاءته ومقدرته العلمية بما أبرزه من المؤلفات النافعة ، الا ان مجالس الوزير لم تدم طويلا كما ان هراة لم تبق مركز الثقافة ولم يطل أمد نهضتها • فالوزير توفي عام ٩٠٦ هـ ـ ١٥٠٠ م فانطفأ ذلك النشاط الفكرى والقدرة العلمية ، وزالت الرغبة • اذ أن السلطان حسين بايقرا حامى العلم والعلماء توفى بعد خمس سنوات عام ٩١١ هـ ـ ١٥٠٥ م فأخذ يتقلص أمر الالتفات الى التهذيب الفكرى رويدا رويدا حتى زالت الرغبة من البين • فان خلفاء السلطان لم يهتموا ذلك الاهتمام كما أن الاوضاع السياسية كانت غير مساعدة • ظهر الشاه اسماعيل فاضطربت الحالة • وساءت الامور وزال ملك ولديه ميرزا بديع الزمان ، وميرزا مظفر حسين •

---

(١) نفس حبيب السير و (اسلامده تاريخ ومؤرخلر) • وكشف الظنون •

ذلك ما دعا مؤرخنا أن يتأثر للمصاب ، ولما جرى على الحكومة التى حمته ووالده مدة لا يستهان بها • فاختار الانزواء واشتغل بالتأليف ، وحينئذ شرع فى اكمال الجلد السابع من روضة الصفا تأليف والده فأتمه طبق الاسلوب الذى جرى عليه والده وراعى طريقته فى تأليفه ثم اختصره بتمامه باسم (خلاصة الاخبار) •

ولم يقف عند هذه المؤلفات وانما شرع فى مؤلفه القيم (حبيب السير) وهذا هو شاهد عيان عن أواخر العصر التاسع حتى أواسط القرن العاشر وما جرى فى هذا الاوان من الحوادث فى آسيا • ومن هذه الناحية يعد كتابه من من الوثائق المهمة الجليلة • وكله تاريخ عام كتبه باسم استاذه (كريم الدين حبيب الله الاردبيلى) ويبتدىء من الخلقة وينتهى بوفاة الشاه اسماعيل الصفوى ويحتوى على وقائع العالم الاسلامى وله علاقة بتاريخنا عن هذا العهد فهو من المراجع المهمة • واهم ما فيه القسم الباحث عن الصفوية جعل الاصل عين ما عول عليه والده الا انه رأى الاختصار أولى ، وأضاف اليه معلومات تتعلق بعصر تيمور وما بعده الى آخر الايام التى كتب ••• طبع فى الهند فى مجلد ضخم يحتوى على أجزاء ، وللمؤلف آثار أخرى أهمها : (مآثر الملوك) ، و(دستور الوزراء) (وأخبار الاخيار) ، و(مكارم الاخلاق) ، و(منتخب تاريخ وصاف) ، و(جواهر الاخبار) ، و(غرائب الاسرار) ، كتب هذه المؤلفات أيام الجدال الحربى بين الاوزبك والصفويين • وأكبر مساعد له على اظهار هذه الآثار المكتبات الغنية بالمؤلفات الكثيرة والمتنوعة •••

ولما لم يستطع البقاء مع فداحة الأمر • واضطراب الحالة ترك وطنه مكرها عام ٩٣٢ هـ ــ ١٥٢٥ م وذهب الى (بابرشاه) الحاكم فى الهند من آل تيمور فجاء الى (اكره) ملتجئا الى ملكها فرأى منه حسن قبول والتفات • وكان قد أعز العلماء وأبدى لهم توجها كبيرا • وعلى الاخص نال المترجم احتفاء السلطان لما رآه منه من العلم الجم والخبرة الواسعة فى التاريخ وغيره •• وكذا حصل على مكانة لائقة لدى (همايونشاه) ابن بابر شاه ومن ثم كتب المترجم له (همايونامة) لما رآه منه من الالتفات الزائد والاحترام اللائق •••

وفى سنة ٩٤٢ هـ ـ ١٥٣٥ م سار مع الشاه الى كجرات فمرض فى سفره ومات فى الطريق فأمر السلطان أن ينقل جسده الى دهلى ودفن فى جوار أعاظم الرجال المدفونين أمثال (أمير خسرو الدهلوى) و (نظام‌الدين أوليا) ذلك لما كان له من المكانة لديه .

والحاصل أن هذا المؤرخ من أكابر المؤرخين لا يقل عن والده فى تأليفاته التاريخية بل ربما فاقه أو أنه أتم ما قام به والده فمؤلفاته مكملة من ناحية وموضحة من أخرى ... وهى السلسلة التاريخية الموصولة بين دور المغول وبين الحكومات التالية الى زمانه ...

والملحوظ أن المؤلف فى تاريخه حبيب السير لم يتعرض لخصوصيات العراق ، وحوادثه مما لا علاقة له بالاقطار الاخرى ...[١]

والنقص فى هذا التاريخ ظاهر ، وان علاقته بالاقطار المجاورة ، أو البعيدة نوعا مثل العراق . والممالك العربية قليلة . ولكننا فى هذا العهد الذى عاش فيه ، وكتب عنه قد طفح بالآثار التاريخية ، فلا أسف على ما فات..

ومن مؤلفاته دستور الوزراء كتبه باللغة الفارسية وموضوعه جليل جدا ، عين فيه الوزراء فى ايران من أقدم أزمانهم الى أيامه وفيه تعرض لبيان وزراء وملوك سيطروا على العراق وايران معا ، وجدنا فيه من السعة ما لم نرها فى غيره . وأوله مصدر فى هذا الدوبيت :

اي منت احسان توبر خوان همه
فضل توبود منبع احسان همه
درروز حساب هم باذنت باشد
لطف نبوي شافع عصيان همه

تكلم فيه على الوزراء ومن أهم مباحثه كلامه على ابن العلقمي ، وحسن الصباح والاسماعيلية فى مصر وفى ايران والخوارزمشاهية ، وآل مظفر

---

(١) حبيب السير و (اسلامده تاريخ ومؤرخلر) .

ووزراء جنگيز والجلايرية وتيمور لنك والبحوث الاخيرة منه تخص تاريخنا ، وعصره قريب من أشخاص الوقائع ففائدته فيما تعرض له مهمة جدا ...

والكتاب طبع فى ايران طبعة متقنة . وفى كاغد جيد فلا مجال للتوسع فى وصفه ...

هذا ، وكل هؤلاء المؤرخين نشأوا فى تعهد آل تيمور وحمايتهم ، ومؤلفاتهم نالت مكانة .

ولم ينقطع التاريخ فى فروع هذه الدولة ، فقد أسسوا دولا فى الهند ، وظهرت تواريخ فى بيان دولهم وحياتها وانقراضها ..

فلما ظهرت الدولة الصفوية زالوا من ايران ، وبقاياهم عاشت فى الهند مدة ومن التواريخ المهمة التى تعرضت لهم :

١ ـ تاريخ جهانكير .

٢ ـ تاريخ اورنك زيب .

وتواريخ عديدة منها ما هو مطبوع فى الهند ، ومنها ما لا يزال مخطوطا مثل تاريخ اورنكزيب ، وعندى نسخة مخطوطة منه . وظهرت تواريخ أخرى يأتي الكلام عليها فى حينها .



١ ـ دولة قراقوينلو

ان هذه الدولة لم يكن لها مؤرخون يكتبون وقائعها ولا دونوا شيئا يستحق أن يذكر . ولعلنا لم نقف على مؤرخيهم ولم تقم بأكثر من التخريب ، ولم تحافظ على المدنية ، بل ان تيمور على ما سفك وخرب لم يكن قصده التخريب ، وانما أراد الاستيلاء ، ومن لوازمه أن يولد خوفا ورهبة فى النفوس وأكبر دليل على رغبته العلمية والفنية أخذه من وجد من أرباب المواهب لاستخدامهم لمنفعة أمته ، ومملكته .

أما هؤلاء فلم يعرف عنهم الاهتمام بالعلوم ولا بالتاريخ وكل ما علمناه انها قبيلة بدوية تقربت الى الحضارة فحاولت الاستيلاء ، ولم يدر فى ذهنها التنظيم العلمى ، أو حماية العلماء ، ومع هذا لا نعدم من أرخ فى أيامها ، ولكن هذه التواريخ عامة .

ويؤسفنا اننا لم نجد تاريخا تكلم على هؤلاء من رجال هذه الدولة سوى ان المؤرخين المعاصرين كتبوا عن الوقائع الحربية ، والمهم حروبهم فليس لهم غير السفك والنهب .

عاشت هذه الدولة فى العراق من المحرم سنة ٨١٤ هـ - ١٤١١ م ودامت الى ١٤ جمادى الآخرة سنة ٨٧٤ هـ - ١٤٧٠ م .

١ - ابن عربشاه

كتب كثيرون فى تاريخ تيمور سواء تعرضوا لاخلافه أو لم يتعرضوا ، واختلفوا من ناحية التتبع العلمى أو اطراد الحوادث ، أو سبب آخر ، ومن بين هؤلاء أحمد بن محمد بن عبدالله (ابن عربشاه) المتوفى عام ٨٤٥ هـ - ١٤٤٢ م . وولد سنة ٧٩١ هـ - ١٣٨٩ م ويعرف بالعجمى أيضا ، وعليه الاعتماد فى وقائع هذا الفاتح من بين كافة المؤرخين ، فأوضح حوادثه حتى خصوصياته وأحواله النفسية كأنه من مدونى وقائعه ولا نجد الفرق كبيرا بين ما ذكره ، وما كتبه مؤرخو دولته ، وانما يصلح للمقابلة مع مباحث أولئك وما سجله فهو من الوثائق المعارضة .

قال المؤلف فى مقدمة كتابه عجائب المقدور فى اخبار تيمور :

« وكان من أعجب القضايا بل من أعظم البلايا الفتنة التى يحار فيها اللبيب ، ويدهش فى دجى حندسها الفطن الاريب ، ويسفه فيها الحليم ، ويذل فيها العزيز ويهان الكريم ، قصة تيمور ، رأس الفساق ، الاعرج الدجال ، الذى أقام الفتنة شرقا وغربا على ساق . فتحققت نجاسته بهذا الغسل ، اردت ان أذكر منها ما رأيته وأقص فى ذلك ما رويته ... » اهـ وابتت التدقيقات

التاريخية انه من أصدق المؤلفات ، وأحقها بالاخذ ، ومما يركن اليها الا فى بعض المواطن التى ظهر أنها كتبت بتحامل فلا يزال محتفظا بقيمته التاريخية الى اليوم بالرغم مما يبدو من سخطه على تيمور •

والكتاب لم يقف عند تحرير وقائعه التاريخية والاكتفاء بها وانما هو تاريخ الحكومات المعاصرة له ، والتى قارعها واستولى عليها وخاصة ما يتعلق بالعراق ، والحكومة العراقية (الجلايرية) • فقد تعرض لها كثيرا ، وأبان فى موضوعها عن سعة علم واطلاع ، أتمه عام ٨٤٠ هـ — ١٩٣٧ م •

ومما يستحق الذكر هنا أن المؤلف عول فى بعض وقائعه فيما يخص تيمور والعراق على عالم عراقى هو تاج‌الدين احمد النعمانى القاضى الحنفى الحاكم ببغداد فقد قصها نقلا عنه ، وان حادثة بغداد وقعت يوم الاضحى سنة ٨٠٣ هـ الا أنها لا تخلو من مبالغة هى من لوازم عبارات الناقل والتزاماته فى السجع والتهويل كما هو جاري عادته[١] •

ولا يفوتنا أن نقول ان المؤلف ثقة فى هذه الحوادث لما كان له من الاتصال الكبير بعلماء الترك والعجم ، فقد تجول فى سمرقند وبلاد الخطا وما وراء النهر وبرع فى فنون العلم ، وأتقن الفارسية ، والتركية ، والعربية ، والخط المغولى ، وكان يقال له ملك الكلام فى اللغات الثلاث ، واستمر فى تجواله الى بلاد الدشت وسراى ، ثم جاء الى قرم ، ثم قطع بحر الروم (البحر الاسود) الى مملكة العثمانيين فأقام فيها نحو عشر سنين ، وباشر عند سلطانها ديوان الانشاء ، وكتب عنه الى ملوك الاطراف ، فبالعجمى لقرا يوسف ونحوه ، وبالتركى لامراء الدشت وسلطانها ، وبالمغلي لشاه رخ وغيره ، وبالعربى للمؤيد شيخ ، ثم رجع الى وطنه القديم فدخل حلب ، ثم الشام وأطنب صاحب الضوء اللامع فى ترجمته وبيان مؤلفاته ومن بينها (فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء) ، وكان ممن شاهده ونقل عنه[٢] •

---

(١) عجائب المقدور ص ١١٩ •
(٢) الضوء اللامع : ج٢ ص ١٢٦ •

غلب على المؤلف الادب والسجع ، واستعمل ألفاظ الذم والتزم التنديد بتيمور وشتمه بما شاء ، وكل هذا لم يقلل من شأن الكتاب فلم ينحرف عن تثبيت الواقع وتدوين الصحيح قدر وسعه واستطاعته ، بالرغم من كرهه لتيمور والسخط عليه ، وكم بينه وبين شرف الدين اليزدى من التخالف فى الفكرة ، فيرى هذا أن وجود تيمور نعمة ، وذاك يعده نقمة .

طبع الكتاب فى أوروبا ومصر الا أن الطابعين لم يراعوا فيه الاعتناء فى صحة أعلامه ومع كل هذا نال مكانة وحظا وافرا من الاهتمام لدى مؤرخين تالين له ، لخصه المقريزى ، ونقل عنه مؤرخون لا يحصون حتى عصرنا وترجم الى التركية ، وله من المؤلفات كتاب (فاكهة الخلفاء) طبع فى مصر وفى الموصل سنة ١٨٦٩م . ولا يسع المقام بيان ترجمة المؤلف باسهاب.

ويعجب المرء من هذا الرجل المعاصر الساخط على تيمور كيف علم دقائق أحواله ، وأدرك شؤونه بحيث لم يغادر صغيرة ولا كبيرة ، ولا يجاريه من كتب من أهل عصره من أقرب الناس اليه ، وأعظمهم عنده الا أنه ادرك العظمة وكتب بصدق .

٢- تقى الدين المقريزى

من اكابر المؤرخين ترك ثروة تاريخية عظيمة صارت غذاء العصور وليس المحل محل تفاضل فلكل مؤرخ مباحث لا يستغنى عنها ، وهو تقى الدين ابو العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر المقريزى البعلى . عبيدى حسينى والمقريزى نسبة لحارة فى بعلبك ، ويدعى انتسابه للعبيديين في مصر ، عاش فى القاهرة ، ولد سنة ٧٦٦ هـ وتوفى سنة ٨٤٥ هـ .

ومن أشهر مؤلفاته :

١ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، وهذا الكتاب الجليل نال عناية كبيرة من العلماء وطبع مرات عديدة فى مصر . ولا يستغنى عنه بوجه لتاريخ العراق لا سيما عن المغول والعهود التالية لهم .

٢ - كتاب النقود ، طبع مرارا ، ونقل الى التركية .

٣ ـ السلوك لمعرفة الملوك ، لم يتم طبعه ، صححه وعلق عليه الاستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة ، وهو من الكتب التاريخية النافعة ، ورأيت منه مخطوطات عديدة في خزائن استنبول •

ومؤلفاته كثيرة منها ما طبع وجاء ذكرها فى معجم المطبوعات والبعض الآخر لا يزال مخطوطا • كما ان ترجمته ذكرت هناك ومن أجل ما جاء في بيان اتجاهه التاريخي ونهجه فى كتاب (المؤرخون فى مصر) ص٣ وما بعدها • للاستاذ الجليل الدكتور محمد مصطفى زيادة • وفى هذا الكتاب صلات وعلاقات تاريخية لرجال القرن التاسع الهجرى (القرن الخامس عشر الميلادى) • وورد ذكره فى المنهل الصافي ، والدرر الكامنة ، وفى الاعلان بالتوبيخ وتواريخ عديدة •

٣ ـ العينى

هو المؤرخ المحدث العلامة الشيخ بدرالدين ابي محمد محمود بن احمد العينى الحنفى المتوفى سنة ٨٥١ هـ ـ ١٤٤٨ م وهو من مشاهير المؤرخين • ومن مؤلفـاته :

١ ـ عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان • أوله : الحمد لله الذى دلت على الوهيته الكائنات ••• الخ ، قال فى مقدمته : « كنت جمعت فى حداثة سنّي وعنفوان شبابى تاريخا من مبدأ الدنيا الى سنة ٨٠٥ هـ حاويا قصص الانبياء (ع) وما جرى فى أيامهم وسيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وما جرى بعد بين الخلفاء والملوك فى كل زمان مع الاشارة الى وفيات الاعيان ••• ثم بدا لي أن انقحه بأحسن منه ترتيبا وأوضح تركيبا مع زيادات لطيفة ، ونوادر شـريفة ، وضبط ما يقع فيه من المهمات من أسامى الرجال والامكنة المذكورات ترجمته (بعقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان) وفصلته على فصول تسـهيلا للحصول متوّجة بمقدمة تغنى عن أصل التاريخ ومعناها ، وتصبر عن سبب وضعها ومبناها ••• الخ وهو فى ٢٤ مجلدا وتنتهى حوادثه عام ٨٥٠ هـ ـ ١٤٤٧م • ومنه نسخة فى مكتبة ولى افندى فى استنبول كاملة الا ان المجلد العشرين

منها فيه بطش المداد بحيث لا يقرأ الا بصعوبة والنسخة منقولة من نسخة المؤلف الموجودة فى مدرسة البدرية العينية القريبة من الجامع الازهر بالقاهرة المؤرخة يوم الخميس ١٩ جمادى الاولى سنة ٨٩٣ هـ ، وفيها توفي أى المؤلف سنة ٨٥١ هـ - ١٤٤٨ م مع ان التواريخ الاخرى تقول سنة ٨٥٥ هـ - ١٤٥٢ م وقد اعتمدت عليها فى الحوادث الخاصة بسنى تاريخنا العراق بين احتلالين • ويتكلم بسعة عن علاقة سورية بحكومة هلاكو ومن بعده وينم عن اطلاع واسع وتوثق من الاخبار ويعتمد على ابن كثير وعيون التواريخ للكتبى وغيرهما • وحوادثه على السنين وقد أطنب فى تاريخ هلاكو وسماه بـ (هلاوون) وفيه حوادث عامة لا تختص بقطر الا أنها قليلة جدا • ومضى فى أول الامر من حين ابتداء أيام هلاكو فى العراق عن وفيات عراقيين ثم طوى البحث الا نادرا أو ممن توفي من العراقيين فى سورية أو فى مصر وليس فى عبارته تعقد أو تشوش وانما هى بسيطة وسهلة • وكان الاولى أن يرجح طبعه على غيره من سائر التواريخ لهذا السبب ولامتداد حوادثه الى السنة المذكورة أعلاه ••• ولسعة مواضيعه وبسطها •• والمؤسف انه بقي غير مطبوع لحد الآن وقد أخبرنى محافظ المكتبة ان أحد الاساتذة المصريين أخذ نسخة مصورة منه ، وأهم ما يجلب الانظار أنه يعين بوضوح علاقات العشائر بسورية والعراق ببسط زائد وسعة وافية ونافعة جدا ••• ويزيد أيضا ما يتعلق بالحكومات ومفاوضاتها ، والرسل وبعثاتهم ، والمخابرات الجارية مع الملوك •••

هذا وترجمته مدونة فى الضوء اللامع ج١٠ ص١٣١ وهناك التفصيل والنقد الموجه عليه فى تاريخه •••

٤ - ابن حجر العسقلانى

من أكابر المؤرخين والمحدثين وهو الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي ابن محمد الشهير بابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ - ١٤٤٩ م وللمؤلف آثار مهمة ونافعة جدا منها :

١ ـ انباء الغمر فى أبناء العمر • مرتب على السنين ، يبتدىء من حوادث سنة ٧٧٣ هـ قد شاهدت منه نسخا عديدة فى مختلف مكتبات استنبول • والكتاب من أفضل المؤلفات للعصر الذى كتب عنه • ومنه الجلد الاول فى مكتبة السيد نعمان خيرالدين الآلوسى برقم ٣٧٤٤ من كتب الاوقاف العامة ببغداد والنسخة قديمة وغلافها مذهب وتجليدها نفيس • أولها : الحمد لله الباقى ••• الخ • قال فى مقدمتها :

« هذا تعليق جمعت فيه حوادث الزمان الذى ادركته منذ مولدى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وهلم جرا مفصلا فى كل سنة أحوال الدول من وفيات الاعيان مستوعبا لرواة الحديث خصوصا من لقيته أو أجاز لى وغالب ما أورد فيه ما شاهدته أو تلقفته ممن أرجع اليه أو وجدته بخط من أثق به من مشايخى ورفقتى كالتاريخ الكبير للشيخ ناصرالدين ابن الفرات ، ولحسام الدين بن دقماق وقد اجتمعت به كثيرا وغالب ما أنقله من خطه ومن خط ابن الفرات عنه ، وللحافظ العلامة شهاب الدين أحمد بن علاءالدين حجى الدمشقى وقد سمعت منه وسمع مني ، والفاضل البارع المفنن تقي الدين أحمد المقريزى ، والحافظ العالم شيخ الحرم تقى الدين محمد بن احمد ابن علي الفاسى القاضى المالكي •• والحافظ المكثر صلاح الدين خليل بن محمد ابن محمد الاقفهسى وغيرهم ، وطالعت عليه تاريخ القاضى بدرالدين محمود العينى وذكر أن الحافظ عمادالدين ابن كثير عمدته فى تاريخه وهو كما قال لكن منذ قطع ابن كثير صارت عمدته على تاريخ ابن دقماق حتى كاد يكتب منه الورقة الكاملة متوالية وربما قلّده فيما يهم فيه حتى فى اللحن الظاهر مثل اخلع على فلان ، واعجب منه أن ابن دقماق ذكر فى بعض الحادثات ما يدل انه شاهدها فكتب البدر كلامه بعينه بما تضمنه وتكون تلك الحادثة وقعت بمصر وهو بعد فى عينتاب ولم اتشاغل بتتبع عثراته بل كتبت منه ما ليس عندى مما أظن انه اطلع عليه من الامور التى كنّا نغيب عنها ونحضرها • (الى أن قال) ، وهذا الكتاب يحسن من حيث الحوادث أن يكون ذيلا على ذيل تاريخ الحافظ عمادالدين ابن كثير فانه انتهى فى ذيل تاريخه

الى هذه السنة ومن حيث الوفيات التى جمعها الحافظ تقى الدين ابن رافع فانها انتهت أيضا الى اوائل هذه السنة .. ثم قدر الله سبحانه لي الوصول الى حلب فى شهر رمضان سنة ٨٣٦ فطالعت تاريخها الذى جمعه الحاكم بها العلامة الاوحد الحافظ علاء الدين ذيلا على تاريخها لابن العديم . وسمعت منه أيضا وسمع مني ... » الخ .

هذا ما قاله واعتقد فيه الكفاية لبيان قيمة هذا الاثر الجليل والتعريف بمزاياه . وحوادث هذا المجلد تنتهى بسنة ٨١٢ هـ والمجلد الثانى تنتهي حوادثه فى سنة ٨٥٠ هـ وبه يتم الكتاب . أما نسخة الآلوسى فلا شك أنها خير ما رأيت من النسخ صحة واتقانا ، والاولى مراجعتها عندما يراد طبع هذا السفر الجليل . وعليه عولنا فى حوادث هذه الايام فيما وجدنا له فيه من مباحث فهو ثقة ، ولاقول فيه والنسخة واضحة وخطها جميل ولم يكن فيها تاريخ وقد تداولتها الايدى ووصلت الى العراق من الشام . وفى دار الكتب المصرية نسخة منه فى مجلدين بخط عادى برقم ٢٤٧٦ منقولة عن نسخة مكتبة الازهر وفى المكتبة الظاهرية نسخة قديمة منها .

٢ ـ الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة . فهو من أجل الكتب التاريخية وأنفسها فى موضوعه وهو من خير المراجع التى عولنا عليها ويعد من أوثق المصادر . طبع فى دائرة المعارف فى الهند ببلدة حيدر آباد دكن سنة ١٣٤٩ هـ وقد بذلت الجهود فى تصحيحه الا انه لم تراجع المصادر التاريخية للتعليق عليه وتدوين ما فاته من وفيات أو تصحيح ما أوخذ عليه ... ومهما يكن فالمؤلف خير كتاب فى ناحيته ولا أدرى معنى ما جاء أثناء التعليق من بيان النسخ دون ابداء رأى أو مطالعة حولها ... فلم يقم المصحح بأكثر من حادثة مقابلة بين النسخ وما جاء من التعليقات القليلة فلا تسمن ولا تغنى من جوع ... وهو فى أربع مجلدات ، وكأن المطالع يشاهد أربع نسخ معا ، وللطابع الفضل فى هذا ... وان لم ينبه على الصحيح .

وتمتد حوادثه الى ما بعد هذا العصر أى أنه يكاد يستغرق حكومة الجلايرية أيضا مما يتعلق بموضوعنا ...

ويعاب على المؤلف أنه لم يذكر مواطن بعض الاشخاص ولا عرف بطريقتهم الفقهية أو نحلتهم العقائدية ... وأكبر ما يراعى المحدثين ولم يتعرض كثيرا لغيرهم ... وفيه معلومات قيّمة عن المغول والعلاقات معهم... فالكتاب يفيد باعداد المادة للمتتبع ليراعى تصليح الغلط من غيره ... وكان الاولى أن لا تهمل هذه الناحية اذا عرف المراجع التاريخية وتمكن من التنبيه على ما فيها من الاخطاء . وقد اتعبنا هذا الموضوع كثيرا لا من ناحية الترجيح المجُرد بل عن خبرة وتحليل للفظ وما لحقه من تحريف أو تصحيف أو غلط نساخ ... وللمؤلف مصنفات أخرى كثيرة ونافعة فى التاريخ والحديث ، فلا مجال للاطالة .

٥ـ ابن ابى عذيبة

الآراء كثيرة ، ومهما بلغت من الصحة يوجه عليها النقد . ولكنها لا تستدعى النبذ دائما ، فلا يعوّل على كل قول ، ولا يسلم بكل نقد ، واذا كان مع الخواطىء سهم صائب ، وان كل أحد يؤخذ من قوله ويرد ، فلا ريب ان ثروتنا التاريخية تتعين بآثارها المشهودة وبما لحقها من تمحيص ونقد . وبذلك ترتفع قيمتها أو تنحط الا أنها لا تعدم فائدة بوجه . والزمان كفيل بالتقدير .

وابن أبى عذيبة من هؤلاء المؤرخين ، وتاريخه من تلك الثروة ، فاشتهر فى حياة مؤلفه ، وتناوله المؤرخون قديما وحديثا بالنقد أحيانا وبالتنديد أخرى . قال فى انس الجليل بتاريخ القدس والخليل :

« الشيخ شهاب‌الدين أحمد بن محمد بن عمر الشافعى المشهور بـ (ابن زوجة ابى عذيبة) ، مولده بالقدس الشريف ، قرأ القرآن ، واشتغل بالعلم ، وكان من الفقهاء بالمدرسة الصلاحية ، واعتنى بعلم التاريخ ، كتب تاريخين احدهما مطول وهو هذا (كذا قال ناسخ الكتاب) ، والآخر مختصر ، توفي

يوم الجمعة ١٥ ربيع الآخر سنة ٨٥٦ هـ - ١٤٥٢ م ودفن بباب الرحمة • » اهـ •

وجاء تفصيل ترجمته فى الضوء اللامع للسخاوى وتحامل عليه فقال :

« ولع بالتاريخ وجمع من ذلك جملة ، لكنه تتبع مساوىء الناس فتفرق لذلك بعده ، لم يظفر مما كتبه بطائل مع ما فيه من فوائد ، وان كان ليس بالمتقن ، وجمع لنفسه (معجما) وقفت على جلد بخطه وفيه أوهام كثيرة جدا ومجازفات تفوق الحد بل من أجل ما سلكه كان القدح فيه من كثيرين » اهـ •

وقبل ذلك قال فيه الاستاذ عبدالله مخلص • ولا شك أن آثاره تكشف عن حياته وهى أعظم من نقد الناقدين • وللقدس أن يفخر به ، فهو مؤرخ عظيم بالرغم مما قيل ، كتب فى التاريخ السياسى والعلمى والادبى ، وغالب التحامل لم يكن فى محله • والرجل مؤرخ ولم يكن مداحا •

ومن مؤلفاته :

١ - تاريخ دول الاعيان شرح قصيدة نظم الجمان فى ذكر من سلف من أهل الزمان ، فى خمسة مجلدات • أوله : « الحمد لله القديم قبل حدوث الزمان والمكان ، الدائم الأبدى وكل من عليها فان ••• » اهـ •

جاء فى مقدمته « لما وقفت على القصيدة المسماة بـ (نظم الجمان) فى ذكر من سلف من أهل الزمان • فوجدتها بديعة فى بابها ، قريبة من طلابها ، مذكرة بالقرون الماضية ، والامم الخالية ••• أحببت أن أضع عليها شرحا لطيفا يوضح ما فيها من الفوائد الغريبة ، والاخبار العجيبة ، والتواريخ الموقظة من رقدة الغفلات ، المعلمة بما ليس له فوات ، المعرفة بمن كانت الدنيا فى يديه ، فلم تفده شيئا ، ولا أبقت عليه ••• وهى لمن تأملها بحسن النظر ، مقام كل تاريخ وخبر ••• » اهـ •

وذكر النظم وشرحه وبين أحوال الامم القديمة والامة العربية ، وسيرة الرسول (ص) ، والخلفاء الراشدين ، ودولة بنى أمية ، والدولة العباسية والمغول الى آخر أيام تيمور • وفى مباحثه يتناول التاريخ العلمى والادبى بعد ذكر الوقائع السياسية ويعول فى تاريخه على مؤرخين عديدين •

ومن أهم من يستحق الذكر (العمرانى) فانه اعتمد ما ذكره فى تاريخه للخلفاء العباسيين ولم يصرح باسمه على خلاف عادته فى من نقل عنهم ، ولعله لم يقف على اسم مؤلفه وصاحب (نظم الجمان) تبين أنه الشيخ عبدالله الشافعى الكاتب وللناظم شرح عليها ، ومنه ثلاث نسخ فى دار الكتب المصرية •

وكتاب دول الاعيان عندى نسخة كاملة منه ، وان كتاب (انسان العيون فى مشاهير سادس القرون) أحد مجلداته ، وهذا هو التاريخ الصغير لا كما ذكر ناسخ الكتاب •

٢ ـ التاريخ الكبير ، وهذا رأيته فى خزانة كتب قرا چلبى باستنبول بخط مؤلفه • ويبتدىء بالسنة الاولى من الهجرة وينتهى بسنة ١٣٢ هـ بآخر حكم الدولة الاموية ، وهو على السنين • وهو مهم فى مراجعة تاريخ ابن ابى عذيبة للمؤلف نفسه (دول الاعيان) ، ولعل الايام تكشف عن باقى أجزائه •

٣ ـ قصص الانبياء ذكره الاستاذ عبدالله مخلص ، والدكتور أسعد طلس •

٤ ـ الملل والنحل ، ورد ذكره فى تاريخ دول الاعيان •

٥ ـ معجم ابن ابى عذيبة ، ذكره السخاوى كما مر •

٦ ـ مجتلى أخبار ابى العلاء ، ذكره المترجم فى كتابه دول الاعيان •

هذا • وقد عرفنا تاريخه دول الاعيان ، والمجلد الاول من تاريخه الكبير على السنين ، ولا تزال مؤلفاته الاخرى مطمورة ، ولعل التتبع يكشف عنها ، وقد فصلت ترجمته فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ج٢١ ص٣٠٦ وما بعدها وأوضحت من تعرض لذكره ومصادر ذلك بتفصيل •

قصائد واراجيز في التاريخ

لم يكن (نظم الجمان) النظم الوحيد فى التاريخ ، وانما رأينا جملة منظومات فى التاريخ ونظم الوقائع التاريخية كان معروفا من قديم الزمان • وفى العهد العباسى الاول كان ظهور القصائد المنظومة فى تاريخنا وتجلت فائدتها

وصارت تعد (متنا) فى التاريخ كسائر المختصرات ولهذا وبمناسبة هـذه القصيدة أذكر المعروف عندنا منها :

١ ـ قصيدة علي بن الجهم فى التاريخ ٠ والمعتقد أن هذه أول قصيدة فى التاريخ الاسلامى ٠ وكان ابن النطاح المتوفى سنة ٢٤٢ هـ ـ ٨٥٦ م أول من كتب فى (الدولة) العباسية وابن الجهم أول من نظم فى التاريخ هذه الارجوزة، وأقدم مرجع لها كتاب (الفرق) لابى محمد وعندى مخطوطته ٠ واشار السيوطى اليها فى تاريخ الخلفاء بقوله :

« وقد عمل بعض الاقدمين أرجوزة فى تاريخ الخلفاء ووفياتهم انتهى فيها الى أيام المعتمد (كذا) ٠ » اهـ ٠

ويبدو أن (المعتمد) هنا غير صواب ، وانما هـو (المعتز) ، فالتصحيف ظاهر ومحتمل جدا ، لانها كتبت الى أيام (المعتز) ، ولو رأينا النسخة الاصلية لامكننا معرفة التصحيف ، أو كان ذلك سهو قلم ٠

يؤيد هذا أننا لم نعثر على (تاريخ منظوم) قريب من هذا العهد لناظم آخر وأما قصيدة ابن المعتز فانها خاصة فى المعتضد ولم تكن فى جميع الخلفاء وهذه القصيدة نشرها معالى الاستاذ الرئيس السيد خليل مردم بك فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق مع قصائد أخرى لعلي بن الجهم فى المجلد السادس والعشرين صفحة ٤٤ بعنوان (ديوان علي بن الجهم) صلة التكملة وعلقت عليها فى نفس المجلد ص٦٣١ بعض التعليقات ٠

٢ ـ أرجوزة ابن المعتز فى المعتضد بالله (٢٧٩ هـ ـ ٨٩٢ م : ٢٨٨ هـ ـ ٩٠١ م) فى بيان حوادث أيامه ٠ وذكر الحالة قبله ، فجاءت بمثابة تكملة لسابقتها وهذه داخلها التصحيف أيضا كما أنها تحتاج الى ما يوضح نصوصها، ويصحح ما فيها ، ويشرح مطالبها ، وكل ما يقال فيها انها بصرت بالحالة قبله ووقائع أيامه ، وجاء ذكرها فى ديوان ابن المعتز ، وطبعت الارجوزة مستقلة سنة ١٣٣١ هـ ـ ١٩١٣ م ، وكـذا جاءت فى رسـائل ابن المعتز بتحقيق الاستاذ عبدالمنعم الخفاجى سنة ١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٦ م ٠

٣ ـ قصيدة ابن عبدون المتوفى سنة ٥٢٩ هـ ـ ١١٣٤ م ، وهى متداولة وعليها شروح بعضها مطبوع معروف •

٤ ـ قصيدة عبداللطيف السبكى ، وهو ابن يحيى بن علي بن تمام السبكي المتوفى ١٢ ذى القعدة سنة ٧٤٤ هـ • وهذه القصيدة وردت كاملة فى الطبقات الكبرى للسبكي ج٥ ص٢٤٣ وفيها ما يكمل ويصحح ما ورد فى مجموعة عمر رمضان •

٥ ـ أبيات للمؤرخ محمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ •

٦ ـ أرجوزة لسان الدين ابن الخطيب القرطبى المتوفى سنة ٧٧٦هـ • وهذه الارجوزة فى تاريخ الاسلام •

٧ ـ أرجوزة ابي محمد جعفر بن احمد بن الحسين السراج المتوفى فى رجب سنة ٨٠٢ هـ •

٨ ـ تحفة الظرفاء فى تاريخ الملوك والخلفاء ، أرجوزة للشمس محمد ابن احمد الباعونى الدمشقى ، كتبها الى زمان المستعين بالله ، وتوفى فى شهر رمضان سنة ٨٧٠ هـ •

٩ ـ أبيات لشيخ الاسلام ابن حجر العسقلانى تعين الحالة فى أيام المستعين بالله • ذكرها السيوطى فى تاريخ الخلفاء •

١٠ ـ أرجوزة البهاء محمد ابن القاضى جمال الدين يوسف ، ذيل بها على التحفة ، وتوفي فى ١١ شهر رمضان سنة ٩١٠ هـ •

١١ ـ أرجوزة ابن ابي البقاء فى الخلفاء فى مجلد •

١٢ ـ أرجوزة أحمد بن يعقوب المصرى •

١٣ ـ أرجوزة عبدالله بن الحسين بن سعد الكاتب[١] •

١٤ ـ قصيدة السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ ، ذكرها فى آخر تاريخه • ختمه بها فوقف بهذه القصيدة عند الخليفة المستمسك بالله يعقوب بن المتوكل ذكر انه ولي الخلافة فى سلخ المحرم سنة ٩٠٣ هـ ـ ١٤٩٧ م وهذا توفي فى ١٧ ربيع الآخرة سنة ٩٢٧ هـ ، ثم توفي المتوكل فى ١٢ شعبان سنة ٩٥٠ هـ ـ

---

(١) الاعلان بالتوبيخ ص٩٥ وغيره •

١٥٤٣ م وأعقب ابنين عمر وعثمان وبموتهما انقطعت الخلافة كما فى (گلشن خلفا) والخطط التوفيقية الجديدة والاعلام باعلام بيت الله الحرام .

هذه أشهر المنظومات الى آخر هذا العهد . ولا محل لذكر ما بعده .

٢ ـ عهـد آق قوينـلو

هؤلاء وصل الينا بعض أخبارهم ، وتمكنت أن أجد شيئا يذكر فى حوادثهم من مؤرخيهم المعاصرين ، أو الذين كتبوا لهم الا ان الصفحات العلمية والادبية لا تكاد تذكر ومع هذا عثرت على ما يوضح نوعا بخلاف قراقوينلو الذين غابت عنا غالب أخبارهم ، ومن كتب عنهم فى أيامهم ، ويوضح ما علمناه ما جاء فى التواريخ الاخرى لغيرهم ممن عاصرهم ، فتوضحت الامور توضحا كبيرا .

عاشت هذه الدولة فى العراق من ١٤ جمادى الاخرة سنة ٨٧٤ هـ ـ ١٤٧٠ م . ودامت الى ٢٥ جمادى الاخرة سنة ٩١٤ هـ ـ ١٥٠٨ م .

وظهر فى هذا العهد من المؤرخين :

١ ـ ابوبكر الطهرانى الاصفهانى

هو مؤرخ فاضل . كتب فى تاريخ هذه الدولة مؤلفا مهما . وهو :

(ديار بكرية) ويعدّ من المراجع النادرة ، والمعاصرة ، كان يظن أنه مفقود ، وهو فى تاريخ دولة البايندرية (آق قوينلو) في ديار بكر . أوله « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ، حمدى كه أشعهٔ شوارق جمالش منازع رباع اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم منور سازد ... الخ » اهـ . كتب باللغة الايرانية ، قال فى مقدمته : انه عاقته عوائق كثيرة وكانت آماله تغيرها الاحوال النفسية حتى صادف الوقت المرهون أيام أبي النصر والظفر ، غياث السلطنة ... يريد حسنا الطويل ...

وهذا الكتاب سماه بـ (ديار بكرية) وحروفه تعين تاريخ تأليفه وهو سنة ٨٧٥ هـ ـ ١٤٧٠ م ، وأفاد انه كان مشغولا فى التدريس ، وفى مجالس عديدة ، وله تلامذة ، ولكنه انصرف لتأليف هذا الكتاب وتخلص له .

بقي اسم السلطان خاليا لاجل املائه بمداد أحمر فلم يتيسر ولكن مطاوي الكتاب تدل على ذلك ، وذكر المؤرخون انه كتب تاريخا لايام هذا السلطان ، فلم نشك فى اسم الملك ، وعدد اسماء آبائه واجداده ، مما يجعل الامر واضحا.

جاء فى كتاب حبيب السير : « وفى أيام الامير أبى النصر حسن بك من حكومة آق قوينلو ، كان المولى أبو بكر الطهرانى من أهل التأليف ، وهو معاصر له ، كتب تاريخا فى وقائع أيامه وفى أحواله الا اننى لم يقع نظرى عليه • وعد من الكتب المفقودة ، وكنت آمل الاطلاع عليه ، والوقوف على مندرجاته ، فهو من أقدم الوثائق التى لا يستهان بها ، فلما رأيته فرحت به ، ولم يخب فيه الظن ، لما وجدت فيه من المطالب عن بعض الامور ، والبيان الشافى عنها ••• فكان خير مرجع ، وأجلّ أثر •

عثرت على هذه النسخة فى مكتبة الاستاذ العالم الجليل محمد احمد المحامى فى البصرة ، تفضل عليّ بمطالعتها ، وبنسخة منقولة منها قدمتها الى الاستاذ الفاضل السيد مكرمين خليل استاذ التاريخ فى جامعة استنبول • فكان فضل الاستاذ المحامى كبيرا فى هذه المساعدة للتاريخ •

وهذه النسخة قديمة ، وليس فيها تاريخ ، والظاهر انها كتبت فى أيام المؤلف أو أنها النسخة الاصلية ، ولا تقتصر فائدتها على تاريخ العراق ، ولا تاريخ ايران بل تفيد أكثر لتاريخ ديار بكر وما والاها ، وعليها عولنا فى تصحيح كثير من النصوص التاريخية • رأيت علماء الاتراك يعتقدون أن هذا الاثر قد فقد ، ولما أخبرت الاستاذ مكرمين عن وجوده سرّ سرورا كبيرا •

٢ ـ فضل الله بن روزبهان الاصفهانى

هو عالم فاضل وهو فضل الله بن روزبهان بن فضل الله بن روزبهان الخنجي الاصفهانى الملقب بـ (امين) المعروف بـ (خواجة ملا) • وله من المؤلفات :

١ ـ مهما تنامه بخارى . وهى رحلة الى بخارى . لها قيمتها ، منهـا نسخة فى مكتبة نور عثمانية فى استبول .

٢ ـ رد على كشف الصدق ونهج الحق للعلامة الحلى (ابن المطهر) وعليه ردود لنورالدين الشهيدوللمظفر ، نشرت فى كتاب واحد طبعه الشيخ ودآى العطية .

٣ ـ عالم آراى امينى .

وهذا الكتاب الأخير من الكتب المهمة ، والوثائق النفيسة جـدا لعصر التركمان ، تكلم فى تاريخ السلطان يعقوب من ملوك آق قوينلو فهو مكمل لكتاب (ديار بكرية) المذكور ومنه ـ على ما نعلم ـ النسخة الوحيدة فى مكتبة فاتح . مخطوطة فى مجلد واحد ، خطها نفيس ، وكذا ورقها ... مسجلة برقم ٤٤٣١ .

وفيها كانت عناية المؤلف كبيرة فى التحرير ، واظهار المقدرة فى البيان والتعبير ، فكاد يغطى المعنى بحجاب سميك من الالفاظ الادبية ... بالغ فى تصنيعها ، وتجاوز الحد فى السـجع فشـوش الغرض الاصلى من تدوين الوقائع فصارت لا تعرف بسهولة بل نراها قد بعدت عن الغرض بمراحل...!

ولما كان القصد مصروفا الى معرفة حقائق ثابتة عن هـذه الحكومة وادارتها ، والعلوم ودرجة حمايتها والامم ووضعها ... مما نحتاجه لتدوين (تاريخ العراق) ... رأينا هذا التاريخ من المراجع المعتبرة لتاريخ (آق قوينلو) والحكومات المعاصرة لها ، فلا يستغنى عنه بوجه ، ولو لم نقف عليه لتألمنا لفقدانه واستعظمنا ضياعه . وعلى كل فائدته كبيرة ، وفيـه ما ليس فى غيره . فالعثور عليه غنيمة لا تقدر فى بيان حالة العصر .

تقف حوادثه عند سنة ٨٩٥ هـ ـ ١٤٩٠ م وأكثر المؤلف من ذكر الشعر والمديح . الا ان هذا لم يفقد من الأثر مزاياه التاريخيـة . ولما تكلم عن السلطان يعقوب وذكر نسبه قال : انه لا يرى ضرورة لسرده كله فهـو مذكور فى (ديار بكرية) ، وأحال الامر اليها .

ذكر المؤلف اسمه فى الصفحة الاولى من الورقة ٣١ انه فضل‌الله ابن روزبهان بن فضل‌الله الجنجى الاصفهانى الملقب بأمين المعروف بـ (خواجه ملا) ، ومن ثم عرف الكتاب بتاريخ (عالم ارآى امينى) ، وفى الغلاف جعل عنوانه (تواريخ سلطان يعقوب) ، وصدره بدوبيت ... ، ومن مطاوى الكتاب يعرف أن المؤلف من أهل العرفان ، وله اطلاع فى المعقولات ، وسرد تفصيل ترجمته فى الورقة ٣٢ فما يليها ، ومما ذكره انه ذهب‌للحج ، ومرّ بالمدينة والشام ومصر ، ودرس العلوم العقلية وعلوم الحديث ، وحصل علوما جمة ... ثم رجح طريق الرياضة بعد العناء الشديد ، والتحصيل المديد وكان كتب قصة (حى بن يقظان) باللغة الايرانية بشكل ملائم وقدمها للسلطان يعقوب باسم (كتاب بديع الزمان) ، فيه ذكر أنه كتب كتابه هذا أيام ابنه الامير بايسنقر وبأمره ، وجعله فى وضع أدبى نظير (جهانگشاى جوينى). وهذا التاريخ (عالم آراي أميني) هو الذى عبر عنه صاحب (جامع الدول) بتاريخ البايندرية وفى كشف الظنون أنه تاريخ فارسي مختصر لدولة البايندرية . ألفه للسلطان يعقوب ، ثم أتمه لابى الفتح بايسنقر ، وبعد أن بيّن المؤلف خصائص كتابه المذكور شرع فى المقصود . وذكر فى آخره نبذة فى التصوف .

كتبت هذه النسخة فى سنة ٩٢٧ هـ بقلم يوسف المروى (المروزى) ، وهو أقرب الى آخر حوادثه خطه جميل جدا ، بتعليق ، وأوراقه ٢٢٤ وكان من أنفس ما طالعناه أو اطلعنا عليه فى دور الكتب باستنبول لما يعود لهذا العهد .

٤ ـ ثمرة الاشجار ، وهو كتاب فارسى منظوم . قال فى كشف الظنون انه لـ (روزبهان جمال‌الدن) من أعيان دولة السلطان يعقوب .
أوله :

تا بحمد تونعره زد بلبل
همه كوشيم چون درخت كل

ولم يزد على ذلك . ولا شك أنه صاحب عالم اراى أمينى ، مضى ذكر اسمه مفصلا[١] .

والملحوظ أن هذا الاثر وأمثاله كديوان آخر لوزير وقاض لهم يصلحان للتعريف بالحالة الادبية ، والعلمية عندهم الا ان مثل هذه تدل على حالة نفسية خاصة لا تربية عامة وثقافة شاملة ... وموضوع بحثنا المؤرخون وتواريخهم ولم نجد سوى من ذكرنا .

وهذه التواريخ اعتمدها مؤرخون كثيرون تالون لهم ، وغالب ما عوّلوا عليه هذه التواريخ دون غيرها ، أو حوادث المعاصرين من المؤرخين ، والمهم الآثار المعاصرة ، أما ما يتعلق بالآداب والعلوم فقد عثرنا على بعض دواوينهم، وتراجم رجالهم ، مثل (مجمعهٔ نظم) ذكرتها فى المجلد الثالث من تاريخ العراق بين احتلالين مما لا محل للبيان عنها هنا .

والمؤرخون عندنا لم يقفوا عند هؤلاء بل كتبوا ، أو نقلوا أخبار بغداد والعراق ، وأوضحوا مهمات الوقائع سواء كان ذلك أيام قراقوينلو ، أو آق قوينلو أو جميع الدول السابقة فى تواريخ عامة . وان المؤرخين الآخرين عديدون نذكر منهم من وصلت الينا آثاره ، لا على سبيل الاستقصاء والاحاطة.

١ - ابن تغري بردي

هو ابو المحاسن جمال‌الدين يوسف بن تغرى بردى المؤرخ المعروف المتوفى سنة ٨٧٤ هـ - ١٤٧٠ م[١] من المكثرين فى التاريخ وله اشتغال عظيم فيه . ويعدّ من مشاهير رجاله . أخذ عن التقى المقريزى وعن ابن حجر العسقلانى وعن العينى وجماعة وكان السخاوى ينقده فى العربية ويلحنه . وله مؤلفات تاريخية عديدة منها :

١ - المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى .

---

(١) كشف الظنون ج١ ص٣٥٦ .

(١) ترجمته فى الضوء اللامع ج١٠ ص٣٠٥ وفيها نقد كتابه هذا . وترجمته أيضا فى بدايع الزهور ج٢ ص١١٨ .

يريد الوافي بالوفيات فجمعه بمثابة تكملة له ، وأوله : الحمد لله مدبّر الدهور ... الخ ، وهو من أجل الآثار وأعظمها فائدة ، وأجمعها مادة . ويعد دائرة معارف للاشخاص بل اهم دائرة جاء في مقدمته : انه حملته الرغبة ، ولم يكن بأمر أو طلب من سلطان أو أمير ، أو من أحد اعيان الزمان ، ولا مكلّف لتأليفه وانما جعله لنفسه . وابتدأ فيه من اوائل الدولة التركية من المعز ايبك ، وصرح في بعض المواطن انه بدأه بـ سنة ٦٥٠ هـ - ١٢٥٢ م كتبه على طريقة الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) وابن خلكان والصفدي في الوافي بالوفيات وذكر الاشخاص المشاهير من علماء وامراء على ترتيب حروف الهجاء الى آخر أيامه ، فتابع الكثيرين من العلماء في ترتيبهم هذا ، وعنه نقل صاحب الشذرات ، وجعله مرجعا . والملحوظ أن هذا المؤرخ يتحامل على حكومات التركمان (قراقوينلو وآق قوينلو) تحاملا شديدا وله الحق في كثير من المواطن ، وان كان أساس ذلك هو العداء الحاصل بين مصر وبين هؤلاء . ولكن مطالبه جليلة ، ومباحثه قيمة جدا . ويعد من أتم المراجع لهذه العصور . ترجم المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ - ١٤٤١ م قال : وكان يرجع الى قولي فيما أذكره من الصواب ويغير ما كتبه أولا في مصنفاته . منه نسخة نفيسة في مكتبة (نور عثمانية) في استنبول برقم ٣٤٢٨ وهذه النسخة تمتاز في أنها نقلت من نسخة كتبها تلميذه أحمد بن حسين التركمان الحنفي الشهير بـ (المرجى) وتاريخ تحريرها في ١٦ جمادى الاولى سنة ١٠٢٣ - ١٦١٤ م ، ورأيت منه نسخة في خزانة الكتب بـ (سراى طوپقبو) باستنبول .

وله مختصر منه سماه الدليل الشافي على المنهل الصافي وطبع المجلد الاول من المنهل الصافي في مصر طبعا جيدا والأمل أن يلحق به بعد اكماله (كتاب الذيل) عليه .

٢ - حوادث الدهور في مدى الايام والشهور : في مجلد واحد رأيته في مكتبة أيا صوفيا برقم ٣١٨٥ أوله : الحمد لله مدبّر

الدهور ... الخ . جعله ذيلا على السلوك للمقريزى ، وأثنى عليه فقال : أتقن من حرر تاريخ الزمان وأضبط من ألف فى هذا الشأن ، وأجل تحفة اخترعها ، وعمدة ابتدعها كتابه المسمى بالسلوك فى معرفة دول الملوك ، قد انتهى فيه الى أواخر سنة ٨٤٤ هـ - ١٤٤١ م . وقد طبع .

ولم يأت بعده من نعوّل عليه فى هذا الفن ، ولا من يرجع اليه الا الشيخ الامام بدر الدين محمود العينى ، صاحب (عقد الجمان) ، قال الصفدى : فأردت أن أعلم حقيقة أمره فى هذا المعنى ، ونظرت فيما يعلقه فى تلك الايام ، فاذا به كثير الغلطات والاوهام وذلك لكبر سنّه واختلاط عقله وذهنه ، بحيث ان الشخص لا يمكنه الفائدة من ذلك الا بعد تعب كبير ، لاختلاف الضبط ، وعدم التحرير . فلما رأيت ذلك أحببت أن أحيي هذه السنة بكتابة تاريخ يعقب موت الشيخ تقى الدين المقريزى (يوم ١٨ رمضان سنة ٨٤٥ هـ - ١٤٤٢ م) وجعلته كالذيل ... رتبته على السنين ، اهـ ابتدأ فيه من أول سنة ٨٤٥ هـ وقال : ولم أسلك فيه طريق الشيخ المقريزى فى تطويل الحوادث فى السنة وقصر التراجم فى الوفيات بل أطنبت فى الحوادث وأوسعت فى التراجم ، لتكثر الفائدة من الطرفين ، وما وجدته مختصرا من التراجم فى التعليق فراجع فيه كتابنا المسمى بـ (المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى) ، فاني هناك شفيت الغلة ، وأزحت العلّة اهـ ...

انتهى المؤلف بحوادث سنة ٨٦٠ هـ - ١٤٥٦ م وكتبه تلميذه محمد ابن أحمد بن محمد الطندتاى الشافعى سنة ٨٦١ هـ - ١٤٥٧ م ونقلت منها هذه النسخة فى سنة ٨٩٨ هـ - ١٤٩٢ م .

٣ - مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة :

اقتصر فيه على ذكر الخلفاء والسلاطين . طبع جزء منه فى كمبرج سنة ١٧٩٢ م .

٤ - النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة :

يبتدىء من فتح مصر على يد العرب المسلمين ويمتد الى أيامه • طبع فى أوربا وفى القاهرة ولم يتم طبعه ، وله مختصر فى مجلد واحد اسمه الانوار الظاهرة لم يعثر عليه •

٥ ـ البحر الزاخر :

مخطوط منه مجلد فى باريس • وقد عثرت على المجلد الثالث منه فى بغداد لدى بعض الاصدقاء فأراد أن يقدمه الى خزائن أوربا للبيع فرغبته فى تقديمه الى دار الكتب المصرية لانه يهمها أكثر • وهو مجلد ضخم فاشترته دار الكتب ، وفيه مباحث جليلة فى خطط مصر ومباحث أخرى مهمة ونافعة والأمل كبير فى أن يعثر على مجلدات أخرى من باقى اجزائه •

وله مؤلفات أخرى فى التاريخ وغيره يهمنا منها ما مرت الاشارة اليه •

هذا وابن الصيرفى تحامل عليه كالسخاوى ، ولا مجال للاطناب • وفائدته فى مؤلفاته ظاهرة لتاريخ العراق بين احتلالين وقد استفدنا منه كثيرا • وتفصيل حياته فى كتاب (المؤرخون فى مصر) للاستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة ، وذكر فى معجم المطبوعات بعض مؤلفاته المطبوعة •

٢ ـ عزالدين الكنانى العسقلانى

هو ابو البركات عزالدين أحمد بن ابراهيم بن نصرالله الكنانى العسقلانى المصرى ولد بالقاهرة فى ٦ ذى القعدة سنة ٨٠٠ هـ ـ ١٣٩٧م وتوفى ليلة السبت ١١ جمادى الاولى سنة ٨٧٦ هـ ـ ١٤٧١م وكان قاضى قضاة الحنابلة وله مؤلفات عديدة فى مختلف العلوم • ومن مؤلفاته التاريخية :

١ ـ طبقات الحنابلة الكبرى فى ١٤ مجلدا •

٢ ـ الطبقات الوسطى فى ثلاثة مجلدات •

٣ ـ الطبقات الصغرى فى مجلد واحد •

٤ ـ كتاب النشر فى التاريخ فى ٤١ مجلدا ، عمل لكل قرن فى التاريخ تصنيفين احدهما على الحروف ، والآخر على السنين •

٥ ـ شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، أهـداه الى ملك حصن كيفا الايوبى ، وفى دار الكتب المصرية نسخة منه •

وذكره الاستاذ الدكتور مصطفى جواد فى المجلد السادس من مجـلة المستمع العربى • عـدد ٨ •

٣ - الغياثى

هو عبدالله بن فتح‌الله البغدادى الملقب بالغياث المتوفى أواخر القرن التاسع • كان حيا عام ٨٩١ هـ ـ ١٤٨٦ م ، وسمى تاريخه بـ (التـاريخ الغياثى ، ويتعلق بالعراق فى غالب مباحثه ، وتهمه حوادثه أكثر من غيره ، وفيه سعة نوعا وان كان لم يراع ضبط الحوادث وترتيبها ولهجته عراقيـة وهو مغلوط فى أكثر المواطن وفيه نقص ونبهت على مواطن النقص الا انه يكرر المباحث ويعود اليها عند ذكر بعض الدول ، وفى هذا ما يسد النقص نوعا وكذا عينت ما وهم به المؤلف فى المجلد الثانى من تاريخ العراق بين احتلالين ص١٢٩ و١٥٠ فى أمر خلافة العباسيين فى مصر واعلانها فى دولة آل مظفر كما تنطق النصوص الموجودة وكان الغياثى نقلها من كتاب أنباء الغمر لابن حجر ولكن الغلط واضح تشهد بذلك النقود • ويشـير كتابه الذى نقله من الفارسية والمسمى (تاج المداخل) الى انه من أهل السنة (على خلاف ما جاء فى كتاب الانوار) ويظهر ان هذا الكتاب بخطه كتب سنة ٨٧٨ هـ ونسخته فى خزانة المتحف العراقى فى بغداد •

وكل هذا الغلط فى النسخة لم تقلل من قيمة الكتاب ، ومن السـهل تعيينها بالمراجعة الى الآثار الاخرى لتحقيق ما جاء فيه ، فيستفاد من التفصيلات الواردة خلال سطوره ••

أوله : « الحمد لله الباقى بعد فناء خلقه ••• الخ » وجاء فى مقدمته :

« ان كثرة الفتن ، وتواتر الاحن التى جرت بأرض العراق لم يضبط أحد تواريخها من دور الشيخ حسن الى يومنا هذا أولا من عدم أهل العلم

ومن ينظر فيه ، وثانيا ان أكثرها تواريخ ظلم وعدوان تركها خير من ذكرها، لان هذا الدور الذى نحن فيه يسمى (دور الادبار) « الى أن قال » :

فما كان من زمن آدم « ع» الى أيام السلطان ابى سعيد ملتقط من (نظام التواريخ) للقاضي ناصر الدين عمر البيضاوى وغيره ، وما كان من زمان الشيخ حسن (أول سلاطين الجلايرية) الى يومنا هذا لم أنقله من كتاب بل نقلته من أوراق وحواشٍ ، وأكثره من ألسن الراوين ، وبعض ما جرى فى زماننا ، وكتابه عالمون ، فكتبت ذلك وحويته فى هذه الاوراق ، والعهدة على الراوى ، لا على الحاوى » اهـ ، والنسخة الوحيدة من الكتاب وجدتها لدى المرحوم الاستاذ الاب انستاس مارى الكرملى ونقلت نسختى منها • وهى الآن فى خزانة المتحف العراقى فى بغداد •

والملحوظ فيها أن المؤلف يكرر المباحث عند كل حكومة لها علاقة بأخرى لادنى سبب ولما كانت النسخة ساقطة بعض الاوراق ، ومضطربة المباحث لتشوش فى ترتيب أوراقها كما يظهر فمن السهل أن يتلافى النقص نوعا وهكذا فعلت أثناء تثبيت الحوادث مع تمحيص وعرض النصوص التاريخية الاخرى ومقابلتها وتنبيه على المشتبه فيه • استنادا الى ايضاحاته فى هذا العهد وما يليه وغالبه فى أيامه وهو القسم الاخير من كتابه ، وكله مما يهم موضوعنا •

ومن المهم انه اذا اريد طبعه يجب قبل كل شيء أن نرجع الى نظام التواريخ فى القسم الاول منه الى آخر ما كتب الاستاذ البيضاوى فى سنة ٦٧٤ هـ •

والمنقول عن الكتب الاخرى مثل الشرفنامة لشرف‌الدين اليزدى مما يكمل مباحثنا ، ويسد النقص الذى فى الكتاب خصوصا ما جاء عن المشعشعين، هذا ولا ننس ان المؤلف يتعصب للحكومات الاخيرة فيتألم لمصاب هذه ، أو يفرح كما يستدعى وضع تأثره ، وفيه بيان عن بعض الاشخاص وهكذا •

تحرينا مراجع تاريخية كثيرة فلم نعثر على ترجمة وافية ، ولا على نسخة ثانية لأثره هذا ، وانما نرى بعض الكتب مثل مجالس المؤمنين تنقل

عنه بعض المطالب ولكنها لا تصلح بحال لاكمال جميع نقصه • وعندى نسخة خطية تسمى بـ (الانوار) فى رجال الشيعة وتراجمهم تذكر المؤلف فى عداد هؤلاء ولم تتوسع فى تاريخ حياته ، ولا ذكر عام وفاته وانما اكتفت بذكر اسمه وان له تاريخا هو موضوع البحث • وهو عراقى سكن سورية مدة كما يفهم من خلال سطور كتابه •

والنسخة الاصلية قديمة ولكنها كتبت بعد وفاته بمدة وصفها صاحب لغة العرب الاب انستاس ماری الكرملي ونقل عنها الكتاب عندنا الشيء الكثير •

٤ - نورالدين الجوهري (ابن الصيرفي)

هو نورالدين علي بن داود بن ابراهيم الجوهرى ، من أهل القاهرة • وولد فيها سنة ٨١٩ هـ ، ويعرف بـ (ابن الصيرفى) الخطيب • وكان والده صيرفيا • وبعد ان درس الفقه الحنفى وعلوما كثيرة انصرف الى التاريخ • ومن مؤلفاته فيه :

١ ـ نزهة القلوب (النفوس) والابدان فى تواريخ الازمان من أول الازمان الى القرن التاسع الهجرى • ومنه مجلد فى حوادث مصر من سنة ٧٨٤ هـ الى سنة ٨٩١ هـ •

٢ ـ كتاب سيرة الملك الاشرف قايتباى • منه نسخة فى المتحفة البريطانية•

٣ ـ سيرة النبى (ص) وسماها (الجوهرية) •

٤ ـ أنباء الهصر (الحصر) فى أبناء العصر ، ومنه مجلد فى الخزانة الوطنية بباريس من سنة ٨٧٣ هـ الى سنة ٨٧٨ هـ ، وفى النسخة نقصان ، ويفصل الحوادث • وهو المجلد التاسع على ما قال الدكتور محمد مصطفى زيادة • ولعله المسمى فى كشف الظنون بـ (انباء المصر فى ابناء العصر) •

وهذا المؤرخ معاصر ابن تغرى بردى ، وشمس الدين السخاوى ، وان المترجم ينقد ابن تغرى بردى فى أنه يكتب بالعامية ويلحن اللحن الفاحش ، ويدعى استكمال العلوم والفنون وان السخاوى أيضا ينقد ابن الجوهرى بل يتحامل عليه فى انه لا يميز عن العوام الا بالهيئة مع سلوكه لما يستقبح

وترجمه الدكتور مصطفى جواد فى مجلة (المستمع العربي ج٦ عدد ٨) •

وتوفي فى شوال سنة ٩٠٠ هـ – ١٤٩٥ م • وكان ذكره السخاوى فى الضوء اللامع ج٥ ص٢١٧ – ٢١٩ وفى بدائع الزهور لابن اياس (ج٢ ص٢٨٨) وتحامل عليه • وترجمه الاستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة ترجمة موسعة فى كتابه (المؤرخون فى مصر) ص٣٦ – ٣٩ •

٥ - السخاوي

من المؤرخين المشاهير الشيخ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوى المتوفى سنة ٩٠٢ هـ – ١٤٩٧ م ومن مؤلفاته :

١ – الضوء اللامع فى علماء القرن التاسع • رتبه على الحروف • وصنف السيوطى فى رده مقالة سماها : (الكاوى فى تاريخ السخاوى) وشنع عليه فيه وكذا فى كتابه « نظم العقيان » (ص١٥٢) ، وانتخبه الشيخ زين الدين عمر ابن احمد الشماع المتوفى سنة ٩٣٦ هـ – ١٥٣٠ م وسماه : (القبس الحاوى لغرر ضوء السخاوى) وكذا الشهاب أحمد بن العز محمد الشهير بابن عبدالسلام المتوفى سنة ٩٣١ هـ – ١٥٢٥ م وسماه (البدر الطالع فى الضوء اللامع) واختصره الشيخ أحمد القسطلانى وسماه (النور الساطع فى مختصر الضوء اللامع[١]) •

والكتاب جميل فى موضوعه وهو على نسق الدرر الكامنة وفيه فوائد عن عراقيين كثيرين ولكنه لا يتكلم عليهم فى الغالب الا عرضا أو لعلاقة اتصال بهم لانهم ذهبوا الى انحاء سورية والحجاز ومصر ، طبع سنة ١٣٥٤ هـ – ١٩٣٦ م فى اثنى عشر جزءاً مع فهارس مهمة ونافعة • فهو دائرة معارف فى علماء القرن التاسع الهجرى منه نسخة فى مكتبة آل باش أعيان فى البصرة والجلد الاول منه فى مكتبة السيد نعمان خيرالدين الآلوسى بين كتب خزانة الاوقاف العامة •

٢ – الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، وهذا تناول مؤرخين عديدين فهو

---

(١) كشف الظنون ج٢ ص ١٠٨٩ طبعة استنبول سنة ١٩٤٣ •

من أجل الآثار بل هو دائرة معارف تاريخية لمؤرخي العرب والمسلمين الا انه يحتاج الى توسيع وايضاح عن المؤرخين الكثيرين ممن ورد ذكرهم ، فهو يستحق كل عناية طبع في مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٤٥ هـ .

٣ ـ التبر المسبوك في ذيل السلوك رأيته في خزانة ايا صوفيا باستنبول برقم ٣١١٣ أوله : الحمد لله العالم من القدم ما كان وما يكون ، والحاكم بما انبرم في كل حركة وسكون الى آخره وهذه النسخة ملكية مهمة ومشكلة . حروفها كبيرة وواضحة . تمت في سنة ٨٥٠ هـ ـ ١٤٤٦ م وهي المجلد الاول بخط ابي الفضل السنباطي الاعرج عام ٨٨٠ هـ ـ ١٤٧٥ م في منزل مؤلفه . وغالبها لا يتعرض لحوادث ما هو خارج عن مصر والشام .

٤ ـ وجيز الكلام في الذيل على مختصر دول الاسلام .

وله مؤلفات أخرى وكان مشهورا في ثلب أشخاص كثيرين من المشاهير، وترجمته في (بدايع الزهور) لابن اياس و(المؤرخون في مصر) وغيرهما .

٦ - أبو بكر السيوطي

اشتهر في علوم كثيرة وان ظهوره في التاريخ كان لا يقل عن سابقيه ، وربما فاق أحيانا ، فهو جلال الدين ابو بكر بن عبدالرحمن بن الكمال السيوطي . ويعد من أكابر المؤرخين ، كتب في التاريخ العلمي والادبي كثيرا . ولا يعنينا التعرض لها هنا وانما يهمنا التاريخ العام والسياسي . وللتواريخ الاخرى محل ذكر غير هذا وأشهر تواريخه :

١ ـ تاريخ الخلفاء ، وهو تاريخ عام ويعتبر (متناً) في التاريخ الا انه لم يطبع طبعة علمية مصححة ففاتنا الكثير من فوائده . ومن جهة أخرى لم يتناول الخلفاء ، وانما وقف عند أيامه وذكر منظومته في الخلفاء الى عهده واشرنا الى ذلك فيما سبق . طبع مرات عديدة مغلوطة وسقيمة .

٢ ـ الشماريخ في علم التاريخ . يعين قيمة التاريخ . طبع في المانية سنة ١٨٩٤ م .

٣ ـ ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي . مطبوعة مع الذيول الاخرى .

٤ ــ بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، طبع سنة ١٣٢٦ هـ •

٥ ــ حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة • طبع مرات •

٦ ــ نظم العقيان فى أعيان الاعيان • نشره الدكتور فيليب حتى ، فى نيويورك سنة ١٩٢٧ •

وله مؤلفات عديدة أخرى منها (رسالة فى الاهرام) عندى مخطوطة منها ، وتوفى سنة ٩١١ هـ • وترجمته فى معجم المطبوعات وفى كتب كثيرة •

وذكره الاستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة فى كتابه (المؤرخون فى مصر) وترجمه ترجمة ضافية ، وللسيوطى المحل الارفع فى التاريخ العلمى والادبى مما لا محل الآن للتعرض له •

٣ ــ الدولة الصفوية

هذه الدولة فتحت بغداد فى ٢٥ جمادى الاولى سنة ٩١٤ هـ ــ ١٥٠٨م ودامت فى العراق الى ٢٤ جمادى الاولى سنة ٩٤١ هـ ــ ١٦٣٨م ومدة حكمها قليلة • واشتغلت فى حروب متوالية لم تهدأ خلالها وبين هذه واقعة چالديران مع العثمانيين وتعد من أكبر المعارك التاريخية ، وبعض حوادث اختلال فى بغداد ، وكان جل املها التوسع فى الممالك • وهذا ألهاها أن تلتفت الى الثقافة التاريخية أو كان الالتفات ضئيلا •

وان تاريخ هذه الدولة متصل بنا غير منفك عنا فى العصور التالية للعهد العثمانى مما نتناوله فى حينه باسهاب فى المجلد الثانى من كتابنا هذا لما فيه من كشف عن بعض حوادثنا وان كانت فى هذا العهد القصير لم يظهر فيها من المؤرخين ما يصح أن يعدّ من رجال دولتها ، أو مدونى وقائعها •

وهنا لا نتوغل • وانما نذكر من المؤرخين :

١ ــ ابن اياس

استمر تدوين التاريخ الى ما بعد القرن التاسع الهجرى ومن جملة من ظهر من المؤرخين مؤرخ مصرى جرى على سنن من قبله أعني به محمد ابن اياس الحنفى • كان من بقايا المؤرخين السالكين على النهج العلمى فى تدوين الحوادث • وله علاقة كبيرة بتاريخنا ومن مؤلفاته •

١ ـ بدائع الزهور :

هذا من أجل التواريخ ولم يكن تاريخ مصر خاصة بل تطرق الى حوادث العثمانيين وما قاموا به كفاتحين وما حاولوا تغييره واصلاحه • وما عملوا ، فأوضح ايضاح خبير معاصر ، وأبدى ما شعر به ، ودوّن ما شاهد ، وهكذا مضى ، فهو من أجل ما كتب ، لقلة علمنا فيما يتعلق بهذا العهد وكنا نود أن نعلم حالة الاقطار العربية والاسلامية أيام تلك الصولة ، وما لحق بها من حوادث لتكون معروفة وواضحة •

وتفسر حوادثه ما جرى على بغداد فى أيام السلطان سليمان أو ما أجراه ، والحوادث تكاد تكون متماثلة الا ان الفرق ان السلطان سليمان القانونى سلّم اليه البلد ، ولم ير مقاومة فلم يبعث جيشه ، وان اصلاحاته مهمة والفرق واضح الا ان النزعة فى مجراها تكاد تتفق •••

طبع ببولاق مصر سنة ١٣١٢ هـ ـ ١٨٩٤ م وله فهرس هجائى • وطبعت جمعية المستشرقين الالمانية منه الجزء الثالث سنة ١٩٢٦ م والرابع سنة ١٩٣١ م والخامس سنة ١٩٣٢ فى استنبول على نسخ بخط المؤلف كانت فى مكتبة فاتح باعتناء الاساتذة (پول كاله) والدكتور محمد مصطفى و(موريتس سوبر نهايم) الا انهم فاتهم ان يطبعوا الباقى على ما هو موجود فى متحف الاوقاف الاسلامية باستنبول ويكمل الحوادث المطلوبة وهو بخط المؤلف ، والمهم أن يتلافوا النقص فى طبعة أخرى وأبدى لي الاستاذ المستشرق الفاضل (هـ • ريتر) انه كان غير متيسر معرفة ما فى هذا المتحف من كتب •••

ومن اجزائه التى بخط المؤلف فى فاتح وفى متحف الاوقاف الاسلامية تظهر نسخة كاملة ، تصلح للطبع •••! وطبعة مصر كانت ناقصة ، فجاءت طبعة المستشرقين نفيسة ومكملة لها وطبع فى مصر سنة ١٩٥١ م من جمعية الدراسات التاريخية صفحات لم تنشر من بدائع الزهور ، بتحقيق الدكتور محمد مصطفى وفيها حوادث السنين ٨٥٧ ـ ٨٧٢ هـ ولم تكن قد نشرت سابقا • وقد بسط القول فى ابن اياس وعصره الاستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة فى كتابه (المؤرخون فى مصر) •

٢٥٦

مجموعة التركمان

أو

مجموعة محمد بن بهادر خان المومنى

هذه المجموعة تتعلق باولاد (ذلغادر[١]) وسائر امارات التركمان وتبتدىء حوادثها من سنة ٧٠٠ هـ ـ ١٣٠٠ م الى سنة ٨٥٠ هـ ـ ١٤٤٦ م جمعها مؤلفها من تاريخ عقد الجمان ، ومن انباء الغمر فى أبناء العمر وغيرهما • وكان سبب جمع هذه الوقائع يعقوب شاه المهمندار ، جمعها له ابو الفضل محمد بن بهادر المومنى الشافعى المتوفى سنة ٨٧٥ هـ ـ ١٤٧٠ م ، وهو تلميذ ابن حجر • قال : ومن هذه السنة ذيل الامير يوسف ابن الامير الكبير تغرى بردى مدة (٢٥) سنة أعانه الله على ذلك ••• الا ان المؤلف لم يتمكن مما ذكر ••• كتبت باللغة العربية فى ١٠٦ ورقات ثم ذكر فيها كتاب (تاريخ يشبك) أمير من امراء مصر ، كان نائب الشام ثم تسلطن فى مصر ، وبعده نرى ملخصا فى (تاريخ تيمور) منقولا عن ابن حجر •

وهذه المجموعة بحذافيرها مهمة جدا لموضوعنا ، وفيها بيان علاقات التركمان بالمجاورين ، فتعرض لوقائع البارانية والبايندرية وسائر امراء الترك المعاصرين بتفصيل، فلم تقف عند دولة دلغادر ••• والمؤلف لم يذكر اسمه فى أول المجموعة ، وانما عرف من خلال سطورها ، ولم ينقل من أحد عينا ، وانما لخص وجمع ، فهى تأليف فى الحقيقة ••• وخير أثر لمعرفة العلاقات الدولية فى عصرها ••• ولا تخلو من التعرض للوقائع الخاصة •••

---

(١) سماها القرمانى فى كتابه أخبار الدول (الدولة الغادرية) وجدها المسماة به (ذو الغادر) وفى تواريخ الترك تدعى دولة (ذى القدرية) •

خاتمة

العراق فى هذه الايام وما قبلها لا تعد له وثائق تاريخية وافرة ، وما ذلك الا لانه شغل بنفسه ، وألهاه أمره ان يلتفت الى تدوين الحوادث بصورة متتابعة ، أو أنها دوّنت ففقدت وضاعت من البين ، والمؤرخون فى الغالب لم يثبتوا فى غالب الاحيان الا لعلاقة المجاورة ، أو كان قريبا ، أو هناك صلة مباشرة رأسا مما ساعد على الكشف وتدوين بعض المهمات من الحوادث التاريخيـة •

وعلى كل حال لا نقول اننا استكملنا العدة • فلا يزال الامر فى حاجة الى التتبع ، ولا تزال الوثائق الجديدة تظهر كل يوم ، والأمل غير مقطوع • وهذه بضاعتنا ، وجملة وثائقنا مما حصلنا عليه ، أو شاهدناه فى خزائن الكتب فى بغداد أو أثناء السياحات العديدة •

من التواريخ المارة ، والمؤرخين المذكورين تجلّى لنا مقدار اهتمـام العصور التالية للعهد العباسى فى التاريخ ، وتدوين وقائعها بحيث لم يبق خفاء وزال كل ابهام ، فعرفت الاتجاهات السياسية والاجتماعية والثقافية وزال الغموض ، وصار التاريخ واضحا جدا ، وما بقى من خلل لا قيمـة له فى المجارى التاريخية • فاننا لم نستوعب المؤرخين ، وانما المؤلفات الباقيـة لا تخرج عن نهج تلك مثل تاريخ ابن الفرات فانه مرتب على السنين ولـم يكمل طبعه ولكنه مهم • وهكذا • والغالب فى ذلك كان لايام المغول وتابعهم غيرهم ، والاصل فى هـؤلاء مؤرخو العراق ، ومـدونو حـوادثه الا ان الاقوام الاخرى من مغول وغيرهم راعوا التاريخ لاظهار العظمة ، والعراق كتب ما وقع ولم يلتفت الى غير ذلك ، فلم يستخدم أهلوه التاريخ للدعاية أو ذكر المناقب • فعل ذلك المتزلفون للمغول ، ولكن الحوادث معروفة • وسار على سيرة العراق الشام والحجاز ومصر فى النهج التـاريخى ، فكانوا لا يزالون القدوة فى التاريخ • وان الآثار الموجودة صارت مرجعا للاقطار

الاسلامية فى معرفة وقائعها وسائر أحوالها بقدر ما وصل من أخبار •

ومجموعة تواريخ كهذه ثروة عظيمة ، وخزانة كبيرة لا تزال المطابع لم تتوفر بعد لطبعها واظهارها ، والأخذ بها وتمثيلها • الا ان الرغبة التاريخية فى هذه الايام زادت ، وكثر قراء التاريخ وطلابه والمشتغلون به ، فلا يبعد أن ينشر من هذه ما يعين تاريخ الممالك الاسلامية لما بعد العصور العباسية •

واذا كانت الخزانة التاريخية غير وافية ، فلا شك أن المؤلفات الايرانية أو ما كتب بهذه اللغة ، وباللغة التركية ما يوفر الغرض ، وان ازدياد هذه الآثار سوف يؤدى الى تقوية الثقافة التاريخية كما ان المباحث والمخلدات الاخرى جاءت موضحة ، فان التاريخ العلمى والادبى مما يفيد كثيرا للكشف عن حقيقة تاريخنا من وجوه أخرى •

والملحوظ أن ايران أقرب للعراق ، فأخذت النهج التاريخى منه ، وسارت به سيرة تكاد تكون مستقلة ، أو أنها ضارعته • ولم يعرف لها ما عرف الا بعد العهد العباسى • ومن ثم نشطت العلوم والآداب فى ايران من جراء الاتصال المكين بالعراق • فاذا كان ابن الساعى ، والكازرونى وابن الفوطى من أقدم من كتب فى العراق ، فلا شك ان الايرانيين ساروا على نهج هؤلاء أو على ما هو قريب منه • وكادوا يستقلون بتاريخهم •

وكنا نظن أن الايرانيين سبقونا فى التاريخ ، ولكن التدقيقات الصحيحة عينت أن العرب فى هذه العهود لا يزالون سباقين فى تدوين التاريخ بحيث صاروا مرجعا للامم الاسلامية فى أقصاها وأدناها • وهم فى تعاون مع جيرانهم لتقوية الثقافة التاريخية •

اكتفى بهذا • والله ولي الأمر • وله الحمد والمنة •

تم المجلد الاول

ويليه

المجلد الثانى فى العهود العثمانية

شكر وثناء

انى أشكر الاساتذة الافاضل الذين ساعدوني وعاونوا في نشر هذا الكتاب مهما كان نوع هذه المساعدة واثني على عواطفهم النبيلة وأخص بالذكر كلاً من الاساتذة محمود الملاح وكوركيس عواد ومير بصري وابراهيم الونداوي فلهم فائق الشكر .

فهارس الكتاب

١ – فهرس المواضيع

٢ - فهرس الكتب

٣ ـ فهرس الامكنة والبقاع

٤ ـ فهرس الشعوب والعشائر والملل والاسر

٥ ــ فهرس الاشــخاص

٦ ـ فهرس الألفاظ والمصطلحات

تصحيحـــات

صفحة	سطر	
٦٥	٥	معتبرة
١١٨	١	لايبزيغ
١٢٩	١٠	امامة
١٣٥	٢	والتوفيق
١٣٧	١٧	تســجع
١٣٩	١٤	نمر
١٤٣	١٩	قرظ
١٤٧	٢٢	الطبية
١٤٨	١٩	مشهودا
١٥٦	١٤	العظيمة
١٥٨	٢	شارل شفر
١٦٠	١٥	الحفــاظ
١٦٣	١٨	وقد رأينا ترجمة ابن أبى
١٦٦	١٤	وكأنه
١٦٩	١٥	الحلبى
١٦٩	١٧	للذهبى
١٧٩	٢٥	الرد الوافر
١٨٣	١٧	شوكه
١٨٦	٨	أتمه ابنه
١٩٥	١٢	المرخص الغـالى
١٩٥	٢٥	هونرباخ
٢١٠	٤	علماء كثيرين ولم ينازع
٢٥٠	٤	ناصرالدين عبدالله بن
٢٥٥	١٠	يعبث

١ ـ الكتب المطبوعة للمحامي عباس العزاوي

	سعر المجلد الواحد فلس
تاريخ العراق بين احتلالين ١ ـ ٨ مجلدات	٥٠٠
عشائر العراق ١ ـ ٤ مجلدات	٥٠٠
التعريف بالمؤرخين	٥٠٠
منتخب المختار فى علماء بغداد	٢٥٠
مجموعة عبدالغفار الاخرس فى شعر عبدالغني جميل	٢٥٠
رحلة المنشي البغدادي نقلت عن الفارسة	٢٠٠
الموسيقى العراقية فى عهد المغول والتركمان	٢٥٠
الكاكائية فى التأريخ	٢٥٠
تأريخ اليزيدية وأصل معتقدهم	(نفذ)

النبراس فى خلفاء بني العباس لابن دحية الكلبى (طبعة وزارة المعارف)

سمط الحقائق فى عقائد الاسماعيلية (طبعة المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق) .

علم الفلك وتأريخه فى العراق (جزءآن) طبعه المجمع العلمي العربي بدمشق

عشائر العراق

تم طبعه في أربعة مجلدات :

١ ـ العشائر القديمة والبدوية .

٢ ـ عشائر الكرد .

٣ ـ العشائر الريفية القحطانية .

٤ ـ العشائر الريفية العدنانية .

٢ ـ الكتب المعدة للطبع

تاريخ اليزيدية (طبعة جديدة)

تاريخ إربل

تاريخ شهرزور ـ السليمانية ـ

تاريخ الادب العربى والتركى والفارسى فى العراق

تاريخ الضرائب فى العراق

تاريخ علم الفلك فى العراق وعلاقاته بالاقطار المجاورة ـ مفصل

تاريخ العمراني

تاريخ التكايا والطرق فى العراق

تاريخ المعاهد الخيرية

الشبك والقزلباش فى العراق

خواطر فى المجتمع الاسلامى

تاريخ العقيدة الاسلامية

تاريخ عقيدة الشيخية والكشفية فى العراق

ذكرى ابى الثناء الألوسى

HISTORIANS OF IRAQ

BIOGRAPHICAL NOTES

TOME I

The Moghol and Turkman Periods

1204 — 1534

Biographies of famous historians, with
an appreciation of their works
and complete indices

by

Abbas al-Azzawi

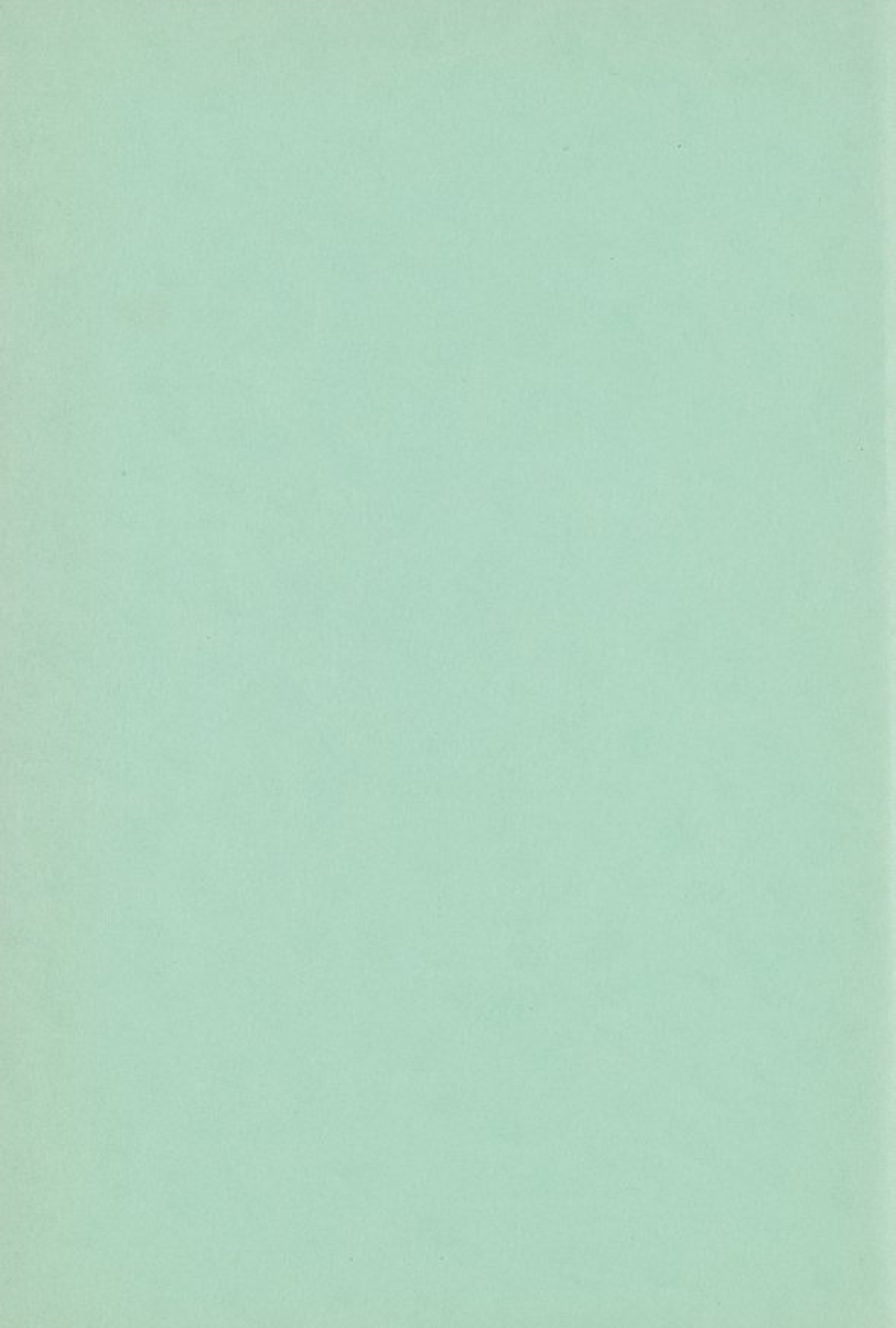
—:O:—

Price 10/—

1957

Printed by The Trading & Printing Co., Ltd.

King Faisal I Street, Baghdad.



HISTORIANS OF IRAQ

BIOGRAPHICAL NOTES

TOME I

The Moghol and Turkman Periods

1204 — 1534

Biographies of famous historians, with
an appreciation of their works
and complete indices

by

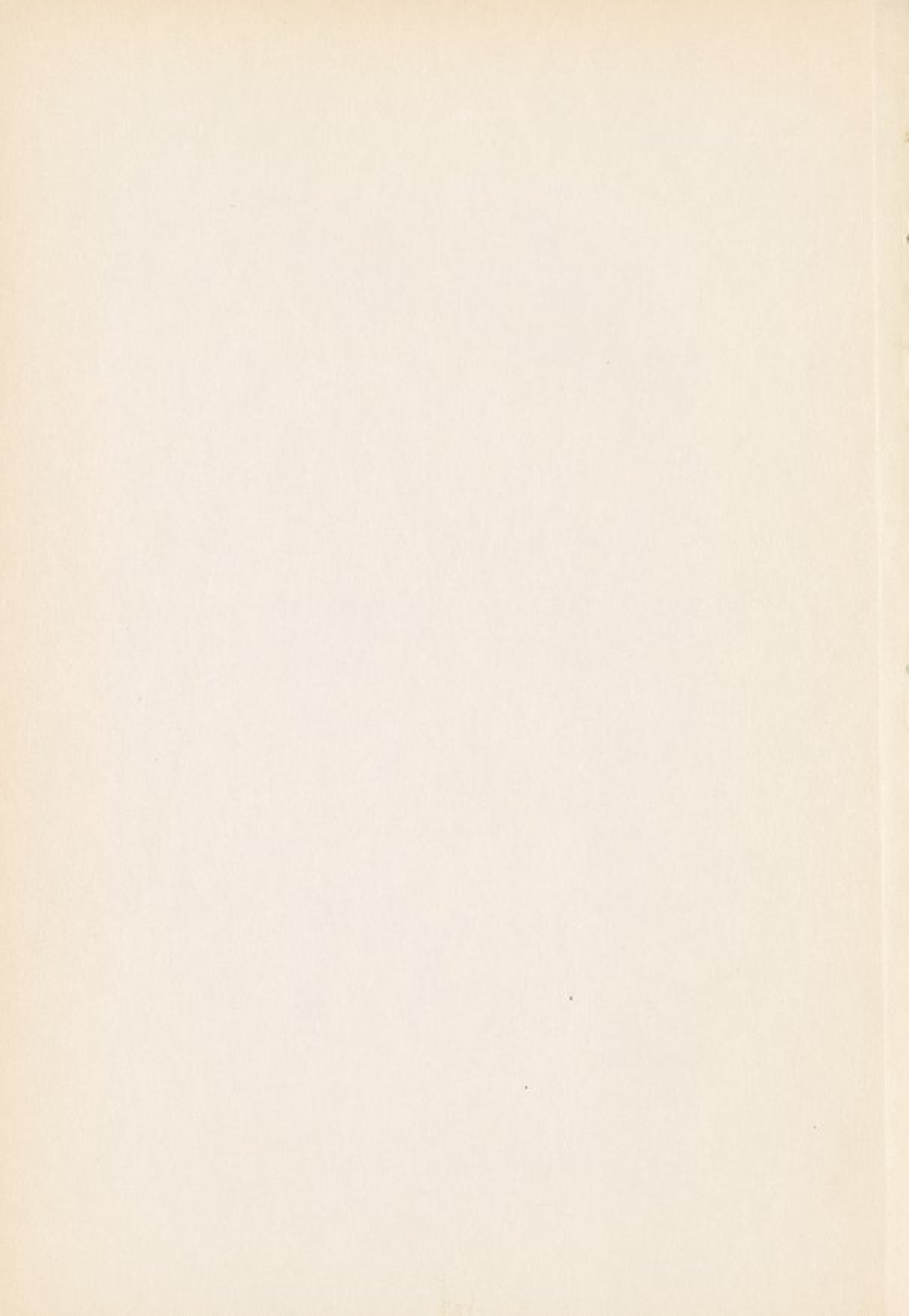
Abbas al-Azzawi

—:O:—

Price 10/—

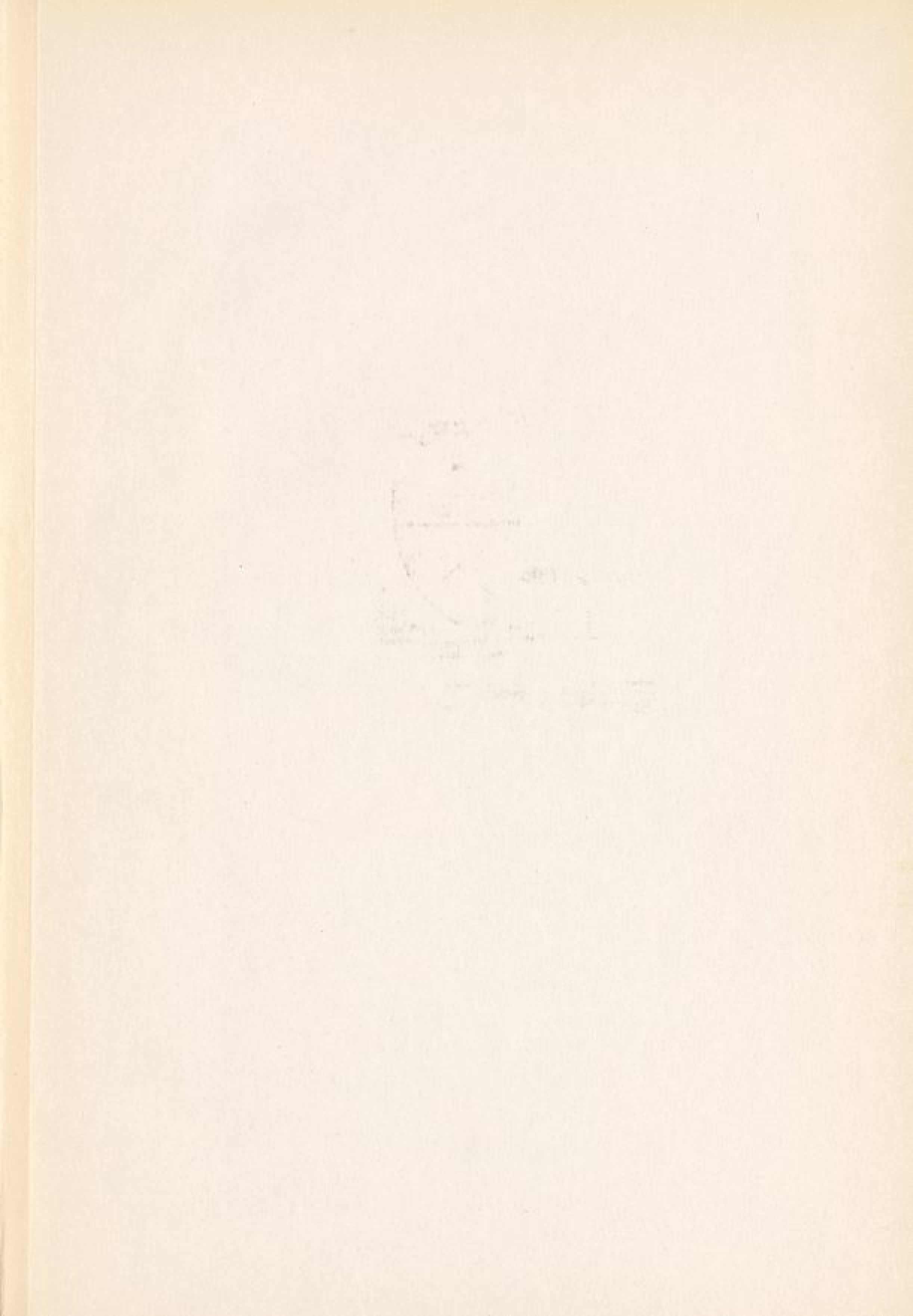
1957

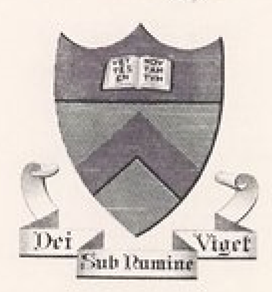
Printed by The Trading & Printing Co., Ltd.
King Faisal I Street, Baghdad.










Dei Sub Numine Viget

